الجمهورية العراقية
وزارة الثقافة والاعلام

الخطابة لأرسطو

ترجمة

د. عبد الرحمن بدوي



الجمهورية العراقيـة وزارة الثقافـة و الاعلام

دار الرشيد للنشر سلسلة الكتب المترجمة (١٤)

الخطابة

لأرسطو

ترجمه عن اليونانية
وشرحه وقدم له

الدكتور عبد الرحمن بدوي

١٩٨٠

تصديـر عـام

١ ـ نظرة عامـة

« لا أعتقد انه قد ند عن (أرسطو) شيء واحد من دقائق هذا الفـن (فن الخطابة) ••• ولا شيء أدل على ارهاف حسه وسلامة ذوقه مما فعله (في هذا الكتاب) بوضعه كل شيء في مكانه الصحيح » •

هكذا قال فولتير عن « خطابة » أرسطوطاليس ،، وله الحق • فلقـد استوفي في هذا الكتاب ، وهو مع ذلك أول كتاب ألف في هذا الموضوع ، موضوع فن الخطابة ،وكل ما يتعلق بفن الخطيب : كيف يؤثر في السامعين لاقناعهم ، وما هي ألوان الحجج التي ينبغي عليه أن يلجأ اليها في كل موقف وفي كل مقـــام مقـــام : في موقف الدفاع عن النفس ضد الاتهام ، وفي موقف الاتهام لاقناع القضاة والمحلفين بصحة الدعوى ، وفي موقف الحث على فعل ما أو في النهي عنه ، وفي مقام المحافل وجمعيات الشورى والمجالس السياسية والاجتماعات الشعبية ، أو في مقام المحاكم والقضاء ، أو في مقـام الندوات السياسية والفكرية الرفيعة •

وفي الكتاب تحليل نفسي دقيق الغور لنفسية السامعين والمحكمـين والقضاة ، لان قيمة الخطبة تقوم في اجتذاب نفوس هؤلاء حتى يحكموا لصاحب الخطبة • وهذا يقتضي بالضرورة العلم بالطبيعة الانسانية ، في ذاتها

---

(١) Voltaire : **Dictionnaire Philosophique,** art. Aristote (de sa Rhétorique), 1770, in **Oeuvres Completes de Voltaire,** it 17, p. 372, 374. Paris, 1878

وفي مجتمعها ، وما هي طباع الناس ، وعاداتهم ، وأهواؤهم ، وانفعالاتهم ، حتى يمكن الخطيب ان يستغل معرفته بهذه الامور في احداث التأثير الذي يريغ اليـه .

ولهذا جاء في الكتب ابحاث في مصالح الجماعات البشرية ، وآمـال الناس ومخاوفهم ، ومطامحهم وتقلباتهم . ومن هنا يخصص عـدة فصول (المقالة الثانية ، الفصول ٢ ـــ ١١) لدراسة الانفعالات الانسانية .

ولما كانت اداة الخطيب هي اللغة ، فقد كان على أرسطو ان يبحث فيما يتصل منها باحداث التأثير ، وطريقة صياغة الحجج . فتكلم عـن المجـاز ، وضرورة التعبير بوضوح ، وسلامة عبارة ، وبراعة في اختيـار الالفـاظ المناسبة . ومن ثم يخوض في موضوعات بلاغية : الاستعـارة ، التشبيه ، الاستعارة التمثيلية ، الاطناب والايجاز ، الفصل والوصل ، المقابلة ومراعاة النظير ، الكنايات بأنواعها . ويرتبط بذلك البحث في موضوعات علم البديع : الجناس والتورية ، المحسنات اللفظية ، الخ .

ويكرس فصولا طويلة (في المقالة الثالثة) لدراسة الاسلوب : صفاته ، وسلامته ، وتناسبه ، وتنوعه بحسب الموضوعات ، وبحسب أقسام الخطبـة نفسها (الاستهلال ، القص ، الحجج ، الخاتمة) ويميز تمييزا حادا بين أسلوب النثر ، وأسلوب الشعر ، وينصح بعدم الخلط بينهما في الخطابة . ويقسم الاسلوب الى مرسل ، ودوري يعـود عـلى نفسـه كالادوار في القصائد والموشحا ت. ويوضح خصائص كل نوع من هذين النوعين . ويبين ان لكل نوع من أنواع الخطابة اسلوبه الخاص به ، ويقرر انه لا يمكن ان يلمـع الخطيب الواحد في كل هذه الانواع مجتمعة .

ولما كان الكتاب يهدف الى تنشئة الخطباء ، فهو يبين لهم المواضع التي

يستمدون منها حججهم ، فيسرد منها ثمانية وعشرين موضعا تستخرج منها « الضمائر » للبرهنة أو للتفنيد .

و « الضمائر » هي عصب الحجاج في الخطابة ، والمقصود « بالضمائر »: الأقيسة المنطقية التي « أضمرنا » بعض مقدماتها ، ودعا الى هذا « الاضمار » أسباب عديدة تتعلق بالتأثير الخطابي : منها استعمال الحكم القصيرة النافذة التأثير في السامعين ، ومنها اخفاء ضعف حجة الخطيب بعدم بيان المقدمات تفصيلا . وعلى القارىء العربى أن يعرف جيدا هذا المعنى الذى «للضمائر»، لأن للكلمة في العربية معانى أخرى بعيدة منها كل البعد . وهى صعوبة لا يستشعرها القارىء الأوربى لأنه يستعمل الكلمة اليونانية « اثوميما » ενθύμημα فلا يقع في ذهنه أى التباس . ولم نستطع أن نصنع هذا

الصنيع فتعربها برسمها اليونانى ، لأن الفلاسفة المسلمين (الفارابى ، ابن سيناء ، ابن رشد الخ) استعملوا هذا الاصطلاح فكان علينا أن نأخذ به ونبعثه من جديد في لغة الخطابة والبلاغة اليوم .

ـ ٢ ـ

تاريخ فن الخطابة عند اليونان

على أن أرسطو ، وان كان أول من وضع كتابا منظما وافيا في فن الخطابة، قد سبقه الى محاولات في هذا المجال نفر من المهتمين بفن الخطابة وممارسيه .

ذلك أن الخطابة وليدة الديمقراطية ، لأن هذا النظام يقوم في حق كل مواطن في ابداء رأيه في الشئون العامة ، ولا سيما شئون الدولة السياسية والحربية والاقتصادية . كما يقوم في حق كل انسان في اتهام الحكام أو الآخرين ، وفي حق هؤلاء المتهمين في الدفاع عن أنفسهم ، سواء في المحافل العامة ، أو المجالس المخصصة (المجالس النيابية ، الخ) ، أو في المحاكم امام القضاة وأمام المحلفين .

والسلاح في هذا المجال هو الاقناع بالكلام ، أي الخطابة ، ان الخطابة هي فن الاقناع . ولما كان الناس متفاوتين بالفطرة في القدرة على الكلام والاقناع ، فلا سبيل للتعويض عن هذا الافتقار في القدرة الا بواحد من اثنين: تعلم فن الخطابة ليتولى المرء بنفسه هذه المهمة ، أو أن يكل المرء هذه المهمة الى غيره : اما بأن يكتب الخطبة ويلقيها صاحب الشأن ، أو يتولى الكتابة والالقاء معا . ومن ثم نشأت « مهنة » الخطابة ، وصارت من وسائل اكتساب المعاش ، أو بلوغ السلطة والنفوذ .

لكن موطن ميلاد فن الخطابة ، بوصفها فنا وصناعة ، هو في أرجح الآراء بجزيرة صقلية في القرن الخامس قبل الميلاد ، وكانت آنذاك تؤلف جزءا مما كان يسمى « بلاد اليونان الكبرى » . ويذكر شيشرون[١] عن أرسطو في أحد كتبه المفقودة (Συναγωγὴ τεχνῶν) هذا الرأي في نشأة «فن» الخطابة : وهو أنه بعد طرد الطغاة (في سنة ٤٦٧ ق.م.) رفع كثير من المواطنين ـ الذين كانوا قد نفوا ثم عادوا بعد ترحال الطغيان ـ رفعوا قضايا مدنية مطالبين باسترداد ممتلكاتهم التي صادرها أولئك الطغاة ـ شأنهم شأن كل الطغاة في كل زمان ومكان ! ـ ظلما وعدوانا . واحتاجوا من أجل هذا الى الاستعانة بمن هم أقوى منطقا وأقدر على الكلام والاقناع لتولى أمر اقامة الدعاوى والمرافعة . فانتدب لهذه المهمة بعض الأشخاص ، أبرزهم فيما يروى قورقس Corax وتسياس Tisias (وكلاهما من مدينة سرقوسة Syracuse في صقلية) . فوضعا القواعد التى بتعلمها واتباعها يصير المرء خطيبا . ومن هنا قيل ان هذين هما مؤسسا فن الخطابة ، وان كانت هناك رواية أوردها ذيوجانس اللائرسي[٢] تقول ان أرسطو ذكر أن مخترع

1) Cicero : **Brutus, XII, 46**
2) Diogene de Laérce : **Vies des Philosophes, VIII, 57.**

فن الخطـابة هو انباذقليس (حوالى ٤٩٠ ـ ٤٣٠ ق ٠ م) وهـو مولود في صقلية أيضا ، كما أن زينون الايلى هو مخترع الديالكتيك ، ولكـن رواية سكستوس امبريكوس عن ارسطو أيضا هو أن هذا قال ان انباذقليس « شق الطريق » κεκινηκέναι فقط في فن الخطابة ٠

١ ـ على أن قورقش أكبر سنا من انباذقليس ، وقد عاش ونال مكانة رفيعة في أيام حكم هيرون Hieron (٤٧٨ ـ ٤٦٧ ق ٠ م) ٠ وكما قلنـا ، كان انشاء المحاكم والتقاضي أمامها بعد تقرير الديمقراطية ، هو الذى دعـاه الى وضع قواعد للخطابة في المحاكم (ولنسمها : الخطابة القضائية) ٠ ويعـد هذا أول كتاب وضع في فن الخطابة بوجه خاص ، وفي الفنون بعامة٠ ولا تذكر لنا المصادر أنه ألف خطبا لنفسه أو لاستعمال غيره ٠ كما لا تذكر لنا أنه درس فن الخطابة مقابل أجر ، فيما عدا قصة نزاعه مع تسياس ٠ ويذكرون عن كتابه هذا أنه اهتم بتقرير أمرين : قواعد ترتيب الخطبة ، وذلك بتقسيمها الى خمسة أقسام هى : الاستهلال ، القص ، الحجج ἀγῶνες ، الملاحظات العارضة παρέκβασις ، والخاتمة ٠ والثانى : أنه تناول مسألة « الاحتمال العـام » واستخدامه في الدفاع أو الاتهام ٠

٢ ـ أما تلميذه تسياس Tisias فيغلب على الظن أنه ولد حوالى سنة ٤٨٥ ، ويروى أنه كان أستاذا للوسياس Lysias في مستعمرة ثورى Thuru (التى تأسسـت في سـنة ٤٤٣ ق ٠ م) ، واستاذا لايسـقراطيس في أثينـا Isocrates حوالى سنة ٤١٨ ق ٠ م ٠ ويذكر بوسنياس Pausnias [١] أنه صحب جورجياس في السفارة التى أرسلتها مدينة ليونتينى Leontini في صقلية (سنة ٢٤٧ ق ٠ م) الى أثينا طلبا للنجدة في حربها ضد سرقوسة ٠ وألف هو الآخر كتابا في فن الخطابة ، عنى فيه خصوصا بالتوسع في موضوع الاحتمال ٠[٢] والحكاية التى تروى عن بروتاغوراس وتلميـذه أواثلس تروى أيضا عن قورقس وتلميذه ٠[٣]

---

(١) Pausanias : **Penegesis, VI, 17 § 8, ed. L. Dindorf, 1845**

(٢) Platon : **Phedre, 267a, 273 a-e**

(٣) راجعها في كتابنا : « المنطق الصوري والرياضي » ص ٢٦٩ ، ط٢ ، القاهرة سنة ١٩٦٣٠

٣ ــ ويتلوهما في هذا المجال جورجياس [١] السوفسطائى الشهير • وقد خصه أفلاطون بمحاورة، ورسم له صورة أخاذة لاذعة بوصفه علم السوفسطائية ومن المشكوك فيه أن يكون قد ألف كتابا في فن الخطابة ، لكنه مارسه تعليما وتكسبا • وكانت طريقته في تعليم الخطابة تقوم على تحضير قطع ليحفظها التلاميذ من ظهر قلب ، ابتغاء استعمالها في خطبهم من أجل تفخيم دعوى صاحب الدعوى أو من أجل التهوين من دعوى الخصم • وكان اهتمامه خصوصا بجمال القول ([illegible]) وشدة تأثيره في السامعين • وهو كان موهوبا في اللغات • وحرص كثيرا على تنميق العبارة وشحنها بالتأثير الانفعالى الذى

يجتلب السامعين ويميل الى جانبه (أو جانب المستعمل لكلامه) القضاة والمحكمين • وكان هدفه الأساسي : الانتصار على الخصم ، ولو بألوان من الحيل والخدع •

ومن أسف أنه لم تبق لنا من قطعه وخطبه غير شذرات صغيرة ، أكبرها منتزعة من خطبته التأبينية • لكن من المرجح أنه كان كثير الاحتفال بالنثر الفنى والمحسنات اللفظية ، حتى انه ليعد مؤسس النثر الفنى اليونانى • لكنه من أجل هذا قرب بينه وبين الأسلوب الشعرى ، وهو ما سنرى أرسطو يأخذه عليه •

٤ ــ وأبرز من تأثروا به بركليس Pericles السياسي اليونانى العظيم (حوالى ٤٩٠ ــ ٤٢٩ ق • م) الذى يروى سويداس أنه كان أول من كان يؤلف خطبه قبل القائها ، بينما كان أسلافه يرتجلون • ويقول سيشرون

---

(١) راجع عنه كتابنا : « ربيع الفكر اليوناني » ط٤ ، القاهرة ١٩٦٩ .

(٢) راجعها فى
J. G. Baiter and Hermann Sauppe : **Oratores Attic** , rel. II, 130. Teubner, 1869.

(٣) معجم سويداس تحت كلمة Περικλῆς

(٤) Cicero : **De O'ratore II, § 93**

أن بركليس والقبيادس Alcbiades هما أقــدم المؤلفــين الذين تركوا مكتوبات صحيحة • ولكن كوتنليان (١) يقول ان ما ينسب الى بركليس من كتابات هو مما لا يليق بشهرته ، ولهذا يظن أنها منحولة • ويؤكد فلوطرخس (٢) أن بركليس لم يترك مكتوبا ἔγγραφον غير المراسيم التى أصدرها • لكننا نعلم عــن بركليس خطيبا مما قــاله بعض الكتاب • فقال عنه يوبولس (٣) Eupolis « انه كان حين يظهر ، يتبين أنه أعظم خطيب بين الناس : وشــأنه شأن العداء العظيم ، كان يعطى سائر الخطباء مزية السبق عليه بعشر أقــدام عنــد بداية السباق ، ثم ينتصر باستمرار ••• ويمكن أن تنعته بأنه سريع ، لكن الى جانب سرعته ، فان الاقناع كان يتقطر من شفته ، وهكذا كان تأثيره الخلاب : كان يترك لدغته طويلا في السامعين » • وقال عنه ارسطو فانس (٤) وهو يصف نشوب الحرب البلوبونيزية : « كان بركليس الأولمبى يرعد ويبرق ويثــير ثائرة بلاد اليونان » •

٥ ــ ومن الذين أثر فيهم جورجياس ثوكوديدس Thucydides المؤرخ اليوناني العظيم (ولد حوالى سنة ٤٦٤ ق • م ، وتوفي قبل سنة ٤٠٠ ق • م)، وفولس Polus من اجريجنتم (صقلية) وكان تلميذا أثيرا لدى جورجياس، ولهذا هاجمه سقراط ، وكان شديد الحرص على تزيين خطبه ، وفي أســلوبه تصنع وتكهن • وقد ألف في « فن » الخطابة كتابا بقيت شذرات منه أوردها أفلاطون وأرسطو •

٦ ــ ومن تلاميذ جورجياس أيضا لقومنيوس Licymnius وكان شاعرا بنظم الديثرمبو ، وألف « فنا » في الخطابة • واخترع عدة اصطلاحات فنيــة وصنف الأسماء الى : اسم علم ، اسم مركب ، المترادف ، شبه المترادف ،الكلمة

---

(١) Quintilian : **Instit Orat.**, III, 1, § 12

(٢) Plutarchus : **Pericles**, c. 8

(٣) Eupolis, Δῆμοι Bothe : Frag. Com. I, 162.

(٤) **ارسطو فانس : ١١ الارخرنيون** Archarnious ، ٥٣٠

المفردة ، التعابير التى تحل محل الأسماء ἐπίθετα .

٧ ـ وأوينـوس الذى مـن فـاروس Evenus of Paros كان شاعرا وسفسطائيا ، معاصرا لسقراط ، وألف « فنا » ، ووضع قواعد خطابية .[(١)]

٨ ـ ومن تلاميذ جورجياس أيضا القيداماس من الايا Alcidamas of Alaea في أيوليس بآسيا الصغرى ، ويعد آخر ممثل للمدرسـة الخـطابية . وكان منافسا وخصما لايسقراطيس وكتب ضده رسالة « في السوفسطائيين »[(٢)] ، وعاش في القرن الرابع ق . م . وكان يدعو الى ارتجال الخطب ويفضلها على الخطب المكتوبة . وأسلوبه يتسم بالاسهاب والتضخيم ، والافراط في استعمال الجمل والأوصاف الشعرية ، وفي اللجوء الى المجازات المتكلفة . وقد استشهد بها أرسطو في كتابنا هذا (م٣ ف ٣) لايضاح الأسلوب البارد .

٩ ـ ومن تلاميـذ جورجياس أيضـا لوقوفرون Lycophron وقد ذمه أرسطو في كتابنا هذا (م٣ ف٣) لبرود أسلوبه ، وكان يؤثر استعمال الأوصاف بدلا من الأسماء .

١٠ ـ ومن بين السوفسطائيين المهتمين بالخطابة فولوقراطس Polycrates الأثينى ، وكان معاصرا لايسقراطيس (القرن الرابع ق . م) وقد كتب خطبتين « دفاع عن بوسيريس » و « اتهام سقراط » ، وقد نقدهما ايسقراطيس . وكتب أيضا عن موضوعات تافهة مثل : الفئران ، الأوانى ، الملـح ، الحصي (راجع كتابنا هذا م٢ ف٢٤) . وقد نقد أسلوبه ديونوسيوس الهاليكارناسي على أساس أنه « خاو من الأمور المهمة ، بارد ، سوقى في الخطابة البرهانية ، بخلو من الطلاوة حين ينبغي أن توجد »[(٣)]

---

(١) راجع افلاطون : «فيدرس» ص ٢٦٧ ب .
(٢) نشرها بلاس Blass في سنة ١٨٨١ .
(٣) Dionysius of Halicarnassus : De Isaeo, 20

١١ ــ أما كليفوس Callippus وبامفيلوس Pamphilus فقد كتب كل منهما كتابا في فن الخطابة ، لكننا لا نعلم عنهما غير ما ذكره أرسطو في كتابنا هذا (م٢ ف٢٣) •

١٢ ــ وتراسوماخوس الخلقيدوني (حوالى ٤٥٧ ــ ٤٠٠ ق • م) يعد مخترع الأسلوب « الممزوج » في الخطابة ، الذى هو وسط بين الأسلوب المتفنن المتنوع الذى مهر فيه أنطيفون وثوكوديدس ، وبين أسلوب لوسياس السهل البسيط • وتقوم قدرته في تركيز الأفكار والتعبير عنها بايجاز محكم •

١٣ ــ فاسلس Phaselis في بمفوليا ، وكان تلميذا لايسقراطيس وصديقا حميما لأرسطو • وكان شاعرا وخطيبا ، وكان يكتب أولا خطبا للمتقاضين ، لكنه وعلى الرغم من أنه كان يؤثر الأسلوب الدورى ، فانه لم يشأ اخضاع النثر للايقاع الشعرى • وكان أول من اهتم بتوجيه الانتباه الى أهمية الالقاء ὑπόκρισις ، وألف كتابا في فن الخطابة ورسالة عن المواضع المشتركة ἀφορμαί ، وخطبا عاطفية ، يقصد بها الى استدرار الانفعالات من نفوس السامعين ، كما أنه ابتكر طريقة للاقناع بالغ في الثناء عليها •

وكل الذين ذكرناهم حتى الآن يمكن أن يعدوا من ممثلى مدرسة صقلية في فن الخطابة • أما في بلاد اليونان الأصلية فنجد :

١ ــ بروتاغوراس (حوالى ٤٨٥ ــ ٤١٥ ق • م) الذى من آبديرا ، وكان كثير التردد على أثينا وصديقا لبركليس • وكان أول من عنى بدراسة اللغة دراسة علمية ، وكتب عن دقة الأسلوب ὀρθοέπεια ، وميز بين أجناس الأسماء (المذكر ، المؤنث ، المحايد) ، وأزمنة الأفعال وأحوالها ، وأنواع الخطاب (السؤال ، الجواب ، الأمر ، الرجاء) • ودعا تلاميذه الى البحث في المواضيع المشتركة من حيث التضاد • وكان أول من طالب بأجر في التعليم الذى يؤديه •

٢ ــ وفروديقوس من خيوس Prodicos of Ceos ، وقد اهتم خصوصا

بالمرادفات ، وتمييز الفروق في المعاني بين الألفاظ المتقاربة في المعنى •

٣ ــ وهبياس من اليس Hippias of Elis كتب دراسات عديدة في النحو ، وتحسين الأسلوب وصحة التعبير •

٤ ــ وتيودورس الذى من بيزنطة (ازدهر حوالى سنة ٤١٢ ق • م) نعته أفلاطون بأنه أبرع قادح لزناد الخطب λογοδαίδαλος • وألف كتابا في فن الخطابة ، وابتدع عددا من المصطلحات ، والتجديدات ، وزاد في تقسيمات القول •

٥ ــ وثيودكتس Theodeites (٣٨٠ ق • م ــ ٣٤٤ ق • م) ممن، اهتم بعد ذلك بالمسرحيات التراجيدية ، وقيل انه ألف خمسين مسرحية تراجيدية على الأقل • وقد ألف كتابا في فن الخطابة، وينسب اليه ديونوسيوس[1] الهاليكرناسي Dionysius Halicarnasus الفضل ــ مع أرسطو ــ في وضع تقسيم الكلام الى أسماء وأفعال ورباطات (حروف عطف) • وكان من أنصار القول بأن النثر ينبغي أن يكون ايقاعيا ، لكن غير موزون • واشتهر بذاكرته الجبارة ، وبراعته في حل الألغاز •

وهنا نصل الى أفلاطون (٤٢٨ ــ ٣٤٨ ق • م) فنجد نقدا بارعا لاذعا للخطابة بوجه عام ، خصوصا في محاورتين ، هما « جورجياس » و «فيدرس»:

أ ــ أما في « جورجياس » فالحوار يبدأ بين سقراط وجورجياس بأن يسأل الأول : ما هى طبيعة الفن الذى اختص به جورجياس ، فيجيب هذا (٤٤٩ د) بأنه فن القول περὶ λόγους ، وبهذا الوصف يجعل من يملكون ناصيته بارعين في « الكلام » ، ومادام الكلام تعبيرا عن الفكر ، فانه يجعلهم أذكياء δυνατοὺς φρονεῖν (ص ٤٥٠ أ) في شيء ما • ولما كانت قوة

(١) Demosthenes, 48, Quintilian, i. 4. 18

التفكير هى المؤدية الى القوة في التأثير على الناس ، فان فن الخطابة ، وهو فن في الاقناع هو أسمى الفنون ، لأن الخطابة المقنعة هى أمضي سلاح يملكه السياسي للوصول الى السلطة : فالخطيب المقنع يحمل الجماعة Ecclesia على الموافقة على سياسته ، ويفحم خصومه المتصدين له ، ويدافع عن أنصاره أمام القضاة dicastesia • فسرّ بريكليس Pericles مثلا هو في تمكنه من الفصاحة المقنعة •

لكن سقراط يرد عليه بأن الخطيب ليس من أهل الاختصاص في أى فن، لأنه لا يملك العلم العميق المتخصص في أى فن • وانما هو يفلح فقط في اقناع الدهماء والعامة والجماهير غير العالمة • وعلى هذا فالخطابة – في نظر سقراط، لسان حال أفلاطون هنا – هى حيلة بها يقوم رجل جاهل بالفن والعلم ، باقناع جمهور من السامعين الجاهلين • وهناك طائفة من المحترفين للخطابة يهدفون الى ارضاء أذواق الجمهور ، دون أن يحفلوا مطلقا بما اذا كانت خطبهم ستسهم في تحسين أخلاق الناس • وبالجملة فان الخطابة تهدف الى الاقناع ، لا الى تحصيل المعرفة الصحيحة ، وهي تقوم بانتاج الاعتقاد في النفوس ، وهو اعتقاد أحيانا يكون زائفا ، وأحيانا أخرى صادقا ، أما العلم فدائما صادق • وينتهى سقراط الى القول بأن الخطابة ليست فنا على الاطلاق ، بل هى مجرد ثرثرة لتسلية السامعين وامتاعهم • انها نوع من التملق • ذلك أن غاية الفن الحقيقى هى الخير للنفس أو للجسم ، والخطابة لا تؤدى الى أى خير للنفس أو للجسم، انها مجرد متعة•

ب – واذا كان أفلاطون في « جورجياس » قد عنى بتحديد طبيعة فن الخطابة ، فانه في « فيدرس » يقدم لنا نظرية فلسفية في الخطابة كما ينبغي أن تكون ، اذا كان لها أن تعد فنا سليما • ولئن كان يرفض القواعد التى قررها ثراسوماخوس وتيودورس وغيرهما في « فنونهم » ، فانه مع ذلك أقر بأن لتعليم الخطابة فائدة عملية ، وان أصر على دمغ الخطابة بأنها لا تستحق أن

تسمى فنا ، وانما هى مجرد تدريب مبدئي •

وهذا التدريب يهدف الى تكوين الأسلوب الجيد• وهنا يكرس أفلاطون عدة صفحات (٢٥٩ هـ — ٢٧٨ ب) لبيان مبادىء الأسلوب الجيد في الأدب بعامة ، والخطابة على وجه التخصيص ، لأن النثر اليوناني لم يكن قد تطور بعد بدرجة كافية • يقول سقراط أن المبدأ الأول للقول الجيد الجميل هو أن يكون المتكلم على علم بالحقائق المتعلقة بالموضوع الذى يتناوله • فيلاحظ فيدرس أنه سمع أنه لا ضرورة لهذا ، أى ليس ثم حاجة بالخطيب أن يعرف ما هى العدالة ، بل ما هو ظن العامة بالعدالة ، لأن العامة هى التى ستحكم على الخطيب ، ولا أن يعرف ما هو الخير أو الجميل ، لكن ما يظنة العامة كذلك ، لأن المطلوب هو اقناع العامة ، لا عرض الحقيقة • لا يتعلق الأمر بالمرافعات القضائية وحدها ، بل بكل أنواع الكلام •

ويأخذ سقراط في بيان ما ينبغي أن يكون عليه الخطابة والخطيب حتى يؤدى كل منهما دوره • فيقرر أولا أنه يجب أن تكون لديه موهبة طبيعية للتعبير ، والا أضاع وقته في فلح أرض جرداء • فان كانت لديه هذه الموهبة ، فان حسن استغلالها يقوم في تحصيل المعرفة والممارسة وقد أخطأ ثراسوماخوس ولوسياس في فهمهما لنوع المعرفة المطلوبة • والخطيب مثل الطبيب ، لا يستطيع أداء مهمته الا بالعلم : الأول بحال النفس ، والثاني (الطبيب) بحال الجسم • ومن هنا فان فن الاقناع ، وهو مهمة الخطابة ، يستلزم معرفة علمية عميقة بالنفس الانسانية ، وأى نوع من الكلام يؤثر في أحوالها وأمزجتها • ولهذا ينبغي على الخطيب أن يكون قادرا على تشخيص أحوال السامعين النفسية ، مثل قدرة الطبيب على تشخيص أحوال الجسم المرضية •

وهذه الآراء التى عرضها أفلاطون في محاورة « فيدرس » قريبة الشبه بما سيعرضه أرسطو في كتاب « الخطابة » هذا ، حتى قال البعض ان «خطابة»

أرسطو هى نوع من « فيدرس موسعة » • ذلك أن أرسطو في المقالة الأولى من كتابنا هذا يبحث في وسائل الاقناع ، وفي الحجج القائمة على الديالكتيك (المنطق الظاهرى) ، وفي المقالة الثانية يدرس الحجج النفسية أو الأخلاقية ، القائمة على معرفة الانفعالات الانسانية وأسبابها ، وأنواع الأخلاق • وفي المقالة الثالثة يتناول مسائل الأسلوب وتقسيم الكلام • وهذه كلها أمور عالجتها محاورة « فيدرس » لأفلاطون على نحو متفاوت في التفصيل والتعمق •

– ٣ –

مؤلفات أرسطو في فن الخطابة

وهذا يقودنا الى أرسطو نفسه ، ان أرسطو عنى بفن الخطابة في كتب عديدة ألفها في هذا الشأن ، يذكر لنا ذيوجانس اللائرسي عنوانات ستة منها ، وهي :

أ ـ « موجز الفنون » Συναγωγὴ τεχνῶν ، وفيه استعرض تاريخ الكتب التى ألفت في موضوع « فن » الخطابة[1] • وكان يقع في مقالتين •

ب ـ محاورة عنوانها « جرولوس » كتبها ذكرى لصديقه جرولوس بن اكسينوفون وقد قتل في معركة منتينيا (سنة ٣٦٢ ق • م) Mantinea وقد بقيت لنا منه شذرات •

ج ـ « في الخطابة » ـ في مقالتين

د ـ « الفن » ـ في مقالة واحدة

هـ ـ « الفن » ـ في مقالتين

---

(١) يقول عنه شيشرون : «الكتاب استعرض فيه فنون القول » De oratore, xxxIII, 160 والمقصود بكلمة « فن » هو دائما هاهنا فن الخطابة ، فن القول .

و ـ « فن ثيودكت » Theodectea • وقد أشار اليه أرسطو في كتابنا هذا (« الخطابة » م٣ ف٩ ص١٤١٠ ب٣) • وحـول مسألة من هو مؤلف هذا الكتاب احتدم الجدل بين الباحثين ، لكن الرأي الأرجح هو أنه لأرسطو ومن مؤلفاته الأولى ، ثم أعاد النظر فيه فيما بعد ، وقد أهـداه الى تلميـذه وصديقه تيودكت

والى جانب هذه الكتب السته ، ينسب الى أرسـطو كتـاب بعنوان : « الخطابة الى الاسكندر » وقد ثار جـدل شـديد حـول صحة نسبته الى أسـطو :

فرأى بتروس فكتوريوس Petrus Victorius أن الكتاب لانكسيمانس اللمبساكي Anaxmenes of Lampsacus استنادا الى ما قاله كونتليان •وبهذا الرأي أخذ ل• اشبنجل L. Spengel الذي حقق هذا الكتاب (ليبيتسك عند الناشر توبنر سنة ١٨٩٤) • ورأى هيتس وسوزميل أن الكتاب لمؤلف من القرن الثالث قبل الميلاد ، دون تحديد من هو هذا المؤلف •

والواقع أن مقارنة هذا الكتاب بكتابنا هـذا تدل على أنه لايمكن أن يكون لأرسطو ، نظرا الى ضعف مستواه بالنسبة الى كتابنا هذا •

وأرجح الأراء اذن هو أن مؤلفه هو انكسمانس اللمبساكي (حـوالي ٣٨٠ ـ ٣٢٣ ق•م) ، وكان مؤرخا وباحثا في الخطابة في عهد الاسكندر الاكبر المقدوني (٣٥٦ ـ ٣٢٣ ق•م) ، وكان معلما للاسكندر ورافقه في حملته على فارس • ويقال ان أنكسمانس هذا كان أول من مارس الخطابة المرتجلة، واهتم بكل أنواع الخطابة الثلاثة (البرهانية ، القضائية ، المشورية) ، وأنه كتب « فتا » •

---

(١) Quintilian : **Inst. Orat.** iii, 4, g.

(٢) O. Miiller — Heitz : **Gesch. d. griech. Lit., II,** ti. 287

(٣) Susemihl : **Gesch. d. Griech. Lit. in der alexandrinerzeit, II, p. 451**

(٤) **راجع عنه مقال Brzoska في دائرة المعارف** Real - Encyk lopadie. Pauly-Wissowa :

كتاب « الخطابــة » لارسطو

أما الكتاب الرئيسي لأرسطو في الخطابة فهو كتابنا هذا الذي نقـدم ترجمته الآن .

وقد كتبه أرسطو أثناء اقامته الثانية في أثينا (٣٣٥ ــ ٣٢٢) ، حـوالي سنة ٣٣٠ ق.م أو ٣٣٥ على الأكثر (أي الأبكر) . وآخر الاحداث التاريخية التي يشير اليها هي :

أ ــ السفارة التي بعث بها فليب المقدوني الى أهل ثيبا ، يسـألهم السـماح لجيشه بالمرور خلال بلادهم ، حتى يتمكن من مهـاجمة اقليـم اتيكا (اكتوبر ــ نوفمبر سنة ٣٣٩ ق.م) . والاشارة وردت في م٢ ف٢٣ ص١٣٩٧ ب٣٢

ب ــ الصلح الذي انعقد في كورنثوس بعـد تولى الاسـكندر على العرش (خريف سنة ٣٣٦ ق.م) والاشارة وردت في م٢ ، ف٢٣ ص١٣٩٩ ب١٢

جـ ــ تحميل ديمادس مسئولية مصائب اليونانيين على عاتق ديموسثانس، لكن ليس ثم ما يشير الى أن هذا الاتهام وقع قبل معركة خيرونيا (مدينة في اقليم بوؤوتيا) التي هزم فيها فليب الثاني ، ملك مقـدونيا ، الأثينيين والثيباوين في سنة ٣٣٨ ق.م ، مما مكنه بعد ذلك من بسط السيطرة المقدونية على بلاد اليونان . والاشارة وردت في م٢ ف٢٤ ص١٤٠١ ب٣٣ .

صحة نسبته الى أرسطو

أما فيما يتعلق بصحة نسبة الكتاب الى أرسطو فان الشك لم يتنـاول الا المقالة الثالثة منه اذ زعم البعض أن من الممكن ان تكون ملحقا مستقلا أضيف الى الكتاب الذي كان بحسب هذا الزعم مؤلفا من مقالتين فحسب . لكن هذا الزعم لم يقم على أساس وطيد . والاجماع يكاد ينعقـد على ان الكتاب كله بمقالاته الثلاث هو من تأليف أرسطو .

أما مخطوطات الكتاب وما يتعلق بنصه فقد استقصى أمرها ا٠ريمر A. Roemer في نشرته النقدية للكتاب ، التي ظهرت سنة ١٨٩٩ في ليبسك في مجموعة توبنر Teubner الشهيرة ، وأفضل هذه المخطوطات هو مخطوط باريس المرموز اليه بالرمز A^c ، وقد كتب في القرن الحادي عشر الميلادي ، ويشمل أيضا نص كتاب « الشعر » .

ترجمتنا هذه

وعلى النص اليوناني بتحقيق ريمر Roemer هذا اعتدنا في هذه الترجمة ، وزودناها بالتعليقات الكفيلة بايضاح نص أرسطو ، والمحتوية أحيانا على امكانيات أخرى لترجمة النص اما لغموضه او لاختلافات قراءاته . واستعنا في هذا كله بما وضعه بعض المترجمين الى الفرنسية والانجليزية والألمانية من تعليقات ، وبما كشفوا عنه من فهم لنص أرسطو ، لاسيما في المواضع الغامضه وما أكثرها . وفي وضع الاصطلاحات الفنية لجأنا في أحيان قليلة جدا الى الترجمة العربية القديمة ، التي نشرناها (القاهرة سنة ١٩٥٩) ، والى « تلخيص » ابن رشد الذي قمنا بنشره أيضا (القاهرة سنة ١٩٦٠) ونرجح أنه اعتمد في هذا التلخيص على ترجمة أخرى أصح من تلك الترجمة الوحيدة الباقية لنا .

وعلى الرغم من مرور أكثر من ثلاثة وعشرين قرنا على هذا الكتاب ، فلا يزال حتى اليوم عمدة الباحثين في الخطابة والبلاغة ولا نعلم في تاريخ الكتابة في هذين الفنين ما يفوقه حتى يوم الناس هذا .

الكويت — مايو سنة ١٩٧٧ د . عبد الرحمن بدوي

أرسطوطاليس

فن الخطابة

ترجمه عن اليونانية
وعلق عليه وقدم له
الدكتور عبد الرحمن بدوي

ملاحظة : كل العناوين هي من وضع المترجم

المقالة الاولى

ـ ١ ـ

الخطابة والجدل : فائدة الخطابة وغايتها *

(١٣٥٤ أ)

الخطابة تناسب [١] الجدل ، لأن كليهما يتناول أمورا تدخل ــ على نحو ما ــ في نطاق معرفة الناس جميعا ، وليسا مقصورين على علم خاص بعينه . ولهذا فان الناس جميعا يشاركون ــ بدرجات متفاوته ــ في كليهما ، لأنهم جميعا ، الى حدما ، يحاولون نقد قول أو تأييده ، والدفاع عن أنفسهم أو الشكوى (من الآخرين) . وغالبيتهم يفعلون ذلك اما حيثما أتفق ، أو عن ممارسة ناشئة عن العادة . ولما كان كلا الطريقين ممكنا ، فان من الممكن معالجة الموضوع على نحو منسق ، اذ من الممكن الفحص عن السبب الذي من أجله يبلغ البعض غرضهم بالممارسة ، والبعض الآخر بالاتفاق [٢] . وسيجمع الكل على أن مثل هذا الفحص هو مهمة الفن [٣] .

والآن فان المصنفين السابقين في فنون الخطابة لم يزودونا الا بقسم

(*) العناوين من عندنا . وسنشير الى الترجمة العربية القديمة بالحرف ق ، والى الترجمة الواردة في تلخيص ابن رشد بالحرف : ش .

(١) تناسب ἀντίστροφος اي تؤلف مع الجدل زوجا ذا تناظر ، مثل المقطوعة والقراءة في القصيدة الكورالية في المسرحيات اليونانية .

(٢) الاتفاق : الصدفة .

(٣) لان مهمة (وظيفة) الفن (او الصناعة كما في الترجمات العربية القديمة) هي الكشف عن منهج أو نظام منسق .

قليل من هذا الفن ، اذ التصديقات[1] هي الأمور الوحيدة الداخلة في مجال الفن، وما عداها فمجرد زوائد • بيد أنهم لا يذكرون شيئا عن « الضمائر[2] » وهي عمود التصديق ، وانما يكرسون جل انتباههم لمسائل خارجة عن الموضوع ، اذ اثارة الشحناء [διαβολή] والرحمة والغضب وما شابه هذه الانفعالات لا شأن له بالمسألة المطروحـة ، وانما تتوجـه فقط الى القاضي • وستكون النتيجة أنه لو جرت المحاكمات كما تجرى عليه في بعض الدول ، خصوصا تلك التي تدار ادارة محكمة ، فلن يبقى لصاحب الخطابة ما يقوله ، لأن كل الناس اما أنهم يرون أن كل القوانين يجب أن تنص[3] على هذا ، أو ننفذ هذا المبـدأ عمليا وتمنع من الكلام خارج الموضوع ، كما هي الحال في محكمة الاريوفاغس[4] ،وهم في هذا على صواب ، لأن من الخطـأ افساد ذمة القاضي ، واثارة مشاعر الغضب أو الغيرة أو الرحمة فيه ، والا كان ذلك مثل حنو المسطرة قبل استعمالها • كذلك فان من اليقين أن مهمة الشاكي هي أن يبين أن الأمر موجود أو غير موجود، حدث أو لم يحدث، أما أنه مهم أو غير مهم، عادل أو ظالم، في كل الأحوال التي ينص عليها الشارع ، فهذا من شأن القاضي نفسه أن يقرره، وليس من شأن الشاكين أن يعلموه اياه •

ولهذا فانه خليق أن تتولى القوانين ، المسنونة جيـدا ، تحـديد جميع الأحوال قدر المستطاع ، وترك أقل القليل لتصرف القضاه ، (١٣٥٤ ب) • أولا لأنه من الأسهل العثور على واحد أو عدد قليل من الناس الفهمين القادرين

---

(١) = πίστεις ويقصد بها محاولات الحجج المنطقية ، او وسائل الاقناع . بيد انه في الفصل التالي (ص١٣٥٥ ب ٣٥ — ١٣٥٦ اع) يعطي للفظ معنى اوسع اي : الحجج الاقناعية، كما تتميز من البراهين المنطقية .

(٢) الضمائر = ἐνθυμήματα . ويترجمها ق : التفكيرات ، وفى ش : الضمائر.

(٣) اي تمنع من التحدث فى امور لاشان لها بالقضية .

(٤) كان الاريوفاغس في الاصل صخرة في غربي تل الاكروبولس في اثينا ، ثم اطلق هذا الاسم على المجلس الذي كان يعقد هناك لمحاكمة جرائم القتل والجروح انقاتلةوالنهب .وكان هـذا المجلس يتالف من ارغونات سابقين يرئسهم ملك — ارخون . ويحسب دستور سولون كان للاريوفاغس، الى جانب السلطة القضائية ، بعض السلطة السياسية .

على سن القوانين واصدار الأحكام ، من العثور على عدد كبير من هـؤلاء ، ثانيا لأن التشريع ثمرة روية « طويلة » ، بينما الأحكام تصـدر تحت تأثير دافع الوقت ، حتى انه من الصعب على القضاه أن يفصلوا فصلا صحيحا في أمور العدالة أو المصلحة . لكن الأهم من هذا كله هو أن حكم المشرع لاينطبق على حالة معينة بالذات ، بل هو حكم كلي وينطبق على المستقبل ، بينما عضو الجمعية العامة والقاضي كلاهما عليه أن يفصل في أمور حاضرة محددة ، وهما أيضا خاضعان للحب أو الكراهية أو المصلحة الشخصية في كثير من الأحيان ، بحيث لا يعودان يستطيعان تمييز الحق تميزا صائبا ، اذ لبس على حكمهما ما استشعرا من لذة أو ألم .

وسائر الأحوال لا ينبغي ـ كما قلنا ـ تركها لتصرف القاضي الا نادرا قدر الامكان الا اذا تعلق الأمر بشيء حدث أو لم يحدث أو لن يحدث ، هو كذا أو ليس كذا : فهذا يجب أن يترك للقاضي للتصرف فيه ، اذ من المستحيل على المشرع أن يتنبأ مقدما بهذه الأمور . فان كان الأمـر هكذا ، فمن البين أن أولئك الذين يضعون ـ مثلا ما ينبغي أن يتضمنه صدر الخطبة أو الاقتصاص[1] ، او سائر اجزاء الخطبة ، انما يضعون تحت قواعد الفن ما هو خارج الموضوع لان ما يقصرون عليه اهتمامهم هو كيف يصيرون القاضي في حال ما . وهم لا يتكلمون عن التصديقات التي تكون بالفن [2] ، والتي تجعل الانسان متمكنا من الحجاج الخطابي .

ومن هنا كان منهج الخطابة المشاورية والخطابة المشاجرية[3] واحدا ، وعلى

---

(١) صر الخطبة προοίμιον exorde اي مقدمتها

الاقتصاص : الحكاية διήγησις

(٢) اي البراهين المنطقية (مثل الضمير) واستثارة الانفعالات ، مما على الخطيب ان يبتدعه لاستعماله في احوال خاصة ، اما البراهين التي لا تكون بالفن ، فلا شان لها بالفن ، وانما هي موجودة ، وما علينا الا استعمالها . وقد بحث في النوع الاول في الفصول ٤ ــ ١٤ ، وفي النوع التالي في الفصل ١٥ من هذه المقالة .

(٣) المشاوري délibératif, δημηγορικός . ، الشاجري : δικανικός يتعلق بالمنازعات القضائية ، بينما المشاوري يتم في الاجتماعات العامة والبرلمانات والجمعيات التشريعية الخ ..

الرغم من أن ممارسة الاول أشرف وأخلق بالرجل السياسي من ممارسة الثاني الذي هو محصور في المعاملات بين الافراد المواطنين ، فانهم لا يقولون شيئا عن النوع الاول ، بينما يحاولون ــ دون استثناء ــ أن يخضعوا الخطابة المشاجرية لقواعد الفن. والسبب في ذلك أنه في الخطابة العامة لا يفيد كثيرا الكلام فيما هو خارج الموضوع ، وأن الخطابة المشاورية أيسر تأثيرا بالخدع من المشاجرية ، لأنها أيسر فهما لأذهان عامة الناس • في المشاورات السياسية من يحكم يقرر أمرا يتعلق بمصالحه الحيوية الخاصة به ، ولهذا لا حاجة الى اثبات شيء آخر غير كون الوقائع التي يقررها من يدعو الى انجاز اجراء ما هي وقائع صحيحة ، أما في المحاكم القضائية فليس هذا كافيا : اذ المهم هاهنا هو كسب السامع • ذلك أن ما يفصل فيه (في المحاكم القضائية) هو شئون سائر الناس ، ولهذا فان القضاة ، وهم يريغون رضاهم هم ويصغون بتحيز ، للمتنازعين ، بدلا من أن يحكموا بينهم • (١٣٥٥ أ) ولهذا كان الكلام خارج الموضوع ممنوعا في المحاكم في بعض الاماكن ، كما قلنا من قبل[١] : بينما في المحافل العامة القانون باصدار الأحكام قادرون على منع ذلك •

فمن البين ، لذلك ، أن النظام المرتب وفقا لقواعد الفن لايعني الا بالتصديقات πίστεις ، وان التصديق نوع من البرهان[٢] ، لأننا نكون اكثر اقتناعا كلما افترضنا أن أمرا ما قد برهن عليه ، وان البرهان الخطابي هو ضمير ، والضمير ــ بوجه عام ــ هو أقوى التصديقات الخطابية ، وأخيرا ان الضمير نوع من القياس • ولما كانت مهمة الجدل ، ككل ، أو أحد أجزائه[٣] ، النظر في كل نوع من الاقيسة على نحو مماثل ، فمن الواضح أن الاقدر على فحص مادة القياس واشكاله سيكون هو الاقدر على الحجاج

---

(١) ص ع ١٣٥ أ ٢٢

(٢) البرهان المنطقي العلمي ἀπόδειξις

(٣) الجدل هنا يعني المنطق بوجه عام ، و «احد اجزاءه» هوايا «انحليلات الاولى » (= القياس) وهي تبحث فى القياس ، او «المغالطات السوفسطائية ».

الخطابي ، لو أنه أضاف الى ذلك معرفة بالموضوعات التي تتناولها الضمائر والفوارق بينها وبين الاقيسة المنطقية . ذلك لان الصدق وما يماثله يندرجان تحت ملكة واحدة ، لان الناس لديهم قدرة طبيعية كافية للحق ، وفي معظم الاحوال يبلغون الحق ، كما ان من يحزر حزرا جيدا فيما يتعلق بالحق ، سيكون قادرا أيضا على أن يحزر جيدا فيما يتصل بالاحتمالات[1] .

واضح اذن أن سائر الباحثين في الخطابة يضعون تحت قواعد الفن ماهو خارج عن الموضوع، وكانوا أكثر ميلا الى الفرع المشاجري من الخطابة . ومع ذلك فان الخطابة مفيدة ، لان الصادق والعادل أفضل طبعا من مضاديهما ، حتى ان قرارات القضاة اذا جاءت على غير ما ينبغي فان الاخفاق مرجعه الى الخطباء أنفسهم ، ويجب أن يلاموا تبعا لذلك ، فانه في التعامل مع نوع من الناس ، فاننا لن نجد من السهل اقناعهم بما لدينا من معرفة حتى لو كانت أدق معرفة علمية . لان القول العلمي يتعلق بالتعليم ، لكن في حالة أمثال هؤلاء الناس يستحيل التعليم ، وتصديقاتنا وحججنا يجب أن تستند الى مبادىء مقبولة بوجه عام ، كما قلنا في كتاب « الطوبيقا »[2] ، ونحن نتكلم عن طريقة مخاطبة الجماهير . وأيضا ينبغي أن يكون الخطيب قادرا على اثبات المتضادات ، كلها في الحجج المنطقية ، لا لأنه ينبغي علينا ان نبرهن على كلا المتضادين (اذ لا ينبغي أن نقنع الناس بأن يفعلوا ما هو خطأ) ،ولكن من أجل أن نرى بوضوح ما هي الحقائق ، واذا حاج شخص آخر محاجة خاطئة ، فاننا نستطيع من جانبنا أن نفنده . وليس يوجد فن آخر يستنتج

(١) الاحتمالات ἔνδοξα : ويعرفها في «الطوبيقا» بأنها «الامور التي يسلم بها جميع الناس ، أو غالبيتهم ، أو الحكماء منهم ، كلهم أو غالبيتهم ، او أبرزهم وأخلقهم بالتقدير» («الطوبيقا » م١ ف١ ص١٠١ أ١١ — ١٥) .

(٢) راجع «الطوبيقا» م١ ف٢ ص ١٠١ أ٣٠ — ٤ .

نتائج متضاربة : وانما الجدل والخطابة وحدهما هما اللذان يفعلان ذلك .
ورغم ذلك ، فأن الحقائق الكائنة لا تتفق على السواء مع الاراء المتضادة .
كلا ، بل الامور الصادقة والامور الافضل هي بطبعها أسهل في الاثبات وفي التصديق بها . وأيضا فأن (١٣٥٥ ب) من المحال أن يقال ان الانسان ينبغي عليه أن يخجل من عجزه عن الدفاع عن نفسه باطرافه ، لا من عجزه عن الدفاع عن نفسه بالكلام والعقل ، اذ استعمال الكلام العقلي أكثر تمييزا للانسان من استعمال أطرافه . واذا اعترض معترض فقال ان من يستعمل قوة الكلام استعمالا ظالما يضر ضررا شديدا ، ـ فأن هذه التهمة يمكن أن ترمي ضد كل الامور الخيرة ماعدا الفضيلة ، وخصوصا ضد الامور الانفع ، مثل القوة ، والصحة ، والثروة ، والقيادة . وفي وسع الانسان أن يسدى أعظم الفوائد باستعمال هذه استعمالا صحيحا ، وأن يأتي أشنع المنكرات باستعمالها استعمالا سيئا .

فمن الواضح اذن أن الخطابة لا تتناول صنفا محددا من الموضوعات بل هي مثل الجدل ، عامة ، وأنها مفيدة ، وأن مهمتها ليست الاقناع بقدر ما هي البحث في كل حالة عن الوسائل الموجودة للاقناع .
والامر نفسه ينطبق على سائر الفنون : فمثلا ، ليست مهمة الطب اعادة الصحة الى المريض ، وانما فقط محاولة بلوغ هذه الغاية قدر المستطاع ، فحتى أولئك الذين يستحيل شفاؤهم يمكن أيضا علاجهم كما ينبغي . ومن الواضح أيضا أن من شأن الخطابة أن تكتشف الوسائل الحقيقية والظاهرة للاقناع ، كما أن من شأن الجدل أن يكتشف القياس الحقيقي والقياس الظاهري لان ما يجعل السوفسطائي سوفسطائيا ليس هو الملكة ، بل الغاية الاخلاقية بيد أن ثم فارقا ذلك أن في الخطابة : من يفعل وفقا للحجاج السليم ، ومن يفعل وفقا للغاية الاخلاقية ، كلاهما يسمى خطابيا ، أما في الجدل فان الغاية الاخلاقية هي التي تصنع السوفسطائي ، والجدل هو من تستند حججه على الملكة ، لا على الغاية الاخلاقية .

فلنحاول الان أن نقدم عرضا للمبادئ التنظيمية للخطابة نفسها ، عرضا للمنهج السليم والوسائل الناجعة للنجاح في تحقيق الغرض . ولنصنع كما لو كنا نبدأ من جديد ، وبعد أن نحد من جديد ما هي الخطابة ، ننتقل الى باقي (المسائل) .

ـ ٢ ـ
تعريف الخطابة ، الاحتمال ، والعلامة ، والمثل

يمكن ان نحد الخطابة بأنها الكشف عن الطرق الممكنة للاقناع في أي موضوع كان . وتلك المهمة ليست من شأن أي فن آخر ، بل كل واحد من الفنون انما هو قادر على ان يعلم ويقنع في مجال موضعه الخاص : فالطب مثلا يتناول الصحة والمرض ، والهندسة تتناول خواص المقادير ، والحساب يعني بالعدد ، وكذلك الحال في سائر الفنون والعلوم . لكن يبدو أن الخطابة قادرة على الكشف عن سبل الاقناع في أي موضوع كان . وهذا هو السبب في أننا نقول ان الخطابة ــ بوصفها فنا ــ فان قواعدها لا تنطبق على صنف محدد خاص من أصناف الاشياء .

أما التصديقات فبعضها غير صناعية ، وبعضها صناعية . وأقصد بالاولى تلك التي لم نأت نحن بها ، بل كانت موجودة من قبل ، مثل الشهود ، والتعذيب[1] والصكوك وما أشبهها ، وأقصد بالثانية : كل مايمكن اعداده بالحيلة وبمجهودنا . وهكذا ما علينا الا الاستفادة من الاولى ، بينما الثانية فيجب علينا اكتشافها بأنفسنا .

والتصديقات التي يقدمها القول على ثلاثة أضرب : الاول يتوقف على أخلاق القائل ، والثاني على تصيير السامع في حالة (نفسه) ما ، والثالث على القول نفسه ، من حيث هو يثبت أو يبدو أنه يثبت .

(١٣٥٦ أ) والخطيب يقنع بالاخلاق اذا كان كلامه يلقي على نحو يجعله خليقا بالثقة ، لاننا ستشعر الثقة على درجة أكبر وباستعداد اوسع ، بأشخاص

(١) اي التعذيب من اجل استخراج الاعتراف .

معتبرين في كل الامور بوجه عام ، لكن اذا أعوز اليقين وكان ثم مجال للشك فان الثقة تكون مطلقة[1] • وهذا الضرب من الاقناع ، مثل سائر الضروب ، ينبغي أن يَحدث عن طريق ما يقوله المتكلم ، لا عن طريق ما تظنه الناس عن خلقه قبل ان يتكلم • وليس صحيحا ـ كما يزعم بعض الكتاب في مقالاتهم عن الخطابة ـ ان الطيبة الشخصية التي يكشف عنها المتكلم لا تسهم بشيء في قدرته على الاقناع ، بل بالعكس ، ينبغي أن يعد خلقه أقوى عناصر الاقناع لديه • ثم ان الاقتناع يمكن ان يتم بواسطة السامعين اذا كانت الخطبة مثيرة لمشاعرهم • فأحكامنا حين نكون مسرورين ودودين ليست هي احكامنا حين نكون مغمومين ومعادين •ونعتقد أن معظم الذين يصنفون في الخطابة اليوم يريغون الى توجيه كل جهودهم نحو احداث هذه الآثار • وسنتناول هذا الموضوع تفصيلا حين الكلام عن الانفعالات[2] • واخيرا، فان الاقناع يحدث عن الكلام نفسه ، اذا أثبتنا حقيقة او شبه حقيقة بواسطة حجج مقنعة مناسبة للحالة المطلوبة •

ثم اذن هذه الوسائل الثلاث لاحداث الاقناع • ومن يملكها يجب أن يكون قادرا : (١) على التفكير المنطقي ، (٢)وعلى فهم الخلق الانساني والخير في مختلف اشكالهما ، (٣) وان يفهم الانفعالات ، أعني ان يسميها ويصفها[3] ويعرف اسبابها والطرق التي بها تستثار وهكذا يظهر أن الخطابة فرع من الجدل ، وأيضا فرع من علم الاخلاق

وهكذا يظهر أن الخطابة فرع من الجدل ، وأيضا فرع من علم الاخلاق يمكن ان يدعي بحق علم السياسة[4] • وهذا هو السبب في أن الخطابة قد

---

(١) اي اننا على استعداد اكثر للثقة بقول الاخيار من الناس . وهذا صحيح مهما كان الموضوع ، وهو صحيح صحة مطلقة في الاحوال التي يستحيل فيها اليقين وتختلف الاراء .

(٢) في المقالة الثانية ، الفصول من ٢ الى ١١

(٣) اي ان يكشف عن طبيعتها وخصائصها وانواعها وفصولها النوعية .

(٤) لما كانت الخطابة تبحث في الافعال والاخلاق والفضائل والانفعالات فانها وثيقة الصلة بعلم السياسة ، وبالتالي : بعلم الاخلاق ، ذلك لان السياسة والاخلاق تبحثان في موضوع واحد من وجهتي نظر مختلفين :اذ كلتاهما تبحث في العادة والفضيلة : الاولى في الدولة ، والثانية في الفرد .

تدخل في شكل[1] السياسة ، والذين يدعون امتلاكها : اما عن جهل ، أو عن خيلاء ، أو عن ضعف انساني آخر ، يتصرفون على هذا النحو[2] . ذلك أن الخطابة ـ كما قلنا في بداية الكلام ـ نوع من أقسام أو مشابه الجدل ، لانه لا واحد منهما يبحث في طبيعة موضوع معين بالذات ، بل هما قوتان لانتاج الحجج . وهكذا قلنا ما فيه الكفاية تقريبا فيما يتعلق بقوى هذين الفنين وعلاقاتهما المتبادلة .

لكن فيما يتصل باغراض البرهان ، الحقيقة أو الظاهره ، فانه كما أن الجدل ضربان من الحجاج هما الاستقراء (١٣٥٦ ب) والقياس الحقيقي أو الظاهري ، فالامر كذلك فيما يتصل بالخطابة ، لان المثل استقراء ، والضمير قياس ظاهر . وتبعا لذلك فانني أسمي ضميرا : القياس الخطابي ، وأسمي المثل استقراء خطابيا . وكل الخطباء ينتجون الاعتقاد باستخدام الامثلة أو الضمائر ، ولا شيء غيرها كحجج ، حتى انه اذا كان من الضروري ـ بوجه عام ـ اثبات أية واقعة سواء بالقياس أو بالاستقراء ـ وأما أن الامر هو هكذا فهو واضح من أنا لوطيقا[3] فان واحدا من الزوجين الاولين (الضمير والمثل) يجب ان يكون هو بعينه كل واحد من الزوجين الآخرين (القياس والاستقرار) . والفارق بين المثل والضمير واضح من كتاب « الطوبيقا »[4] حيث قلنا ونحن نبحث في القياس والاستقراء ان الدليل المستمد من الاحوال الجزئية على ان هذه هي القاعدة ، يسمى في الجدل : استقراء ، وفي الخطابة : مثلا . ولكن اذا وضعنا أشياء معينة تنتج عن ذلك شيء مختلف ، اما كليا أو في معظم الاحوال فان مثل هذا الاستنتاج يسمى في الجدل : قياسا ، وفي الخطابة ضميرا .

ومن الواضح أن الخطابة تملك هاتين الميزتين[5] ـ لأن ما قلناه في « المناهج »

---

(١) اي تتقنع بقناع السياسة ، وهذا مجاز مستعار من لغة المسرح والتمثيل.

(٢) اي ان الخطيب يتصرف كانه (او يدعي القيام بدور) السياسي ، والعكس

(٣) « أنالوطيقا الاولى » م٢ ف٢٣ ؛ « انالوطيقا الثانية » م١ ف١.

(٤) « الطوبيقا » م١ ف١.

(٥) اي استعمال القياس واستعمال الاستقراء . وهناك ترجمة اخرى للنص هكذا : « ومن الواضح ان كل نوع من الخطابة (مايستند الى المثل ، ومايستند الى الضمير) يحظى بميزة خاصة ».

ينطبق[1] في هذه الحـالة أيضا ــ ان الاقوال الخطابية تتميز أحيـانا بالأمثـلة وأحيانا أخرى بالضمائر ، والخطباء انفسهم يمكن ان يتميزوا بولعهم بهـذا النوع أو ذاك الأخر • والحجج القائمة على الامثلة يقصد بها أيضا الاقناع أما تلك التي تقوم على الضمائر فتلقي استحسانا أكبر • ومنشؤها والطريقة التي بها ينبغي أن تستعمل سننظر فيهما فيما بعد ، أما الآن فلنحدد على نحو اوضح هذه الحجج نفسها[2] •

وما هو مقنع يقنع فيما يتعلق بشخص ما ، وهو اما أن يقنع فورا وفي ذاته وبذاته ، أو لأنه يبدو أنه يثبت بقضايا مقنعة ، وأيضا فانه لا فن يعني بما هو جزئي ، كأن يعني الطب بما هو مفيد لسقراط أو قلياس، بل يعني بما هو مفيد لهذا الصنف أو ذاك من الاشخاص (لأن هذا يدخـل في نطـاق الفن الواحد ، بينما الجزئي لا يتناهى ، ولا يمكن أن يكون موضوعا لعلم حقيقي) وبالمثل فان الخطابة لن تنظر فيما يبدو محتملا في كل حالة فردية على حـدة ، بالنسبة لسقراط أو هيباس ، بل تنظر فيما هو محتمل بالنسبة الى هـذا الصنف من الاشخاص أو ذاك • والامر كذلك فيما يتعـلق بالجـدل فانه لا يستنتج نتائج من أية مقدمات كانت ــ فحتى المجانين لهم بعض الأهواء ــ (١٣٥٧ أ) بل يستمد مادته من موضوعات تتطلب مناقشة منطقية ، كما تفعل الخطابة في استمدادها موادها من الموضوعات المشتركة للمشاورة •

فمهمة الخطابة اذن هي البحث في الامور التي نشاور فيها ، والتي ليس لدينا عنها قواعد منظمة ، وذلك في حضرة مستمعين عاجزين عن اتخاذ نظرة عامة عن أمر ذي درجات عديدة ، أو عن متابعة سـلسلة طويلة من الحجج • لكننا انما نتشاور في أمور يبدو أنها تنبثق في اتجاهين ، اما تلك الامور التي لا يمكن في الماضي أو الحاضر أو المستقبل أن تكون بخلاف ماهي ، فلا أحد يتشاور فيها ، اذا افترض أنها هكذا ، لأنه لا جدوى من ذلك • ومن الممكن استخراج نتائج واستدلالات اما مما يرهن عليه من قبل بالقياس ، واما مما لم

---

(١) كتاب لارسطو مفقود ، وذكره زيوجانس اللائرسي في الفصل الخاص بحياة ارسطو (ﻫ١ ص٢٣٧ ترجمة فرنسية سنة ١٩٦٥ ،باريس) كما ذكره ديونوسيوس انهاليكرناسي في الرسالة الاولى الى امايوس

(٢) في المقالة الثانية الفصول ٢٠ ــ ٢٤ •

يتبرهن ولكن في حاجة الى برهان، لأنه ليس محتملا [1] وأول هذين المنهجين صعب سلوكه بالضرورة بسبب طوله ، اذ يفترض في القاضي أنه رجل بسيط، والثاني لن يلقي قبولا بيننا لأنه لا يستند الى ماهو مقربة او محتمل. والنتيجة الضرورية اذن هي أن الضمير والمثل يتعلقان بأمور يمكن ــ بوجه عام ــ أن تكون بخلاف ما هي ، اذ المثل نوع من الاستقراء والضمير نوع من القياس مستنبط من مقدمات قليلة ، وغالبا من مقدمات أقل عددا مما في القياس [2] ، لأنه اذا كانت احداهما ظاهرة معروفة جيـدا ، فلا حاجـة الى ذكرها ، لأن السامع يستطيع أن يضيفها بنفسه. فمثلا لاثبات أن دوريوس [3] كان المنتصر في المباراة التي كانت مكافأتها تاجا ، يكفي أن نقول انه احرز نصرا في الالعاب الاوليمبية ، ولاداعي لذكر أن الجائزة في الالعاب ا الاولمبية تاج ، لان الكل يعرفون ذلك .

ولمـا كان القليل من قضايا القياس الخطابي ضروريا ، لأن معظم الامور التي نحكم عليها ونفحص عنها يمكن أن تكون بخـلاف ماهي ، والافعـال الانسانية ــ و هي موضوع المشاورة والفحص ــ لما كانت كلها من هـذا النوع ، وعلى العموم لا واحد منها ضروري ،وأيضا لما كانت الوقائع التي تحدث بوجه عام أو هي ممكنة فقط لايمكن أن يبرهن عليها بوقائع من نفس النوع ، والوقائع الضرورية بقضايا ضرورية (ويتضح هذا الامر من كتاب « التحليلات [4] ») ــ فمن البين أن المادة التي منهـا تستمد الضمائر ستكون أحيانا ضرورية ، لكنها في الغالب صادقة صدقا على العموم ، وهذه المادة لما كانت احتمالات وعلامات فانه ينتج عن هذا أن هذين العنصرين يجب أن يناظر ا اذينك المنوعين من القضايا ، الواحد مع الواحد [5] . لان ماهو محتمل هو ما يقع عموما،

(١) بعض القضايا تبدو ملتبسة وغير مقبولة عند عامة الجمهور من السامعين ، لهذا يجب اثباتها أولا حتى يستطيعوا فهمها .

(٢) اي القياس الذي من الضرب الاول في الشكل الاول : ككك . وهويتالف من مقدمتين ، امـــا الضمير فمن مقدمة واحدة (راجع كتابنا : «المنطق الصوري والرياضي» ص ٢٢٤، القاهرة ط٢ سنة ١٩٦٣)

(٣) هو ابن دياجوراس الرودسي واشتهر مثل ابيه بانتصاراته في مباريات المصارعة في اليونان. وقد قام بدور بارز في الشؤون السياسية والبحرية في صف الاسبرطيين (٤١٢ ــ ٤٠٧ ق.م)، ولكنه اتهم بعد ذلك باهانتهم حتى قيل انهم قتلوه .

(٤) «التحليلات الاولى» م١ ف٨ .

(٥) اي ان الاحتمالات والعلامات تناظر على التوالي القضايا العامة والقضايا الضرورية.

وليس هو ـ كما تقول بعض التعريفات ـ اي شيء يحدث عامة ، بل فقط اذا كان ينتسب الى صنف ما هو « ممكن » أو « متغير » . وعلاقته بما هو محتمل تجاهه هي علاقة الكلي بالجزئي (١٣٥٧ ب) ومن العلامات نوع له نفس العلاقة بالتقرير الذي تسنده مثل علاقة الجزئي مع الكلي ، ونوع آخر له نفس العلاقة التي توجد بين الكلي والجزئي . والعلامات الضرورية تسمى تقمريون [τεκμήριον] ، وغير الضرورية ليس لها اسم خاص بها . وأسمي علاما ت ضرورية تلك التي يمكن منها تأليف قياسي منطقي ، ومن هنا فان مثل هذه العلاقة تسمى تقمريون ، لأن الناس حين يظنون أن حججهم لا تقبل التفنيد ، فانهم يظنون أنهم يوردون تقمريون أي شيئا برهن عليه وثبت ، ان في اللغة القديمة تقمر τέκμαρ وبيرس πέρας لهما نفس المعنى [1]

وبعض العلامات علاقاتها هي كعلاقة الجزئي الى الكلي ، فمثلا لو قلنا ان كل الحكماء عادلون ، لأن سقراط كان حكيما وكان عادلا ، وتلك علاقة ، ولكن على الرغم من أن القضية الجزئية صادقة ، فانها يمكن تفنيدها، لأنها لا يمكن ان ترد الى شكل منطقي . لكن لو قلنا ان من العلامة أن انسانا ما مريض ، لأنه مصاب بحمى ، أو أن امرأة ولدت لانها ذات لبن ، فتلك علاقة ضرورية . وهي من بين العلاقات وحدها التي تسمى تقمريون ، اذ في هذه الحالة وحدها ، اذا كانت الواقعة صحيحة ، فان الحجة لا تقبل التفنيد .

وبعض العلامات الاخرى علاقاتها هي كعلاقة الكلي بالجزئي ، فمثلا لو قلنا انها علامة ان هذا الرجل مصاب بحمى ، لأن تنفسه عسير ، ولكن حتى لو كانت الواقعة صحيحة فان هذه الحجة يمكن أن تفند ، اذ من الممكن أن يكون تنفس الانسان عسيرا دون أن يكون مصابا بحمى .

وهكذا نكون قد شرحنا معنى الاحتمال ، والعلامة والعلامة الضرورية،

---

(١) اي : حدق نتيجة اذ ان τέκμαρ من معانيها : حد ، علامة حدود، نهاية ، خط تحديد ، علامة ،دليل، عرض دال و πέρας من معانيها : حد نهاية ، غاية، حد اقصى ، درجة عليا .

والفارق بينهما ، وفي « التحليلات »[1] حددناها على نحو أوضح وقررنا لماذا يمكن تحويل بعضها الى حجج منطقية ،بينما لا يمكن تحويل بعضها الآخر .

وقد قلنا ان المثل نوع من الاستقراء، وأي نوع من المواد يتناول بواسطة الاستقراء و هو ليس علاقة جزء الى كل ، ولا كل الى جزء ، ولا كل الى كل، بل علاقة جز ءالى جزء ، وشبيه الى شبيه ،حين يندرجان تحت جنس واحد ولكن أحدهما معروف أكثر من الآخر . فمثلا لاثبات أن ديونوسيوس يريغ الى الطغيان ، لأنه يطلب حرسا خاصا له ، فيمكن أن نقول ان بايسستراتوس قبله وثياجنيس الميغاري فعلا مثل ذلك ، وحينما حصلا على ما طلبا ، جعلا نفسيهما طاغيتين . فكل الطغاة الآخرين يصلحون مثلا على ديونوسيوس ، وان كنا لا نعرف ، مع ذلك، السبب في طلبه حرسا خاصا له. وكل هذه الامثلة تندرج تحت نفس القضية الكلية وهي أن من يرغ الى الطغيان يطلب حرسا خاصا .

(١٣٥٨ أ) وهكذا نكون قد تكلمنا عن مواد التصديقات (= الحجج) التي تعد برهانية . ولكن فارقا كبيرا جدا بين الضمائر ند عن انتباه كل واحد تقريبا ، وان كان يوجد أيضا في منهج الأقيسة الجدلي . اذ ان بعضها ينتسب الى الخطابة ، وبعض الأقيسة فقط ينتسب الى الحدل ، وبعضها الثالث ينتسب الى فنون وقوى أخرى ، والبعض موجود من قبل ، والبعض غير موجود بعد . ومن هنا يند هذا عن انتباه الخطباء ، وكلما تخصصوا في موضوع ، تجاوزوا حدود الخطابة والجدل . وسيتضح هذا أكثر اذازدناه تفصيلا .

وأعني بالأقسية الجدلية والخطابية تلك التي تعني بما نسميه: « المواضع » ، التي يمكن تطبيقها ـ على السواء-على القانون (الشريعة) ،

---

(١) «التحليلات الاولى » م٢ ف٢٧ .

والفزياء ، والسياسة ، وعلى علوم أخرى كثيرة تختلف بالنوع ، مثل موضع الاكثر والاقل ، الذي يزود ـ بأقيسة وضمائر متساوية الجودة ـ القانون والفزياء ، أو أي علم آخر ، وان كانت هذه الموضوعات مختلفة بالنوع • وهناك مواضع خاصة مستمده من قضايا خاصة بكل نوع نوع أو جنس جنس من الاشياء : فهناك ، مثلا ، قضايا تتعلق بالفزياء لاتزود بضمائر ولا بأقيسة تتعلق بالأخلاق ، وهناك قضايا تتعلق بالأخلاق لا تفيد في التزويد بنتائج خاصة بالفزياء ، وهذا الامر يصح في كل الاحوال • والنوع الاول من المواضع لن يجعل المرء أقدر على فهم صنف معين من الاشياء ، لأنه لا يتناول أمورا بعينها، أما عن المواضع الخاصة ، فانه كلما كان الانسان أنجح في اختيار القضايا ، يكون أقدر على أن ينتج ـ لا شعوريا ـ علما مختلفا عن الجدل والخطابة • فقد نجح المرء في تقرير المبادىء المطلوبة ، ولكن علمه لن يعود بَعْدُ جدلا أو خطابة، بل علم تنتسب اليه المبادىء المكتشفة على هذا النحو • وغالبية الضمائر تقوم على هذه الانواع الخاصة من الاحتجاج ، وعدد قليل نسبيا هو الذي يقوم على النوع المشترك أو العام • فعلينا اذن هاهنا ، كما فعلنا في كتاب الجدل[1] ، ـ أن نميز ونحن نتناول الضمائر ، بين الحجج الخاصة والحجج العامة التي ستستند اليها •وأعني بالحجج الخاصة : القضايا الخاصة بكل صنف صنف من الاشياء ، وبالعامة تلك المشتركة بين جميع الاصناف على السواء • فلنتحدث أولا عن المواضع الخاصة ، ولكن قبل الشروع في ذلك فلنقرر الانواع المختلفة من الخطابة ، حتى اذا ما فرغنا من تعدادها ، حددنا عناصرها وقضاياها •

ـ ٣ ـ
« أنواع الخطابة وغاية كل منها »

أنواع الخطابة ثلاثة تتناسب مع السامعين ، لأن كل خطبة تتألف من ثلاثة عناصر : الخطيب ، والموضوع الذي يتناوله ، والشخص الذي يوجه

(١) راجع « الطوبيقا » م١ ف١٠ ، ١٤ ، م٣ ف٥ ، وقارن «المغالطات السوفسطائية» ٩.

اليه الخطاب ـ أعني السامع الذي اليه يحيل الغاية أو الهـدف من الخطبة (١٣٥٨ ب) أما السامع فهو بالضرورة مجرد مشاهد أو قاضي ، والقاضي اما أن يحكم على الأمور الماضية أو على الأمـور المقبلة [١] • فمثلا العضو في جمعية عمومية هو حاكم (قاض) على الأمور المقبلة ،والقاضي δικαστής يقضي في الأمور الماضية ، والمشاهد يحكم على مهارة الخطيب • ولهذا كان هناك بالضرورة ثلاثة أنواع من الخطب: المشورية ،والمشاجرية، والبرهانية [٢]

فأما المشوري فهو اما حض أو نهي : لأن الذين يشيرون في الخواص وأولئك الذين يخطبون في المجامع اما أن يحضوا ، أو ينهوا •

واما المشاجري فمنه اتهام ، ومنه دفاع ، لأن الذين يتشاجرون لا محالة اما أنهم يتهمون ، أو يدافعون •

وأما البرهاني فمنه مدح ، ومنه ذم •

ويناسب كل نوع من هذه الأنواع زمان : فالمشوري يناسبه المستقبل ، لأن الخطيب ، سواء كان يحض أو ينهي ، يشير بأمور مستقبلة ، ويناسـب المشاجري الزمان الماضي ، لأن اتهام الواحد ودفاع الآخر يتعلق دائما بأمور حدثت في الماضي ، ويناسب البرهاني غالبا الزمان الحاضر، لأن الذين يمدحون أو يذمون يتناولون الأحوال الراهنة • لكن قد يحدث للخطباء البرهانيين أن يتناولوا أزمنة أخرى : الماضي بتذكره ، أو المستقبل بتوقعه •

ولكل نوع من الأنواع الثلاثة غاية خاصة مختلفة ، ولما كانت أنواع الخطابة ثلاثة فهناك ثلاثة أنواع من الغايات • فغاية الخطيب المشاور هـو النافع أو الضار ، لأن من يحض يوصي بمسلك بوصفه الأحسن ، ومن ينهي ينصح بتجنب مسلك لانه الاسوا ، وكل الاعتبارات الاخرى ، مثل العدل

---

(١) ينظر الى الانواع الثلاثة من السامعين على انهم قضاة (والمشاهد فقط بمثابة : ناقد) ،وان كان القاضي κριτής بالمعنى المحدود انما يطلق على الحاكم في المحاكم.

(٢) فى الترجمة العربية القديمة : التثبيتية . والمشاجرى هو الخاص بالمنازعات القضائية فـي المحاكـم . والمشورى هو الخاص بالمحافل والجمعيات .

والظلم ، الشرف والخسة ، مندرجة كلواحق في هذا •

وغاية الخطيب في المنازعات القضائية هو العادل أو الظالم ، وفي هـذه الحالة أيضا تندرج سائر الاعتبارات كلواحق •

وغاية من يمدح أو يذم هو الشريف والخسيس ، ويرد سائر الاعتبارات الى هذين •

والدليل على أن ما قلته هو غاية كل واحد من هذه هو أن الخطباء أحيانا لا يجادلون في الأمور الأخرى • فمثلا الرجل الذي يحاكم لا ينكر دائما أنه قد ارتكب فعلا أو أحدث ضررا ، لكن لن يقر أبدا بأن فعله ظالم ، والا لما كانت المحاكمة ضرورية • وكذلك فان الخطيب في الأمور المشاورية وان كان يضحي بكل شيء آخر فانه لن يقر أبدا بأنه يحض على ما ليس بنافع، أو ينهي عما هو نافع ، لكنه غالبا ما يكون غـير مكترث لبيان أن استعباد الشـعوب المجاورة ، حتى لو لم يرتكبوا أي أذى ، هو (ليس)[1] عمل من أعمـال الظلم • (١٣٥٩ أ) وبالمثل فان الذين يمدحون أو يذمون لا ينظرون هل فعل الانسان ما هو نافع أو مؤذ، بل غالبا ما يطرونه على أنه لم يراع منفعته الخاصة وأدى فعلا شريفا • فهم مثلا يمدحـون أخيـلوس لأنه أعان فطروقلس[2] صاحبه ، وهو يعلم أنه مقدر عليه ان يموت ، وان كان من الجائز أن يعيش ، وكان مثل هذا الموت أشرف له ، وان كانت حياته أنفع •

---

(١) في النص اليوناني οὐκ ἄδικον (ليس ظلما). وقد اقترح البعض حذف اداة النفي تبرئة لارسطو من تهمة تبرير استعباد الشعوب المجاورة حتى لو لم يرتكبوا اي اذى.
وفي ترجمة روبرتس : « والسؤال عما اذا كان ليس من انجور ان تستعبد مدينة جيرانها الابرياء غالبا ما لايشغل بالهم ابدا ».
ويبدو ان ارسطو يشير هنا الى المعاملة التي عاملت بها اثينا سكان جزيرة ميلوس (سـنة ٤١٦ق.م) بسبب ولائها للاسبرطيين خلال الحرب الفلوفونيزية (ثيوكيديدس م٥ ٨٤ — ١١٦).
ولقد رفض رسل اثينا مناقشة مسالة ماذا كان ذلك صوابا او خطا ،زاعمين ان ذلك انمـا يكون بين الاكفاء في القوة ، وقالوا ان المصلحة هي ما ينبغي اعتباره فقط.

(٢) راجع «الالياذة» النشيد ١٨ البيت رقم ٩٧ وما يتلوه : « حماية لجسمه وانتقاما لموته ... ».

وَبيِّنٌ مما قيل أن الخطيب يجب أن يكون مستعدا بقضايا في هذه الموضوعات الثلاثة [1] والعلامات الضرورية ، والاحتمالات ، والعلامات هي قضايا صاحب الخطابة ، لأن القياس – في مجموعه [illegible] - يتألف من قضايا ، والضمير قياس مؤلف من القضايا المذكورة سابقا . ثم انه لما كان المحال لا يمكن أن يفعل ولن يفعل ، وانما الممكن فقط ، ولما كان لم يحدث ولن يحدث لا يمكن أن يكون قد حدث أو سيحدث ، فمن الضروري لكل واحد من أصناف الخطباء الثلاثة أن يكون مستعدا بقضايا تتناول الممكن والمستحيل ، وهل حدث شيء ما أو لم يحدث ، أو سيحدث أو لن يحدث . وأيضا لما كان الجميع، سواء مدحوا أو ذموا، حضوا أو نهوا اتهموا أو دافعوا ليس فقط يحاولون أن يثبتوا ما قرروه ، بل وأيضا أن نفس الامور ، خيرة كانت أو شريرة ، شريفة أو خسيسة ، عادلة أو ظالمة ، هي عظيمة أو صغيرة ، اما في ذواتها أو بالنسبة بعضها الى بعض – فمن الواضح انه من الضروري للخطيب أن يكون مستعدا بقضايا تتناول العظيم والصغير ، والأعظم والاقل، كليا وجزئيا ، مثلا : ماهو الأعظم أو الأقل خيرا ، وماهو ظلم أو عدل ، وكذلك بالنسبة الى سائر الموضوعات .

وهكذا نكون قد ذكرنا المواضع التي ينبغي على الخطيب أن يزود نفسه بقضايا خاصة بها ، وعلينا بعد ذلك أن نميز بينها على حدة ، أعني أن نذكر ما يتناوله كل واحد من الأنواع الثلاثة التي تنقسم اليها الخطابة : المشوري والمشاجري ، والبرهاني .

– ٤ –
موضوعات المقدمات في المشوريات

وعلينا أن نذكر اولا بأي الأشياء الحسنة أو السيئة يشير الخطيب المشاور ، مادام لا يستطيع أن يفعل ذلك بالنسبة الى كل الأمور، وانما بالنسبة

---

(١) وهي : النافع ، العادل ، الشريف – واضدادها .

إنى الأمور التي يمكن أن تحدث أو لا تحدث وحدها. كل ماهو من الضروري أن يكون أو سيكون ، أو مالا يمكن أن يكون أو يحدث ــ هو خارج عن مجال المشورة • نعم ، حتى في حالة الأمور الممكنة فان المشورة ليست دائما ملائمة ، لانها تتضمن بعض المزايا ، الطبيعية والعرضية ، التي لا تستحق أن نسدى فيها النصيحة • لكن من الواضح أن النصيحة مقصـورة على تلك الموضوعات التي تستوجب المشورة ، وتلك هي الأمور التي يمكن طبيعيا أن تشير الى أنفسنا والتي سببها الأول في مقدورنا ، لأن فحصنا مقصـور على الكشف (١٣٥٩ ب) عما اذا كانت مثل هذه الأمور ممكنة أو مستحيلة أن نقوم بهـا •

ومع ذلك فلا حاجة بنا الآن الى محاولة سرد هذه الموضوعات بدقة تامة قدر الامكان لأن هذه ليست مهمة فن الخطابة ، بل مهمة فن أفيد وأدق وفرع أصدق من فروع المعرفة ، ثم ان الخطابة قد أسندت اليها موضوعات للبحث أكثر مما ينتسب حقا اليها • والحق ، كما قلنا من قبل [1] أن الخطابة مزيج من علم المنطق ومن الفرع الآخلاقي للسياسة وهي من ناحية تشبه الجدل ، ومن ناحية أخرى تشبه التفكير السوفسطائي • لكن كلما حاولنا أن نجعـل الجدل أو الخطابة على غير ما هما في الواقع ، أي لاملكـات عملية ، بل علوما، فاننا عن غير وعي نحطم طبيعتهما الحقيقية، لأننا بذلك نعيد تشكيلها ونحولها الى ميدان العلوم الباحثة في موضوعات محددة ، بدلا من مجرد تناول الكلمات والاشكال الخاصة بالكلمة [2] • ومع ذلك فاننا نستطيع الآن أيضا أن نذكر الموضوعات الجديرة بالتحليل ، تاركين الكثير لعلم السياسة •

والآن يمكننا أن نقول ان أهم الموضوعات التي يتشاور فيها النـاس ويخطب بشأنها الخطباء المشاورون: خمسة، وهي : الطرق والوسائل، الحرب والسلام ، الدفاع عن الوطن ، الوارد والصادر ، والتشريع •

---

(١) م١ ف٢ ص ٣٥٦ ، اس ٢٥ ومايتلوه •

(٢) او يترجم هكذا : « بنقلهما الى ميدان العلوم التي موضوعاتها امور معينة محددة ،لامجرد الفاظ».

وتبعا لذلك فان الخطيب الذي ينصح في أمور الطرق والوسائل ينبغي عليه أن يكون على علم بطبيعة ومدى مـوارد الدولة ، بحيث لو نسي شيء أمكنت اضافته ، واذا كان شي غير كاف ، زيد في مقداره . وأيضا عليه أن يعرف كل نفقات الدولة ، بحيث لو كان منها ما هو زائد استبعد ، واذا أفرطت في الكبر أختزلت . لأن الناس يصبحون أكثر ثراء ليس فقط بأن يضيفوا الى ما يملكون ، بل أيضا باقتطاع النفقات . ولكن تحصيل نظرة عامة عن هـذه الأمور ليس فقط من التجربة الفردية ، بل لابد من أجل اسداء المشورة بشأنها، من العلم الجيد بما اكتشفه الآخرون .

وفيما يتعلق بالحرب والسلام ينبغي على الخطيب أن يعرف قوة الدولة، وكم مقدارها الآن وكم يمكن أن تصير ، ومن أي نوع هي الآن ، وأية زيادات يمكن أن تضاف اليها ، وأي حروب حاربت ، وكيف خاضتها . تلك أمـور ينبغي عليه أن يعرفها ، ليس فقط فيما يتصل بدولته وحدها ، بل وأيضا فيما يتعلق بالدول المجاورة ، خصوصا تلك التييحتمل أن تقع حروب معها ، بحيث يمكن اتخاذ موقف مسالم تجاه الأقوى ، أما تجاه الأضعف فان قرار شن الحرب عليها يترك لدولته هو (١٣٦٠ أ) كذلك يجب عليه أن يعرف هل قواتها تشبه أولا تشبه قوات دولته ، في ذلك ربما كان مزية أو مضرة . وبالنسبة الى هذه الموضوعات يجب عليه أيضا أن يفحص عن النتائج ، ليس فقط نتـائج الحروب التي شنتها دولته، بل أيضا تلك التي خاضتها دولة أخرى ، لأن نتائج متشابهة تنتج عن أسباب متشابهة .

كذلك فيما يتعلق بالدفاع عن الوطن ، ينبغي عليه ألا يجهل كيف يتم ، وعليه أن يعرف مقدار قوة الحرس ، وأخلاقه ، ومواقع الحراسة (وهو أمر مستحيل على من لا يعرف الاقليم) بحيث لو كان الحرس غير كاف فيمكن زيادته ، أو ان كان زائدا عن الحاجة فيمكن صرفه ، وتوجيه عناية أكبر الى المواقع المناسبة .

وأيضا فيما يتعلق بالطعام ينبغي عليه أن يعرف أي مقدار من النفقة يكفي لاشباع الدولة ، وأي نوع من الطعام ينتج في داخـل الوطن ، وأيه يمكن أستيراده من الخارج ، وما هي الصادرات والوردات الضرورية ، حتى يمكن عقد العقود والاتفاقات مع أولئك الذين يستطيعون تولي ذلك ، اذ ينبغي أن يكون المواطنون على علاقات لا شائبة فيها مع صنفين من الناس: من هم أقوى، ومن هم أنفع للأغراض التجارية .

ومن أجل سلامة الدولة ، لابد للخطيب أن يكون كفءا للحكم في كل هذه المسائل ، لكن فهم التشريع أمر ذو أهمية خاصة ، لأن سلامة الدولة انما تقوم على القوانين . ولهذا يجب عليه أن يعرف كم هي أشكال الحكومات ، وما هو النافع لكل واحدة منها ، وما هي الاسباب الطبيعية لسقوطها ، وهل هي خاصة بشكل الحكومة أو مضادة له . وأقصد بقولي انها تفسد لأسباب خاصة بها أنه باستثناء الشكل الكامل للحكومة ، فان سائر أشكالها يفسد اذا قصرت فاسترخت، واذا أفرطت فاشتدت . فان الديمقراطية تضعف وتؤول الى الاوليغاركية[1]، ليس فقط اذا استرخت ، بل وأيضا اذا اشـتدت وصارت عنيفة جدا ، وذلك بمنزلة الانف المسنون أو الأفطس فانه لايعرف من الاعتدال اذا قل واحد من هذين العيبين ، بل انه اذا صار مسنونا أو أفطس بافراط فانه يصير الى حد أن يظن أنه لا أنف هناك .

وفضلا عن ذلك فانه فيما يتعلق بأفعال التشريع فمن النافع ليس فقط أن نفهم أي شكل من الحكومة هو النافع بأن نحكم على ضوء الماضي ، بل وأيضا أن نعرف حال الحكومة في الدولة الأخرى ، وان تتعلم أي أنواع الحكومات

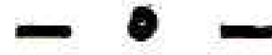
---

(١) في الترجمة العربية القديمة يترجم هذه الكلمة «خسيسة الرئاسة». ولكن معناها هو : حكومة الاقلية وفقا لمصالحها الخاصة (راجع «السياسة» لارسطو ١٢٧٨ ب ١٢ ، ١٢٧٩ ب٢٤)، او حكومة الاغنياء (١٢٧٩ب٧، ٣٤ ــ ١٢٨٠. ١٢٩٠، ٦أ ٣٠أ ــ ب٢٠، ١٢٩١ ب٩)، و الاوليجاركية فساد للارستقراطية ، وان كانت شعبيا تعتبر حكومة الافاضل (١٢٩٣ ب٤٠)، وتشبه الطغيان فى حب الثروة .

مناسبة لاي نوع من الشعوب . ولهذا فمن الواضح ان كتب الراحلات مفيدة للتشريع ، لانها تساعدنا في فهم قوانين الدول الاخرى ، وان الكتب التاريخية(١) مفيدة في المشاورات السياسية . ولكن هذه الامور كلها تنتسب الى السياسة لا الى الخطابة .

(٣٦٠ ب) تلك اذن المسائل العظمي التي ينبغي على الخطيب المشاور ان يتضلع منها .

فلنذكر الان المصادر التي ينبغي ان نستمد منها الحجج للحض او المناقشة في هذه المسائل وغيرها .



— ٥ —

الغاية في المشورة : الخير الاسمى واجزاؤه

والناس افرادا وجماعات ، لهم جميعا تقريبا غاية ، وهم من اجل بلوغها يختارون او يتجنبون بعض الامور . وهذه الغاية هي على سبيل الايجاز : السعادة والاجزاء التي تتألف منها . وابتغاء الايضاح لنذكر ما هي السعادة ، بوجه عام ، ومن اي اجزاء تتألف ، لان الذين يحضون او ينهون يتناقشون في السعادة وفي الامور التي تؤدي اليها او تحول دونها. اذ ينبغي على المرء ان يفعل الامور التي تحقق السعادة او جزء منها ، او تزيدها بدلا من ان تنقصها ، وان يتجنب الامور التي تقضي عليها او تمنع منها او تجلب ما يضادها .

فلنحد السعادة بأنها حسن الفعال εὐπραξία مع الفضيلة ، او استقلال الحياة او الحياة الملائمة جدا مع الامن ، او السعة في المال والعبيد(٢) مع القوة

(١) الترجمة الحرفية لليوناني هي : « ابحاث اولئك الذين يكتبون عن الاعمال الانسانية » .

(٢) وتترجم ايضا : « المال والبدن » (روبرتس) او « حسن الحال .. البدن » — اذ في اليونانــــي σωμάτων . وكلمة σώματα معناها الاصلي هو الجسم ، البدن ، ومن معانها ايضا عنــد ارسطو وغيره : « العبد » (راجع Polybe,12,16,5 وقد غاب هذا الاستعمال بولفكس النحوي (عاش حوالي سنة ١٨٠ بعد الميــلاد) . والترجمة القديمة ترجمته هكذا : « العبيد » .

الحافظة والفاعلة لهذه ، لأن كل الناس تقريبا يقرون بأن واحدا أو أكثر من هذه الأمور يكون السعادة • فان كانت هذه اذن طبيعة السعادة ، فان الأجزاء المركبة لها يجب أن تكون لا محالة هي : كرم الحسب ، وكثرة الاخوان ، وجودة الأصدقاء ، والثراء ، وصلاح الأولاد ، وكثرة الابناء ، والشيخوخة الصالحة ، ثم فضائل الجسد مثل الصحة والجمال ، والقوة ، وجزالة البدن ، والكفاءة للمباريات الرياضية ، وحسن السمعة ، والشرف ، وسعادة الجد ، والفضيلة • فان الانسان يكون مكتفيا تماما اذا امتلك كل الخيرات الباطنة والظاهرة ، لأنه لا يوجد هناك غيرها • والخيرات الباطنة هي خيرات العقل والجسم ، والخيرات الظاهرة هي الحسب الكريم ، والأصدقاء ، والمال ، والشرف ، ونظن أنه ينبغي أن يضاف اليها بعض الملكات وسعادة الجد ، فالحياة في هذه الأحوال تكون آمنة تماما • ولننظر الآن بهذا النحو من النظر في تحديد كل واحدة من هذه بالتفصيل •

أما الحسب فانه في القوم أو في المدينة (الدولة) معناه أن يكون أفرادها أو سكانها منبثقين من ترابها [1] أو أن يكونوا قدماء النزول بها ، وأن رجالها الأول كانوا مشهورين بوصفهم قادة ، وأن كثيرا من ذريتهم كانوا ذوي ذكر جميل بسبب ما اتصفوا به من صفات مقدرة تقديرا رفيعا • وفي حالة الافراد ، فان الحسب الكريم ينشأ اما عن جانب الأب أو عن جانب الأم ، ولا بد أن يكون هؤلاء الأسلاف من كلا الجانبين أحرارا ، وفي حالة الدولة (المدينة) أن يكون مؤسسو عمود النسب مشهورين بالفضيلة أو الثراء أو غير ذلك من الأمور المكرمة ، وأن يكون كثير من الأشخاص البارزين ينتسبون الى تلك الأسرة ، رجالا ونساء ، وشبابا وأشياخا •

اما « كثرة الأبناء » و « صلاح الأولاد » فمعناهما واضح تماما • واذا طبقا على جماعة ، فمعناهما أن يكون شبابها عديدين ومن نوع جيد : جيد في

(1) هذا هو ما كان يفاخر به الاثينيون دائما .

(١٣٦١ أ) الامور المتصلة بسلامة البدن مثل القوام ، والجمال ، والقـوة ؛ والقوى العضلية ، وكذلك في فضائل النفس، وهي في الشـباب : العفـة والشجاعة • واذا طبقا على الفرد ، فمعناهما كثرة أولاده ، وتحليهم بالصفات الحسنة التي ذكرناها • والكلام هنا يشمل الذكور والاناث على السـواء ، وفضائل الاناث هي بالنسبة الى الجسم : الجمال ، والقوام ، وبالنسبة الى النفس : ضبط النفس (العفة) وحب الكد دون حطة • والجماعات والأفراد يجب عليهم ألا يفتقروا الى شيء من هذه الكمالات ، سـواء في الرجال وفي النساء • وحيث يكون وضع النساء سيئا ــ كما هي الحال عند اللاقدمونيين [1] ــ فان نصف الحياة تقريبا يفسد •

فأما أجزاء الثراء فهي : كثرة الدنانير والأرضين ، وامتلاك ضياع عديدة واسعة جميلة ، وكذلك امتلاك أمتعة جميلة عديدة ، ومواشي كثيرة ، وعبيد ــ على أن تكون كلها مأمونة وميسورة ، ونافعة ، والملكية المنتجة أنفع ، لكـن الملكية التي الغرض منها هو التمتع هي أكثر حرية •

وأقصد بالمنتجة تلك التي هي مصدر للدخل ،وأقصد بملكية التمتـع تلك التي لا ميزة لها وراء استعمالها ــ أو في القليل ميزة تستحق الذكر • والمأمون من الملكية تلك الموجودة في أماكن وفي ظروف من شأنها أن تجعـل استعمالها في متناول أيدينا ، والتملك هو حق التصرف أو عدم التصرف ، أي نقلها للغير أو بيعها • وبالجملة فان الثراء يقوم في الاستعمال أكثـر منه في التملك • لأن الفعل بهذه الأشياء واستعمالها هما الثراء •

أما حسن السمعة فهو أن يعده الكل فاضلا ، أو أن يكون مالكا لشيء من شأنه أن يشتاقه معظم الناس ، أو الأخيار منهم ، أو الأكياس [2]

والشرف [3] دليل على الاشتهار بفعل الخير ، والذين فعلوا أفعالا خـيرة

---

(١) اي اهل اسبرطة •

(٢) اي اصحاب الحكمة العملية من الناس •

(٣) في الترجمة العربية القديمة : الكرامة •

يكرمون أكثر من غيرهم وعن حق ، لكن ليس القادر على فعل الخير مكـرما أيضا • وفعل الخير اما أن يتعلق بالأمن الشخصي وكل أسباب الحيـاة ، أو بالثراء ، أو بأية أمور صالحة أخرى ليس من السهل اكتسابها ، اما تحت أية ظروف ، أو في مثل هذا المكان ، أو في مثل هذا الزمان ، لأن كثيرا من الناس يكرمون على أفعال تبدو تافهة ، لكن هذا انما يتوقف على المكان والزمان • وأجزاء الشرف هي : القرابين ، التذكارات الشعرية والنثرية ، الامتيـازات ، اقطاعات الأراضي ، المقاعد الأمامية ، الدفن في جنازة عامة ، المعاش من الدولة، وعند البرابره السجود ، وافساح المكان ، وكل أنواع الهدايا النفيسـة في كل بلد ، لأن الهدية تقديم لشيء مملوك ودليل على التكريم في وقت واحـد معا ، (١٣٦١ ب) ولذا كانت الهدايا يشتاقها أصحاب المطامح والمولعـون بالمال ، لأنها امتلاك للآخرين وتكرمة للأولين ، فهي تزود كلا الفـريقين بما يحتاجه •

أما فضيلة الجسد فالصحة ، بحيث لو استعملنا أبداننا نكون مبـرأين من الأسقام ، لأن كثيرا من الناس « اصحاء » على النحـو الذى قيـل أن هروديقوس كان عليه ، وهؤلاء لا أحد يقدر على تهنئتهم على « صحتهم » تلك ، لأنه كان عليهم الامتناع من كل ، أو جل ما يستمتع به الناس •

أما الجمال فيتنوع حسب العمر • فالجمال في الشاب أن يكون له جسم قادر على تحمل كل المجهودات ، سواء في السباق في العدو أو في قوة البدن ، وأن يكون منظره باعثا للسرور ويترقرق في وجهه ماء البشر • ولهـذا كان

(١) هروديقوس Ηρόδικος من سلمبريا : كان طبيبا ومعلما للالعاب الرياضية الصحية حوالي سنة ٤٢٠ ق.ن . ويقال انه كان ينصح مرضاه بضرورة المشي على الاقدام من اثينا الى ميغارا والعودة الى اثينا وهي مسافة تبلغ ٧٠ ميلا تقريبا . وقد سخر منه افلاطون كما سخر منه تلميذه بقراط لانه كان يقتل مرضـاه تعبا ومشقة .

المزاولـــــون للألعـــــاب الخمـــــس[1] حسانا جدا ، لأنهم مهيـأون بطباعهم للقهر وللخفة • والجمال في أوج النضوج أن يكون المرء مهيأ بطبعـه لمشقة الحرب ، وأن يكون حسن الطلعة ، مع سمت وهيئة ــ والجمال في الشيخ المسن أن يكون كفءا للقيام بما لا بد منه من الأعمال وألا يسبب المتـاعب للآخرين ، لخلوه من مضايقات سن الشيخوخة •

فأما البطش فانه قوة يجدل بها المرء غيره كيف شاء ،[2] وهو أمر يحتاج لا محالة الى أن يجذب ، أو يرفع ، أو يعصر أو يضغط ، حتى ان ذا البطش انما يكون ذا بطش بكونه قادرا على فعل هذه الأمور أو بعضها •

فأما فضيلة الضخامة فان يجاوز المرء معظم الناس في الطول والغـور ، والعرض ، ويكون مع ضخامته لا تكون حركاته متكلفة نتيجة افراطه •

وأما فضل الجسم في الألعاب الرياضية فانه يقوم في ضخامة الجسـم ، والبطش ، والخفة ، فان الخفيف أيضا قوى ، لأن الذى يستطيع نقل سـاقيه على نحو معين ، وأن يحركهما بسرعة وبخطى واسعة ، يكون عداء حسـنا ، والذى يستطيع أن يقبض ويضغط ، يكون مصارعا جيدا ، والذى يستطيع أن يدفع بضربة من قبضة يده ، يكون ملاكما ماهرا ، والذى يتفوق في الملاكمة والمصارعة فهو فنقراطيسطيقى παγκρατιαστικοί ، والذى يتفوق فيهـا جميعا فهو ذو الألعاب الخمس

وأما الشيخوخة الصالحة فهى التي تدلف ببطء مع الخلو من الألم ، لأن الذي يشيخ بسرعة ، وكذلك الذي يشيخ ببطء ولكن مع آلام ، كليهمـا لا ينعم بشيخوخة صالحة • وهذا يتوقف أيضا على الفضائل البدنية وعـلى حسن البخت ، لأنه اذا لم يكن المرء خلوا من الأسقام وقويا ، فانه لن يبـرأ

---

(١) πένταθλοι وهي القفز ، والعدو ، ورمي القرص ، ورمي المقلاع ، والمصارعة

(٢...) ترجمتنا ماخوذة عن الترجمة العربية القديمة ، و « البطش » لا يحمل بالضرورة معنى سيئا كما يعيب على معنى هذا النمط الان ، ومنه قوله تعالى: « ان بطش ربك لشديد » ــ وهو في اليوناني ἰσχύς

من الآلام ، كما أنه لن يعيش طويلا ومبرءاً من الالام اذا لم يكن حسن الحظ . وبالاضافة الى الصحة والبطش ، هناك قوة حيوية في بعض الأحوال ، لأن كثيرا من الناس يعيشون طويلا وهم مع ذلك خلو من الفضائل البدنية . لكن دقة الفحص عن مثل هذه المسائل ليست مطلوبة بالنسبة الى غرضنا الآن .

أما معنى كثرة الاخوان[1] وصلاح الاخوان فيسهل فهمه من تصفح تعريف من هو الصديق . ان الصديق هو من يسعى كي يصنع لصديقه مايظن أنه نافع له . والانسان الذي يستشعر نحوه كثير من الأشخاص مثل هذا الشعور هو انسان كثير الأصدقاء ، وان كانوا صالحين ، فانه ذو أصدقاء صالحين .

فاما صلاح الجد (حسن الحظ) فهو أن يكتسب أو يملك اما كل ، أو جل ، أو أهم الخيرات التي سببها الجد (الحظ) . (١٣٦٢ أ) والجد (الحظ) سبب لأشياء تعني بها الفنون أيضا ، وكذلك سبب لكثير من الأمور التي لا شأن لها بالفن ، مثلا تلك التي ترجع الى الطبيعة (وان كان من الممكن أن تكون تنائج الجد مضادة للطبيعة)[2] ، لأن الفن سبب للصحة ، لكن الطبيعة هي سبب الجمال وضخامة القوام . وبالجملة ، فان الخيرات الناشئة عن الجد هي التي يكون المرء محسودا عليها . والجد يكون أيضا سببا لخيرات تحصل على عكس ما هو متعقل عقلا : فمثلا حين يكون الشخص جميلا ، بينما كل اخوته قبحاء الصورة ، أو حين يعثر شخص بكنز ، لا يراه غيره من الناس ، أو حين يصيب السهم شخصا واقفا هناك ، لا الشخص المقصود ، أو حين يذهب شخص الى مكان لأول مرة فيلقى حتفه ، بينما

---

(١) الاخوان : الاصدقاء φίλοι .

(٢) يمكن ترجمة هذه العبارة بطريقة اخرى مع حذف القوسين هكذا :
« مثلا تلك التي ترجع الى الطبيعة ، لكن من الممكن ايضا ان تكون مضادة للطبيعة والمعنى هو : بعض الامور الراجعة الى الحظ يمكن ايضا ان ترجع الى الحيلة الفنية لكن كثيرا من الامور مستقلة عن الفن ، مثل تلك التي ترجع الى الطبيعة ، وان كان من الممكن في الاشياء الراجعة الى الحظ ان تكون بالفعل مضادة للطبيعة .

شخص آخر كان كثير التردد عليه ولكنه لم يذهب اليه في هذه المرة • فكل هذه أمثلة على حسن الحظ •

ولندع تعريف الفضيلة ــ وهو أوثق الأمور صلة بموضع المدح ــ حتى نصل الى الكلام في هذا الأخير •

٦

في الخير والنافع

فبين اذن أي الأشياء ــ التي يحتمل أن تحدث أو هي موجودة بالفعل ــ ينبغي على الخطيب أن ينشد حين يحض ، وأيها حين يمنع وينهي ، لأنها أضداد • لكن لما كان غرض الخطيب المشاور هو ما هو نافع ، ولما كان الناس يتشاورون لا في الغايات بل في الوسائل الى الغايات ، وهي الأمور النافعة لأفعالنا ، وأيضا لما كان النافع خيرا ــ فيجب علينا أن ندرك أولا المعاني الأولية الخاصة بالخير والنافع بوجه عام •

فلنضع ان الخير هو ما يختار لأجل نفسه ، أو هو ما من أجله نختار شيئا آخر ، وأنه هو الذى يتشوق اليه الكل ، أو كل ذوي الحس والعقل ، أو ما يشتاقه الذين يملكون العقل ، أو ما يجب أن يقتضيه العقل عامة من كل فرد معلوم ، أو يقتضيه عقله الخاص ، بوصفه خيره الخاص ، أو ما حضوره يؤدي بالمرء الى أن يكون في حال مرضية كافية ، أو ما يكفي ذاته بذاته ، أو ما ينتج ، ويحفظ ، أو يؤدي الى خصائص من هذا النوع ، بينما يمنع من أضدادها ويقضي عليها • والشيء يلزم منه الشيء على جهتين : اما معا ، واما على التوالي • فالتعلم تلزم منه المعرفة ، على التوالي ، والصحة تلزم منها الحياة معا • والأشياء تنتج الأشياء الاخرى بثلاثة معان ، الاول مثلما أن كون الانسان صحيحا ينتج الصحة ، والثاني مثلما أن الغذاء يحدث الصحة ، والثالث مثلما أن الرياضة تفعل الصحة ، أعني تفعل ذلك عادة •

فاذا تقرر هذا فاننا نشاهد أن اكتساب الخيرات وازالة السيئات يجب أن يكونا خيرا ، والأخير يلزم عنه التخلص من الشرور معا ، بينما الأول يلزم عنه امتلاك الخيرات على التوالي . واكتساب خير أكبر بدلا من خير أصغر ، أو شر أقل بدلا من شر أكبر — هو خير أيضا ، لأنه بحسب ما يزيد الأكبر على الأقل (١٣٦٢ ب) يكون ثمة اكتساب لخير أو تخلص من شر . والفضائل أيضا ، خير لا محالة ، لأنه باقتنائها نكون في حال صالحة ، وهي تميل الى انتاج أعمال خيرة وأفعال صالحة . وعلينا أن نذكرها تفصيلا ونصفها في موضع آخر[1] . واللذة هي الأخرى خير لا محالة ، لأن من طبيعة كل الاحياء أن يشتاقوها . وعلى ذلك فان الأمور السارة والجميلة خيرات لا محالة ، لأن الأولى تنتج اللذة ، بينما الأمور الجميلة بعضها لذيذ وبعضها مشتاق في ذاته ومن أجل ذاته .

وهاك ثبتا مفصلا بالأمور الخيرة لا محالة : السعادة ، بوصفها مرغوبة في ذاتها وكافية بنفسها ، ومن أجلها نختار أشياء أخرى — وكذلك : العدل ، الشجاعة ، العفة ، كبر الهمة ، الجود ، وكل هذه الصفات التي تعد فضائل للنفس . وأيضا : الصحة ، والجمال وما أشبه ذلك ، بوصفها فضائل للجسم وتنتج خيرات أخرى عديدة : فمثلا الصحة تنتج اللذة والحياة معا ، ولهذا تعد أعظم الخيرات ، لأن الشيئين اللذين تنتجهما الصحة وهما اللذة والحياة هما من أعظم ما يقدره عامة الناس تقديرا عاليا — وكذلك : الثراء ، لأنه فضيلة الامتلاك ، وهو أيضا منتج لخيرات كثيرة أخرى — ثم الأصدقاء والصداقة ، لأن الصديق مرغوب في ذاته وأيضا لأنه ينتج خيرات أخرى كثيرة . وأيضا : الشرف وحسن السمعة بوصفهما لذيذين ومنتجين لخيرات أخرى كثيرة ، ويصحبها غالبا وجود خيرات تجعلهما يمنحان. — والقدرة على الكلام والفعل، لأن مثل هذه الصفات تنتج ما هو خير. — وأيضا جودة القريحة، وقوة الذاكرة،

---

(١) في الفصل التاسع من هذه المقالة .

والاستعداد للتعلم ، وسرعة الفهم ، وكل ما شابه هذه الصفات ، لأن هــذه تنتج مزايا . ونفس الأمر ينطبق على كل العلوم ، والفنون ، وحتى الحيــاة ، فانه لو لم ينتج عنها أي خير ، فانها مرغوبة في ذاتهاـ وأخيرا العدالة ، لأنها نافعة بوجه عام للجماعة .

تلك تقريبا هي كل الأمور التي تعد عامة خيرات ، أما الخيرات المشكوك فيها فالحجج المتعلقة بها تستخلص مما يلي : أن الخير هو المضاد لما هو شر ، أو المضاد لما هو مفيد لأعدائنا ، مثلا من المفيد خصوصا لأعدائنا أن نكــون جبناء ، فمن الواضح اذن أن الشجاعة مفيدة خصوصا للمواطنين .وبالجملة فان ضد ما يرغبه أعداؤنا أو ما يسرون به يبدو أنه مفيد ، ولهذا أحســن من قال :

« لا بد أن فرياموس سيسر بهذا سرورا عظيما [1] » .

صحيح أن هذا لايحدث في كل الأحوال ، لكن تلك هي القاعدة العامة، اذ لا شيء يمنع أن يكون الشيء الواحد أحيانا مفيدا لطرفين متضادين ، ومن هنا قيل ان المصائب تجمع الناس مع بعضهم بعضا ، حين يهددهم خطر مشترك. (١٣٦٣ أ) .

وما ليس مفرطا هو خير [2] ، بينما ما هو أكثر مما يجب هو شر .وكذلك ما كلف جهدا كبيرا ونفقات عظيمة ، لأنه يعد خيرا ظاهرا ، ومثل هذا يعــد نهاية ، نهاية لكثير من الجهود ، والنهاية خير . ومن هنا قيل [3] :

« وسيتركون لفرياموس (وأهل طروادة) ما يفاخرون به » .

---

(١) « الالياذة » النشيد الاول ، البيت رقم ٢٥٥ ، وهذه الكلمات قالها نسطور لاخيلوس وأجا ممنون . ويقصد منها ان اعداءهم سيسرون كثيراً لو علموا بما وقع بينهم من تنازع وشجار .

(٢) ويترجم ايضا « ما لا يمكن من الافراط هو خير » ، او : «ما لا يمكن الانسان الافراط فيه هو خير» .

(٣) « الالياذة » النشيد الثاني ، البيت رقم ١٦٠ . والكلام لهيراوهي ترجو الالاهة اثينا ان تمنعاليونانيين من الرحيل عن طروادة تاركين هيلانة وراءهم يتباهي باختطافها فرياموس واهل طروادة .

وقيل[1] :
« من الشائن أن تتلبث طويلا (ونعود خاوي الوفاض كما جئنا) » .
وذهب [2] المثل القائل : « (يكسر) الجرة عند الباب » .

وما يشتاقه الكثيرون ويتنافس فيه الكثيرون ، لأن ما يشتاقه الكل يعد خيرا ، كما بينا [3] و « الكثرة » تكاد تساوي « الكل » ـ وما هو ممـدوح ، لأنه لا أحد يمدح ما ليس خيرا ـ وما يثني عليه الأعداء ، لانه ان كان من يتضررون منه يقرون بخيريته ، فهذا يساوي الاقرار الكلي به ، لأنهم انمـا يقرون به بسبب وضوح خيريته ، كما أن من يمدحهـم أعـداؤهم عـديمو القيمة [4] . ولهذا ظن أهل كورنثوس ان سيمونيدس أهانهم حين قال :
« اليون٥٧،٨ آ لم تلم أهل كورنثوس [5] » .

وكذلك ما اختاره أحد الحكماء أو الصالحين ، رجلا كان أو امرأة ، وفضلوه على غيره ، كما اختارت (الآلهة) أثينا : أودسيوس ، وثاسيوس اختار هيلانة ، والآلهات اختارت الكسندر (= باريس) ، وهو ميروس اختار أخيلوس .

وبالجملة فان ما يختار بروية خير . والناس بروية يختارون الأمـور التي ذكرناها ، وما هو مؤذ لأعدائهم ، ومفيد لأصدقائهم ، والامور الممكنة .

---

(١) « الالياذه » النشيد الثاني ، البيت رقم ٢٩٨ ، والكلام لاودسيوس وقد راى الجيش راغبا في الرحيل ، فقال انه من الشائن بعد ان انتظرنا هنـا طويلا ان نعود بالفشل ، ويحثهم بهذا على الصمود والثبات والبقاء .

(٢) مثل على ضياع المجهود

(٣) راجع ص ١٣٦٢ أ ٢٣

(٤) على اساس انهم لم يؤذوا واجبهم ضد اعدائهم ، والا لكان هؤلاء ذموهم . وثم ترجمة اخرى لهذا الموضع : «أولئك الذين يلومهم اصدقاؤهم ، ولا يلومهم اعداؤهم».

(٥) البيت لسيمو نيدس الذي من خيوس (حوالي ٥٥٦ ـ ٤٦٨ ق.م) وكان شاعرا غنائيا لم يبق من شعره غير شذرات اشهرها رثاؤه للقتلي الاسبيرطيين في موقعة ثرموبيليه . ورواية ارسطو للبيت تختلف عن الرواية المأثورة (راجع T. Bergk : Poetae Lyriei Graeci, III, n. 50
وكان ارسطو احيانا ينقل من محفوظه ، لامن النص ، ولذا كانت روايته للشعـر احيانا غير دقيقـة .

وهذه الأخيرة على نوعين : الامور التي يمكن أن تحدث ، والأمور التي تحدث بسهولة : والأخيرة يقصد بها الأمور التي تحدث دون عناء أو في وقت قصير . أي شيء يحدث كما يريده الناس : حسن ، وما يريدونه اما أن يكون ما ليس شرا مطلقا ، أو ما هو أقرب الى الخير منه الى الشر ، مثلما يحدث اذا كان العقاب المصاحب له خفيفا أو غير ملحوظ . وكذلك الأمور الخاصة بهم، أو الأشياء التي لا يملكها أحد غيرهم ، أو ما هو خارج عن المألوف ــ اذ بهذا يكون الشرف أعظم . وكذلك الأشياء الملائمة لهم ، ومثالها كل الأشياء التي تليق بهم من حيث الميلاد والقوة . والأشياء التي يظنون أنها تنقصهم ، حتى لو لم تكن مهمة ، لأنهم بالرغم من ذلك يؤثرون امتلاكها . والأشياء التي يسهل انجازها ، لأنها لما كانت سهلة فانها تكون ممكنة ، ومثالها الأمور التي أفلح فيها كل ، أو جل الناس أو النظراء أو الأدنون . والأشياء التي يتحفون بها الأصدقاء . أو يستجلبون بها كراهية الأعداء . وكل الامور التي يؤثر فعلها من يعجبونهم . والأمور التي فيها يمهرون بالطبع أو بالتجربة ، لأنهم يرجون أن ينجحوا فيها بسهولة . والأمور التي لا يرضي عنها الحقراء ، لأنها تكون حينئذ أخلق بالطلب . والأمور التي يحدث أنهم يشتاقونها ، لأن مثل هذه الأمور يبدو أنها ليس فقط أكثر ملاءمة ، بل وأيضا أحسن . وأخيرا وقبل كل شيء : ان كل إنسان يحسب خيرات تلك الأشياء التي تشوق بخاصة ، (١٣٦٣ ب) مثل النصر لمن يرجو النصر ، والشرف لمن هو طموح ، والمال لمن هو حريص ، وكذلك في سائر الأحوال .

تلك اذن هي المواد التي ينبغي علينا أن نستمد منها تصديقاتنا (حججنا) فيما يتعلق بالخير والنافع .

٧

مواضع تمييز كبير الخير وصغيره

لكن لما كان الناس كثيرا مايتفقون على شيئين أنهما نافعان ، لكن يختلفان في أيهما الأنفع ، فعلينا الآن أن نتحدث عن الخير الأكبر وعن النفع الاكثر .

يقال عن شيء انه يفوق غيره اذا كان كبيرا ويزيد عن آخر ـ ويقال عن شيء انه يتفوق عليه غيره اذا كان داخلا ضمن الآخر • « وأكبر » و « أكثر » يتضمنان دائما علاقة مع « اقل » ،و « كبير » و « صغير » ، و « كثير » و « قليل » بالاضافة الى الحجم العام للأشياء ، و « الكبير » هو ما يزيد ، و « الصغير » هو ما هو دونه ، وبالمثل يقال « كثير » و « قليل » • ولما كنا نطلق الخير على ما هو مرغوب فيه لذاته لا من أجل شيء آخر ، وما يقصده كل الأشياء وما يختارونه ان كانوا عقلاء حكماء ، وما هو منتج لخير أو واق لخير أو يلزم عنه هذان الأمران ، ـ ولما كان ما من أجله يفعل الشيء هو الغاية، والغاية ما من أجله يفعل كل شي آخر ، وما هو خير لكل امرىء وبالنسبة اليه يحتوي على كل هذه الشروط ـ فانه ينتج عن هذا لا محالة أن قدرا كبيرا من الأشياء الخيرة هو أكبر خيرية من قدر صغير أو واحد فقط منها ، اذا كان الواحد أو القدر الصغير معدودا من بينها [1] ، لأنه يزيد عليهما ، وما فيهما قد فاق عليهما هذا القدر الأكبر •

واذا كان الأكبر في صنف يزيد على الأكبر في صنف آخر ، فان الصنف الأول يزيد على الصنف الثاني ، واذا زاد صنف على آخر ، فان الأكبر في هذا الصنف يتجاوز الأكبر في الصنف الآخر • فمثلا : اذا كان الرجل الأكبر أكبر من أكبر امرأة ، فان الرجال بعامة سيكونون أكبر من النساء ، واذا كان الرجال بعامة أكبر من النساء ، فان أكبر رجل سيكون أكبر من أكبر امرأة ، لأن زيادة الأصناف والاشياء الكبرى المحتواة فيها تتناسب فيما بينها • فاذا لزم هذا عن ذاك ، ولم يلزم ذاك عن هذا (فان « ذاك » هو الخير الأكبر [2]) ، لأن الاستمتاع باللازم متضمن في الاستمتاع بما عنه يلزم • والأشياء تلزم اما في نفس الوقت ، أو على التوالي ، أو بالقوة [3] ، فمثلا الحياة تلزم عن الصحة

---

(١) اي آن الواحد او العدد القليل او العدد الكثير يجب ان تكون كلها من نفس النوع.

(٢) مثلا اذا كانت «ب» (الحياة) تلزم عن «أ» (الصحة)، لكن «أ» لاتلزم عن «ب» ، فان «أ» خير أكبر من «ب».

(٣) بالقوة : في مقابل : بالفعل .

في نفس الوقت ولا تلزم الصحة عن الحياة ، والمعرفة تلزم عن التعلم على التوالي [ولا يلزم التعلم عن المعرفة] ، والسرقة البسيطة تلزم عن التجديف [1] بالقوة ، لأن من يجدف سيسرق أيضا . والأشياء التي تزيد على نفس الشيء بمقدار أكبر (من غيره) هي أكبر ، لأنها لا محالة تزيد أيضا عما هو أكبر [2] . والأشياء التي تنتج خيرا أكبر هي أكبر ، لأن هذا كما قررنا هو معنى ما هو منتج لأكبر . وبالمثل ، ما تنتجه علة أكبر ، لأنه اذا كان ماينتج الصحة مرغوبا أكثر مما ينتج اللذة وخيرا أكبر ، فان الصحة أكثر خيرا من اللذة . (١٣٦٤ أ) وما هو مرغوب فيه أكثر في ذاته أسمى مما هو ليس كذلك ، فمثلا القوة أكثر خيرا من مجرد سلامة البدن ، فهذه لا تطلب لذاتها ، بينما القوة تطلب لذاتها ، وهذا كما قررنا [3] معنى ما هو خير . والغاية أعظم خيرا من الواسطة، لأن الواسطة ترغب من أجل شيء آخر ، بينما الغاية تطلب لذاتها ، فمثلا الألعاب الرياضية هي مجرد وسيلة (واسطة) لكي تكون البنية حسنة . وما هو أقل حاجة الى واحد أو كثير من الأشياء الأخرى هو أعظم خيرا ، لانه أكثر استقلالا بنفسه (« وكون حاجة أقل » يعني أنه يحتاج الى اضافات أقل أو أسهل) . واذا كان الشيء لا يوجد أو لا يمكن أن يوجد بدون مساعدة شيء آخر ، بينما شيء آخر يقدر ، فان ما لا يحتاج الى مساعدة أكثر استقلالا، وتبعا لذلك يكون أكثر خيرا .

واذا كان شيء مبدءا أول ، والآخر ليس كذلك ، واذا كان شيء علة ، والآخر ليس كذلك (فان الأول أكثر خيرا) للسبب عينه ، لأنه بدون السبب أو المبدأ الأول لا يمكن أن يوجد شيء أو أن يحدث . واذا كان هناك مبدآن أولان أو علتان ، فان ما ينتج عن الأعظم يكون أعظم ، وبالعكس ، اذا كان

---

(١) جدف : كفر بالنعمة اواستقل نعمة الله

(٢) مثلا ٨ اكبر من ٢ بسته، وستة اكبر من ٢ .

(٣) ص٢ ٣٦، ٢٢أ.

هناك مبدآن أولان أو علتان فان ما هو علة أولى أو مبدأ للأعظم هو أعظم • فواضح مما قلناه اذن أن الشيء يمكن أن يكون أعظم (أكبر) على نحوين[1] . فانه اذا كان مبدءأ أول بينما الآخر ليس كذلك ، فانه سيبدو أعظم ، واذا لم يكن مبدءا أول (بل غاية) ، بينما الآخر كذلك ، لأن الغاية أعظم وليست مبدءا أول • فمثلا ليوداماس[2] Λεωδάμας ، حين اتهم كلستراتوس Καλλίστρατος قال ان من اعطى النصيحة أكبر اثما ممن نفذها ، لأنه لو لم يقدمها لما نفذت • وبالعكس ، حين اتهم خبرياس Χαβρίας قال ان من نفذ النصيحة أكبر اثما ممن اعطاها ، لأنه كان من الممكن ألا تنفذ اذا لم يوجد من يتولى تنفيذها ، والسبب الذي من أجله يدبر الناس المؤامرات هو أن يتولى غيرهم تنفيذها •

وما هو أندر أعظم خيرا مما هو أوفر ، ولذا كان الذهب أعظم خيرا من الحديد ، وان كان أقل نفعا ، لكن امتلاكه أثمن ، لأن من الصعب الحصول عليه • ولكن من وجهة نظر أخرى فان ما هو وافر يفضل على ما هو نادر ، لأن استعماله أكثر ، اذ « الوافر » يزيد على « النادر » ، ومن هنا جاء القول :

الماء هو الأحسن[3]

وبقول عام ، ما هو أصعب في الحصول عليه أفضل مما هو أسهل ، لأنه أندر ، لكن من وجهة نظر أخرى فان ما هو أسهل أفضل مما هو أصعب ، لأن طبيعته هي كما نريدها • وما يكون ضده أو الحرمان منه أعظم[4] ، يكون خيرا أعظم • والفضيلة أعظم من اللافضيلة ، والرذيلة أكبر من اللارذيلة ، لأن الفضائل والرذائل غايات ، بينما اللافضيلة واللارذيلة ليستا كذلك • والأشياء

---

(١) الشيء يمكن ان يكون اعظم على نحوين : (أ) فما هو مبدأ أول اعظم مما ليس مبدءا اول ، (ب) وما ليس مبدءا اول ، بل غاية ، اعظم مما هو مبدأ اول لان الغاية اعظممن الوسيلة.

(٢) ليوداماس خطيب اثيني ، تتلمذ على ابوقراط ،وكان من انصار ثيبة. وقدحدث في سنة٣٦٦ق.م ان احتل اهل ثيبة مدينة اوروفس الواقعة على الحدود بين بوئتيا واتيكا. فاقترح كلبستراتوس ان تبقى المدينة في يداهل ثيبة لفترة من الوقت ،وعمل باقتراحه خبرياس . لكن المفاوضات لم تنجح ورفض اهل ثيبة الانسحاب . فقدم خبرياس وكلستراتوس الى المحاكمة. وتولى ليوداماس توجيه الاتهام اليهما على النحو المذكور في النص .

(٣) فندراس : «اوليمبيا» ، ١ : ١ .

(٤) مثلا ان يكون المرء اعمى هو اسوأ من ان يكون اطرش ، ولهذا فان الابصار افضل منالسمع.

التي أعمالها أنبل أو أقبح هي نفسها أعظم ، وأعمال هذه الاشياء التي رذائلها وفضائلها أعظم ، ستكون أيضا أعظم ، لأن النسبة بين الأسباب والمبادىء الأولى وبين النتائج هي نفس النسبة بين النتائج وبين الأسباب والمبادىء الأولى . والأشياء التي تكون عظمتها مرغوبة أكثر أو هي أنبل ، ينبغي أن تفضل : مثلا : حدة البصر أفضل من حدة الشم ، لأن البصر أحسن من الشم . (١٣٦٤ ب) وحب الأصدقاء أكثر من حب المال هو أمر أنبل ، وعن هذا يلزم أن حب الأصدقاء أنبل من حب المال . ومن ناحية أخرى فان الأشياء كلما كانت أحسن وأنبل ، كانت عظمتها أحسن وأنبل ، وبالمثل فان الأشياء التي تكون الرغبة فيها أنبل وأحسن هي نفسها أنبل وأحسن ، لأن الرغبة الأشد تكون في الشيء الأعظم . وللسبب عينه فان الشيء اذا كان أحسن وأنبل ، فان الرغبات (الشهوات) تكون أحسن وأنبل .

واذا كانت العلوم أنبل وأضخم ، كانت موضوعاتها أنبل وأفخم ، فانه بحسب ما يكون العلم يكون صدق موضوعه ، وكل علم يقرر ما هو خاص به ، وبقياس النظير ، فانه كلما كانت موضوعات العلم أنبل وأفخم ، كان العلم نفسه أنبل وأفخم ، للأسباب نفسها . وما حكم عليه أهل الحكمة ــ كلهم ، أو جلهم ، أو أفاضلهم ــ أو ما عسي أن يحكموا عليه أنه خير أكبر يجب لا محالة أن يكون كذلك ، اما مطلقا واما بالقدر الذي به حكموا بوصفهم حكماء . ونفس الشيء يمكن أن يقال بالنسبة الى كل شيء آخر ، لأن طبيعة الأشياء وكمها وكيفها هي كما يحددها العلم والحكمة العملية . لكن قولنا هذا انما ينطبق على الخيرات ، لأننا حددنا خيرا ما يختاره كل من تزود بالحكمة العملية ، ومن هنا كان بينا أن ما قررت الحكمة العملية أفضليته فهو خير أكبر . وكذلك الأشياء التي يتصف بها أفاضل الناس ، سواء مطلقا أو بقدر ما هم أحسن ، فمثلا الشجاعة أحسن من القوة . وكذلك ما عسي أن يختاره الرجل الأفضل ، اما مطلقا أو من حيث هو أفضل ، وهكذا فان احتمال الاثم أفضل من ارتكابه ، لأن هذا هو ما يختاره الرجل الأعدل . وكذلك ما

هو ألذ أكثر مما هو أقل من ذلك ، لأن كل الناس يشتاقون اللذة ويطلبونها لذاتها ، وبهذه الشروط حد الخير والغاية • وما هو أقل تعرضا للألم يكون أفضل وألذ ، وألذ لمدة أطول • وما هو أنبل أعظم مما هو أقل نبلا ، لأن النبيل هو اما اللذيذ أو المشتاق اليه في ذاته • وكل الأشياء التي نرغب أكثر في أن تكون أدوات لنا أو لأصدقائنا هي خيرات أعظم ، وما تكون رغباتنا فيها أقل تكون شرورا أعظم • والأشياء التي تبقي مدة أطول ، أفضل من تلك التي تكون ذات مدة أقصر ، والتي تكون أكثر أمانا أفضل من تلك الأقل أمانا ، لأن الزمان يزيد من استعمال الأولى ، والرغبة تزيد من استعمال الثانية ، فاننا متى ما رغبنا ، استطعنا الافادة أكثر من الأشياء المأمونة •

والأشياء في جميع الأحوال ، تلتزم بالنسب بين الاحداثيات وأشباهها من الأشياء المتناسبة : فمثلا اذا كان « بشجاعة » أنبل وأفضل من « بعفة » ، فان « الشجاعة » أفضل من « العفة » ، وأن يكون المرء شجاعا « أفضل من أن يكون « عفيفا » • وما يختاره الكل أحسن مما لا يختاره الكل ، وما تختاره الغالبية أحسن مما (١٣٦٥ أ) يختاره الأقلية ، فان الخير ـ كما قلنا [1] ـ هو ما يشتاقه الكل ، ولهذا فانه كلما كان الخير أعظم كان مطلوبا أكثر • والأمر عينه ينطبق على الخيرات التي يقر الخصوم أو الأعداء أو القضاة ، أو من يختارونهم ـ أنها أعظم ، لأنه في الحالة الأولى يكون ما أجمعت عليه الانسانية، وفي الحالة الثانية يكون ما أقر به الخبراء والسلطات المعترف بها • وأحيانا يكون ما يشارك فيه الكل خيرا أكبر ،اذ يكون من عدم التوفيق ألا يشارك فيه ، وأحيانا حين لا يشارك فيه أحد أو تشارك فيه قلة فقط ، لأنه يكون أندر وكذلك الأشياء الأكثر استحقاقا للمدح ، لانها أنبل ، وبالمثل الاشياء التي تكرم أكثر ، لأن الشرف نوع من قياس للقيمة ، وبالعكس ، فان الأشياء التي تكون عقوبتها أشد تكون شرورا أكبر • وكذلك الأشياء التي هي أكبر مما هو مقر

---

(١) في ص ١٣٦٣ ب ١٤ •

به ، أو تبدو أكبر ، تكون أكبر • ونفس المجموع اذا قسم الى أجزاء يبدو أكبر ، لأنه يبدو الفضل في عدد كبير من الأشياء • ومن هنا قال الشاعر ان ملياجروس اقتنع بالنهوض للقتال حين سمع من ينشد هذا الشعر[1] :

« كل المصائب التي تصيب من أخذت مدينتهم :

الناس يهلكون ، والنار تدمر المدينة تدميرا

والغرباء يسبون الأطفال » •

والتركيب والبناء[2] كما يستخدمها افيخارموس[3] يحدثان نفس الأثر الذي يحدثه التقسيم ، ولنفس السبب ، لأن التركيب σύνθεσις استعراض لتفوق عظيم ويبدو أنه الأصل والسبب في أمور عظيمة • ولما كان الأصعب في التحصيل والأندر هو الأعظم ، فانه يلزم عن هذا أن المناسبات والاعمار والأماكن والأزمنة والقوى : الخاصة تولد آثارا عظيمة ، لانه اذا كان الانسان يعمل أعمالا تتجاوز قواه ، وتتجاوز عمره ، وتتجاوز ما يفعله نظراؤه، واذا عملت على نحو ، وفي مكان ، وزمان معينة ، فانها ستزيد من أهمية الأفعال النبيلة أو الخيرة أو العادلة ــ أو فيما يقابلها • ومن هنا جاء هذا الافيجرام عن المنتصر في الألعاب الاولمبية[4] :

« في الماضي تعودت أن أحمل السمك من

---

(١) «الالياذة» النشيد التاسع ، الابيات ٥٩٢ ــ ٥٩٤ مع اختلاف طفيف في الرواية .
ويمكن ان نترجم النص هكذا : «ومن هنا قال الشاعر ان (انشاد الابيات الثلاثة التالية) قد اقنع ملياجروس بالنهوض للقتال ...»

(٢) ἐποικοδομεῖν : هو تركيب جملة على جملة، احداهما فوق الاخرى خطوة فخطوة مثل درجات السلم بحيث تكون الكلمة الاخيرة في جملة هي الكلمة الاولى في الجملة التالية هكذا، مثلا : «المكان هو الامتداد ،والامتداد ،هو المادة ،والمادة نقيض الروح،والروح هي الحياة، والحياة نقيض الموت (كتابنا : «اشبنجلر» ص١٥٣).

(٣) حوالي ٥٥٠ ــ ٤٦٠ ق.م ، مؤلف كوميديات،ولد في صقلية او في كوس . ويصفه افلاطون بانه «أمير الكوميديا» .

(٤) الشعر لسيمونيدس ، الشذرة رقم ١٦٣

أرجوس حتى تيجيا ، وعلى كتفي سلة غليظة »

وافتخر أيفقراطيس بنفسه قائلا : « أنظر من أي شيء ابتدأت ! » • وما هو طبيعي هو خير أعظم مما هو مكتسب ، لأنه أصعب ومن هنا قال الشاعر:[1]

« أنا الذى علمت نفسي بنفسي » •

وما هو الجزء الأعظم من الشيء العظيم يتشوق اليه أكثر ، كما قال بريكلس في خطبة تأبين ان ابعاد الشباب عن المدينة مثل حرمان السنة من ربيعها[2] • والأمور الميسورة في الحاجة الأشد ، مثلها في الشيخوخة والمرض، هي خيرات أعظم • والأقرب الى الغاية المرجوة من بين شيئين ـ هو الأفضل • وما هو مفيد للفرد أفضل مما هو مفيد على الاطلاق[3] ، لأن المفيد لنا هو الشيء الممكن ، لا الشيء المستحيل • وكذلك الأمور التي تكون عند نهاية الحياة ، لأن الأمور الاقرب الى النهاية أكثر شبها بالغايات •

والأمور الحقيقية أفضل من تلك المتعلقة بالرأي العام ، (١٣٦٥ ب) لأن الأخيرة تعرف بأنها تلك التي لا يختارها المرء اذا كان من المحتمل ألا يلاحظها الآخرون • ويظهر كذلك أن أخذ المنفعة خير من اعطائها ، لأن المرء يفضل الأمر الأول حتى لو لم يلحظه أحد ، بينما لا يختار اعطاء منفعة اذا كان من المحتمل ألا يلاحظها أحد وتظل مجهولة • كذلك تفضل الأشياء التي تمتلك بالفعل لا في الظاهر ، لأنها أقرب الى الحقيقة ، ولهذا يقال عادة ان العدالة قليلة الأهمية ، لأن الناس يفضلون أن يظهروا بمظهر العادلين أكثر من أن يكونوا عادلين بالفعل ، وليس الأمر هكذا بالنسبة الى الصحة مثلا • ومثل هذا يقال عن الأشياء التي تخدم أغراضا عديدة ، ومثالها تلك التي تعيننا على أن

---

(١) « الاوديسا » النشيد رقم ٢٢، البيت رقم ٣٤٧. وهذه الكلمات قالها الشاعر المغني فيموس Phemius الذي ارغم على الغناء لخطاب فانلوفا.

(٢) قارن هنا م٣ ف.١ ص١٤١١ أ٤. وهذا التشبيه الشهير لايوجد في خطبة تابين بريكلس بحسب ما اوردها ثيوكوديدس في المقالة الثانية من كتابه عن «الحروب البلوبونيزية ».

(٣) وبحسب رواية اخرى للنص يترجم هكذا : «وماهو مفيد للفرد على وجه الاطلاق معا هو اعظم خيرا .

نعيش ، ونعيش عيشة رغيدة ، وأن نستمتع بالحياة وأن نفعل أفعالا نبيلة ؛ ولهذا تبدو الصحة والثراء أعظم الخيرات ، لأنهما يتضمنان كل هذه المزايا . والأمر الأبعد عن الايلام والمصحوب باللذة هو خير أعظم ، لان ثم أكثر من خير واحد ، لان اللذة والخلو من الألم مجتمعين كليهما خير . والاعظم بين خيرين هو ذلك الذي اذا أضيف الى شيء بعينه يجعل المجموع أعظم . وكذلك الأشياء التي حضورها لا يند عن الانتباه هي أفضل من تلك التي تمضي فلا ينتبه لها أحد ، لأنها تبدو أكثر حقيقة ، ومن هنا فان كون المرء ثريا يبدو أنه خير أعظم من مجرد الظهور بمظهر الثراء . وما يعد عزيزا جدا ، وحده ، أو مصحوبا بأشياء أخرى ، هو خير أعظم . ولهذا فان من يفقأ عين ذي عين واحدة ومن يفقأ عين ذي العينين لا يتساويان في الأذى (أو في العقاب) ، لأن الشخص الأول سلب ما هو أعز عليه .

٨

أنواع الدساتير ، عددها وطباعها والغاية من كل منها

تلك هي تقريبا كل المواضع التي منها تؤخذ التصديقات في الاقناع والنهي ، لكن أهم وسائل الاقناع والنصيحة الحسنة وأكثرها تأثيرا هو أن تعرف كل أنواع الحكم وأن تميز طباعها ونظمها ومهامها ، لأن كل الناس يسترشدون باعتبارات المنفعة ، وما يحفظ الدولة هو أمر نافع . وأيضا فان قرارات السلطة ملزمة ، والأنواع المختلفة للسلطة تتميز تبعا لأشكال الحكم ، والواقع أن ها هنا من السلطات بقدر ما ها هنا من أشكال الحكم .

ان أشكال الحكم أربعة : الديمقراطية ، الاوليجاركية ، الارستقراطية ، والمونارخية ، والسلطة العليا والتي تصدر القرارات هي دائما جزء هذه أو كلها . أما الديمقراطية فهي شكل الحكم الذي فيه تقسم المناصب بين الناس بعضهم وبعض بالقرعة ، أما في الاوليجاركية فانها تقسم بواسطة أولئك الذين يملكون مقدارا معلوما ، أما في الارستقراطية ، فانها تقسم بواسطة أولئك

الحائزين على مؤهل في التربية ، وأقصد بالتربية تلك التي سنها القانون . والواقع أن السلطة والمنصب في الارستقراطية هما في أيدي أولئك الذين بقوا مخلصين لما يأمر به القانون ، والذين يبدون لا محالة هم الأفضل ، ومن ثم جاء اسم هذا الشكل من الحكم . (١٣٦٦ أ) أما في المونارخية فان انسانا واحدا هو المسيطر على الكل ، كما يدل على ذلك اسمها ، فان كانت خاضعة لتنظيمات معينة فانها تسمى ملكية βασιλεία أما ان كانت مطلقة فانها تكون طغيانا . τυραννίς

ولا ينبغي اغفال الغاية من كل شكل من أشكال الحكم ، لأن النـاس يختارون الأمور ذات العلاقة بالغاية . فغاية الديمقراطية : الحرية ، وغـاية الاوليجاركية ، الشراء ، وغاية الارستقراطية : الامور المتعلقة بالتربية وبما تسنه القوانين ، ....[1] ، وغاية الطغيان : حماية النفس . فمن الواضح اذن أن علينا أن نميز الأيين والأعراف ، والنظم ، والمهام الخاصة لكل شكل مـن أشكال الحكم ، لأن الناس انما يختارون بالنظر الى هذا . لكن لما كانت الأدلة تتقرر ليس فقط بالاحتجاج البرهاني ، بل وأيضا بالاحتجاج الأخلاقي ـ لأننا نثق بالخطيب الذي يعرض بعض الخصال مثل الخير وسلامة النية أو كليهما ـ فيلزم عن هذا أنه ينبغي علينا أن نكون على معرفة بأخلاق كل شكل من أشكال الحكم ، لأن الخلق ، بالاشارة الى كل واحد منها ، الذي يرجح أنه يقنـع ينبغي أن يكون المميز له . وهذه الأخلاق ستفهم بنفس الوسائل ، لأن الاخلاق تكشف عن نفسها وفقا للغرض الأخلاقي ، والغرض الأخلاقي يشـير الى الغاية .

وهكذا قد أوضحنا ما هي الأمور ـ المستقبلة أو الحاضرة ـ التي ينبغي أن تكون غرض أولئك الذين يوصون بسلوك مسلك معين ، ومن أي المواضع ينبغي عليهم أن يستمدوا أدلتهم على النفع ، ثم ما هي الطرق والوسائل التي

---

(١) لم يرد في المخطوطات كلها (ولا في الترجمة العربية القديمة) ذكر الغاية من المونارخية.

ينبغي التجهز بها للتعامل مع أخلاق ونظم كل شكل من أشكال الحكم ، بقدر ما يدخل في مجال البحث الحالي ، لأننا تناولنا هذا الموضوع بالتفصيل في كتاب « السياسة » [١].

٩

في الفضيلة والرذيلة ، والحسن والقبيح ، وما يدعو الى الذم أو المدح

أ ـ الفضائل عامة وخاصة

وسنتكلم بعد هذا في الفضيلة والرذيلة ، وفي الحسن والقبيح ، لأنها غرض من يمدح ومن يوبخ ، لأننا ونحن نتحدث عن هذه ، سنلقي الضوء ـ عرضا ـ على هذا الخلق أو ذاك ، مما هو منهج ثان للاستدلال ، كما قلنا [٢] ، وبنفس الطريقة سنقدر على ايحاء الثقة الى أنفسنا أو الى الغير فيما يتعلق بالفضيلة . لكن قد يحدث أن يمدح الناس ـ جادين أو غير جادين ـ ليس فقط انسانا أو الها ، بل وأيضا جمادات أو أي حيوان عادي ، ولهذا ينبغي علينا بنفس الطريقة أن نكون على علم بالقضايا المتعلقة بهذه الموضوعات. فلنبحث اذن في هذه الأمور أيضا بقدر ما يكفي للايضاح .

ان الحسن καλόν هو الخليق بالمدح اذ هو مرغوب في ذاته ، أو ما هو لذيذ لأنه خير . فان كان هذا هو الحسن ، فان الفضيلة [٣] يجب أن تكون حسنة لا محالة ، لأنها كما كانت خيرة فانها خليقة بالمدح . ويبدو أن الفضيلة ملكة لتحصيل الخيرات والمحافظة عليها ملكة تنتج شمائل عظيمة وعديدة لكل الناس

---

(١) المقالة الثالثة ، الفصول ٧ ـ ١٨ ، والمقالة الرابعة .

(٢) ص ١٣٥٦ أ ٢ ، ٥.

(٣) العدل δικαιοσύνη ، الشجاعة ἀνδρεία ، ضبط النفس (العفة) σωφροσύνη ، المروءة μεγαλοπρέπεια ، كبر الهمة μεγαλοψυχία ، السخاء ἐλευθεριότης ، الحلم πρᾳότης ، اللب φρόνησις ، الحكمة σοφία .

في جميع الأحوال • وأجزاء الفضيلة هي : العدل ، والشجاعة ، وضبط النفس ، والمروءة ، وكبر الهمة ، والسخاء ، والحلم ، واللب والحكمة • وأعظم الفضائل هي لا محالة أكثرها فائدة للآخرين ، ان كانت الفضيلة هي ملكة اعطاء منافع • ولهذا السبب كان العدل والشجاعة أعظم حظا من التقدير ، لأن الشجاعة مفيدة للآخرين في الحرب ، والعدل مفيد في السلم أيضا • ويتلوها السخاء ، لأن السخي ينفق عن سعة ولا يتشاجر في سبيل امتلاك الثروة ، التي هي الغرض الرئيس لما يشتاقه سائر الناس • والعدل فضيلة تعطي لكل ذي حق حقه وفقا للقانون ، أما الظلم فيطالب بما للآخرين ، على خلاف القانون • والشجاعة تجعل الناس يقومون بالفعال النبيلة وسط الأخطار وفقا لما يمليه القانون وامتثاله ، وضدها الجبن • أما العفة ففضيلة بها يكون المرء في شهوات البدن على مقدار ما يأمر به القانون ، وضدها الفجور • أما السخاء ففضيلة تفعل الجميل في أمور كثيرة ، وضدها البخل • وأما كبر الهمة ففضيلة لها يكون حسن الأفعال العظيمة ، وضدها الدناءة • وأما المروءة ففضيلة تفعل النبل بالتوسع في الانفاق • وضداها هما صغر النفس والنذالة • وأما اللب [1] ففضيلة الرأي التي بها يكون الرأي الحكيم فيما يتعلق بالخيرات والشرور ، مما ذكرنا أنه مرتبط بالسعادة [2] •

ب ــ المواضع المشتركة للمدح

أما في الفضيلة والرذيلة جملة واجزائها فقد قلنا فيها الان ما فيه الكفاية • واما سائر الأخر [3] فليس يعسر علينا أن ننظر فيها : اذ من البين أن ما ينتج فضيلة وما يميل نحوها فهو نبيل لا محالة ، وكذلك لابد أن يكون ما يصدر عنها ، لأن هذه هي علامات الفضيلة وأفعالها • لكن لما كانت علامات الفضيلة

---

(١) اللب هو الحكمة العملية ، بينما الحكمة هي النظرية .

(٢) او في ترجمه اخرى : «...يكون الراي الحكيم المؤدي الى السعادة» . ــ والاشارة هنا هي الى ص ١٣٦٢، س١٠ ــ ٢٨ .

(٣) اي اسباب الفضيلة ونتائجها Cope ، او الحسن والقبيح Jebb

والأمور التي مثل أعمال الرجل الصالح وآلامه هي نبيلة ، يلزم عن هـذا لا محالة أن كل الأفعال والعلات الخاصة بالشجاعة وكل الأفعال الشـجاعة هي أيضا نبيلة ، ونفس الشيء يمكن أن يقال عن الأمور العادلة والأفعال العادلة (لكن لاعما يتحمله المرء من الآم عدلا ، لأنه في هذا وحده من بين الفضائل فان ما فعل عدلا ليس دائما نبيلا ، والعقاب العادل أشـد قبحـا من العقاب الظالم) • ونفس الشيء ينطبق بالمثل على سائر الفضـائل • والأمـور التي جزاؤها الشرف (الكرامة) نبيلة ، وكذلك تلك التي تفعل للشرف أكثر من أن تفعل من أجل المال • وكذلك الأمور المرغوبة التي لا يفعلها المرء من أجـل نفسه ، كذلك الأمور الحسنة على الاطلاق ، مما فعله الانسان من أجل وطنه بينما أهمل مصالحه الخاصة ، والأمور الحسنة بالطبع ، والأمور التي تكون حسنة للفرد ، لان مثل هذه الامور تمليها دوافع الأنانية •

(١٣٦٧ أ) وكذلك الأمور التي يمكن المرء امتلاكها بعد وفاته أولى من امتلاكها ابان حياته هي أمور حسنة ، لأن الأخيرة تتضمن مزيدا من الانانية ، ونبيلة أيضا كل الافعال التي تفعل من أجل الآخرين، لأنها أكثر نزاهة، وكذلك النجاحات التي تحرز ، لا من أجل الذات ، بل من أجل الغير ، ومن أجل من أحسنوا اليه ، لأن هذا عدل ، وبالجملة، كل أفعال البر لأنها منزهة عن الغرض وكذلك أضداد الأمور التي فيها الخزى والفضيحة ، لأننا نخزى مما هو قبيح: من الالفاظ ، أو الأفعال ، أو النوايا ، ومثاله : لما قال القايوس[1] :

« اني أريد أن أقول شيأ ، لكن الحياء يمنعني »

أجابته سافو[2] :

---

(١) القايوس Αλκαίος : اقدم الشعراء الغنائيين الايوليين ولد فى موتلين (لسبوس) فى الربع الاخير من القرن السابع قبل الميلاد . وقوله هذا مما جمعه برج من شذراته برقم ٥٥ Poetae Lyrici Graeci جـ٣)

(٢) سافو Σαπφώ : شاعرة غنائية يونانية من مدرسة لسبوس ،ولدتحوالي سنـة ٦١٢ق.م ،ربما في موتلين . وديوانها كان يتالف من تسعة كتب، بقي لنا منها قطع كبيرة من الكتاب الاول والثاني والرابع ، وقد نشرها E. Lobe : Sapphousmele (سنة ١٩٢٥) . راجع القطعة المذكورة هنا في P. L. G. جـ٣.

« هل اردت ما هو خير أو نبيل ،
ولم يتحرق لسانك لقول الفحشاء ،
ولم يملأ الخزى (الحياء) عينيك
فان ما تقوله سيكون الصواب » •

ونبيلة أيضا الأمور التي يسعى الناس سعيا حقيقيا للحصول عليها ، لكن دون خوف ، لأن الناس مطبوعون على حب الخيرات التي تؤدي الى حسن السمعة • والفضائل والأفعال تكون أنبل اذا كانت تصدر عن تلك التي هي أرفع شأنا ، مثلا ما يصدر عن الرجل أنبل مما يصدر عن المرأة • والأمر نفسه ينطبق على تلك التي هي سبب لذة ومنفعة للآخرين أكثر منها لنفوسنا ، وهذا هو السبب في أن العدل وما هو عدل حسن • والانتقام من الأعداء أحسن من التفاهم معهم ، لأن الجزاء عدل ، وما هو عدل حسن ، وأيضا فان الشجاع ينبغي عليه ألا يغلب • والغلبة والكرامة أيضا من الحسنات ، لأن كلتيهما مرغوبة حتى لو كانت بغير ثمرة، وتكشف عن فضيلة سامية• والأمور الجديرة بالذكر ، والتي تكون أشرف كلما كان بقاء ذكراها أطول ، وتلك التي تعقبنا بعد الموت ، وتلك المصحوبة بالكرامة وتلك الخارجة عن المألوف العام • والأمور التي يملكها شخص واحد ، لأنها أخلق بالذكر ، والقنيات التي لا تأتي بربح ، لأنهاألطف • والأعراف الخاصة بشعوب معينة وكل الذكريات الخاصة بما هو مكرم عندهم هي نبيلة ، فمثلا في لاقديمونيا [1] : الأحسن أن يكون شعر المرء طويلا ، لأن هذا دليل على الكرم ، اذ عمل أي فعل حقير يكون صعبا على من شعره طويل • وعدم احتراف مهنة حقيرة أمر نبيل ، لأن الرجل المهذب لا يعيش اعتمادا على الغير •

جـ ـ المهارة في مدح ما ليس جديرا بالمدح

وعلينا أن نفترض أيضا، فيما يتعلق بغرض المدح أو التوبيخ، أن الصفات الشبيهة جدا بالصفات الحقيقية هي واحدة ، مثلا أن الرجل الحذر : بارد ومروّ

---

(1) Λακεδαίμων : عاصمة لاقونيا ، احدى مناطق البلوبونيز في اليونان.

وأن الساذج : طيب القلب ، وأن عديم الانفعال : لطيف . وفي كل حالة ينبغي علينا أن تتخذ لفظا من الصفات الوثيقة الارتباط ، دائما بالمعنى الآثر : مثلا الرجل الغضوب والمجنون يمكن أن يقال عنه انه صريح ، والمتكبر يمكن أن يقال عنه انه صاحب مروءة ومهابة ، (١٣٦٧ ب) وعن المفرطين نقول انهم يملكون الفضائل المناظرة : فالجريء : شجاع ، والماجن : سخي . ذلك أن غالبية الناس سيظنون ذلك . وفي نفس الوقت يمكن استخراج حجة سوفسطائية من الدافع : لأنه اذا خاطر انسان بحياته حين لا يكون ثم ضرورة، فان الناس سيظنون أنه سيفعل ذلك أكثر حين يكون الأمرشريفا ، واذا كان سخيا حتي السفه على كل من يأتي اليه فانه سيكون أكثر من ذلك بالنسبة الى أصدقائه ، لأن غاية الفضيلة هي فعل الخير للجميع . وعلينا أيضا أن ننظر بحضرة من نسوق المدح ، فان الأمر كما قال سقراط [1] ليس من الصعب مدح الأثينيين حين نكون بين ظهرانيهم . وعلينا أيضا أن نراعي أن تتحدث عما هو مكرم بين السامعين بخاصة ، الاسقوتيين ، واللاقديمونيين ، أو الفلاسفة ، وكأنهم موجودون حاضرون هناك [2] . وبالجملة فان ما يقدر يجب أن يعد حسنا ، لأنه يبدو أن ثم تشابها بين الاثنين . وأيضا فان الأفعال التي تتفق مع ما هو مناسب هي حسنة ، مثلا ان كانت خليقة بأجداد الشخص أو بأفعاله السابقة ، لأن تحصيل المزيد من الشرف أمر حسن ويؤدي الى السعادة . وأيضا، ان كان الفعل ينطوي على تقدم في الخير والحسن، ويتجاوز ما هو متوقع ، مثلا اذا كان الانسان معتدلا في السراء ورابط الجاش في الضراء أو حين يصير أكبر يكون أحسن وأسمح . وهذا هو معنى عبارة ايفقراطس : « انظر من أي شيء ابتدأت ! » [3] وقول المنتصر في الألعاب الاولمبية :

---

(١) راجع محاورة «منكسانس» لافلاطون ، ص ٢٣٥ د.

(٢) فمثلا يفترض ان الاسقوثيين يكرمون الشجاعة وهم صيادون مهرة ، والاسبرطيون (اللاقديمونيون) قساة ، شجعان ، قليلو الكلام ، والاثينيون يحبون الاداب ، وتبعا لذلك يجب ان يمدحوا كلاً بحسب مايستهويه .

(٣) راجع من قبل فى ص١٣٦٥ ا٢٤

« في الماضي تعودت أن أحمل السمك

من أرجوس حتى تيجيا[1] ، وعلى كتفي سلة غليظة »

وقول سمونيدس[2] :

« بنت وزوجة وأخت لطغاة »

ولما كان المدح قائما على أفعال ، وكان الفعل وفقا لغرض أخلاقي مميزا للرجل ، فعلينا أن نحاول أن نبين أن الشخص (الممدوح) يفعل على هذا النحو ، ومن المفيد أن يتجلى أنه فعل ذلك في مناسبات عديدة . ولهذا السبب وحده ينبغي علينا أن نفترض أن أغراض الحظ السعيد وضرباته انما ترجع الى أغراض أخلاقية، لأنه اذا أمكن ايراد عدد من هذه الأمثلة، فانها ستظن علامات للفضيلة والغرض الأخلاقي .

د ــ ضروب المدح

والمديح قول يعبر عن عظمة الفضيلة ، ومن هنا كان من الضروري بيان أن أفعال الانسان فاضلة . لكن المديح انما يتناول الأفعال ــ أما الظروف المصاحبة : مثل نبالة الأصل والتربية فانها تؤدي فقط الى الاقناع ، لأن من المحتمل أن يكون أبناء الأفاضل أفاضل ، وأن يصير الانسان مثلما ربي .ومن هنا نمدح أولئك الذين أنجزوا عملا . ذلك أن الأعمال دلائل على عادة أخلاقية ، وعلينا أن نمدح حتى الانسان الذي لم يفعل شيئا ، اذا كنا واثقين أنه كان من المحتمل أن يفعل شيئا . والتبريك والتهنئة شيء واحد ، لكنهما يختلفان عن المدح والثناء ، اللذين هما مندرجان في التهنئة ، كما ان الفضيلة مندرجة في السعادة .

---

(١) راجع من قبل فى ص١٣٦٥ ا٣٣١.

(٢) الشذرة رقم ١١١ في نشرة Bergk - (ط٤) ــ وهو يتحدث عن ارخديس، فقد كانت ابنه لهيباس طاغية اثينا ، وزوجة ايانطيدس ،ابن هبوقلس،طاغية لبساكوس.

هـ ـ تشابه المدح والنصيحة

والمدح والنصيحة ذوا مظهر واحـد ، لأن ما نسدى من نصيحة يصير مدحا بتغيير في العبارة • وتبعا لذلك ، فاننا حين نعرف ماذا ينبغي علينا أن نفعل والصفات التي ينبغي أن تتحلى بها ، فان علينا أن نغير في العبارة ونحور فيها ، مستخدمين هذه المعرفة كايحاء • فمثلا العبارة : « يجب على الانسـان ألا يفتخر بخيرات راجعة الى البخت ، وانما يفخر بتلك التي ترجع الى الذات وحدها » ـ اذا صيغت هكذا فان لها قوة الايحاء ، لكن لو صيغت هكذا : « انه لم يكن فخورا بالخيرات الراجعة الى البخت ، بل بتلك الراجعة الى ذاته وحدها » ، فانها تصير مدحا • وتبعا لذلك ، فانك اذا أردت أن تمدح ، فانظر ماذا تريد أن توحي به ، واذا رغبت في أن توحي ، فانظر ماذا تريد أن تمدح • وشكل العبارة سيكون لا محالة مضادا اذا كانت صيغة المنع حولت الى صيغة عدم المنع [1] •

و ـ في التعظيم

وعلينا أيضا أن نستعمل كثيرا من وسائل التعظيم ، فمثلا اذا كان الشخص فعل شيئا وحده ، أو كان أول من فعله ، أو مع قلة من الناس ، أو كان هـو المسئول الرئيسي عنه ، فكل هذه الأحوال تجعل الفعل حسـنا • وبالمثل ، المواضع المستمدة من الأزمنة والفصول ، أي اذا تجاوز ما توقعناه • كذلك اذا كان الشخص قد نجح مرارا في نفس الأمر ، فهذا مهم ، ويبدو أنه يرجع

---

(١) في الحالة الاولى العبارة امر ، ولهذا كان هناك منع ؛ وفي الثانية مجرد تقرير، ينطوي على مدح-في الاولى منع، والثانية عدم منع ، وهما متضادان .

الى الشخص نفسه ، وليس نتيجة البخت • واذا كان من أجله وضعت أو اخترعت التشريفات التي هي تشجيع أو تشريف ، واذا كان أول من نال المدح، مثل هبولوخس[1] ، أو رفع له تمثال في السوق ، كما رفع تمثـــال لهرموديدس وأرستوجيتون [2] • وكذلك في المضادات أيضا •

ز ــ البراعة في مدح شخص لا يستحق المدح

واذا لم يزود بمادة كافية من ذاته فينبغي مقارنته بآخرين ، كمـا كان يفعل ايسقراطيس لأنه لم يكن محنكا[3] في الخطابة القضائية • كذلك ينبغي مقارنته بالأشخاص المشاهير ، لأن هذا يوفر الفرصة للتعظيم وبيان أنه نبيل ، ان كان من الممكن اثبات أنه أحسن من الأفاضل • والتعظيم يعد ــ بحق ــ أحد أشكال المدح ، لأنه يقوم على التفوق ، والتفوق أحد الأمور النبيلة • وهذا هو السبب في أنه اذا لم يتيسر مقارنته بالأشخاص المشاهير ، فينبغي مقارنته بالأشخاص العاديين ، لأن التفوق دليل على الفضيلة •

ح ــ ما هو خـــاص بكل جنس

وبقول عام ، نقول ان التعظيم ــ من بين المواضـــع المشـتركة لكل التصديقات (الحجج) الخطابية ــ هو الأنسب للخطباء البيانيين ، الذين يتناولون أفعالا لا مناقشة فيها ، حتى ان كل ما يبقى عمله هو نسبة الجمـــال والأهمية اليها • والأمثلة مناسبة جدا للخطباء المشاورين ، لأنه بفحص الماضي نتنبأ بالمستقبل ونحكم عليه • والضمائر هي الأنسب للخطباء المشاجرين (في

---

(١) مجهول الهوية

(٢) هما قاتلا هيرخس طاغية اثينا ، وقد صنع لهما انتينور Antenor تمثالا من البرونز اخذه الفرس غنيمة ، فقام اقريطيوس Critios ونيوسيوتس Niosiotes بصنع تمثال اخر ، منه نسخة فى متحف نابلي •

(٣) هذا اذا قرانا في النص ἀσυνήθειαν = غير متعود) ،ولوكان متعودا عـــلى ذلك لما لجا اليه اذ سينكشف امره فى ساحة القضاء ، بينما في الخطب العامة هذا مقيد. اما اذا قرانا فى النص συνήθειαν (= متعود) فالمعنى بالعكس تماما ، وسيكون فى ذلك اشارة الى انه كان يكتب للاخرين خطبا يلقونها فيالمحاكم.

ساحات القضاء) ، لأن الماضي ، بسبب غموضه ، يؤدي خصوصا الى التفتيش عن الأسباب والى الاستدلال البرهاني •

وتلك هي تقريبا كل مواد المدح أو الذم ، والأمور التي ينبغي على من يمدح أو من يذم أن يجعلها نصب عينيه ، ومصادر المدائح والمثالب ، لأنه اذا عرفت هذه فان أضدادها تكون ظاهرة ، لأن الذم مستمد من الأمور المضادة •

١٠

في الاتهام والدفاع • عدد مصادر القياس وطبيعتها

أ — في النوع المستعمل في القضاء • معنى ارتكاب الجور

(١٣٦٨ ب) وعلينا الآن أن نتكلم عن عدد ونوع القضايا التي تتألف منها الأقيسة المقصود منها الى الشكاية والدفاع • ثم أمور ثلاثة ينبغي اعتبارها : الأول : طبيعة وعدد الدوافع التي تدفع الناس الى ارتكاب الظلم ، والثاني : ما هي حال عقل أولئك الذين يفعلون ذلك ، والثالث : أخلاق واستعدادات أولئك الذين يتعرضون لوقوع الظلم عليهم • وسنبحث في هذه المسائل بالترتيب ، بعد أن نحدد أولا ما معنى ارتكاب الظلم •

فلنحد الظلم بأنه ارادة الضرر على خلاف القانون • والقانون خاص ، أو عام • وأقصد بالخاص القانون المكتوب الذي به تحكم الدولة ، وأقصد بالعام ، التنظيمات غير المكتوبة التي يبدو أن الكل يقرون بها • والناس تفعل بارادة حين تعرف ماذا تفعل ، ولا تفعل تحت قسر • وما يفعل بارادة لا يفعل دائما مع سبق الاصرار ، لكن ما يفعل مع سبق الاصرار هو دائما معروف للفاعل ، لأنه لا انسان يجهل ما يفعله عن قصد • والدوافع التي تسوق الناس الى احداث الضرر وارتكاب الأفعال السيئة هي اللؤم وعدم ضبط النفس •

لأنه اذا كان انسان ذا رذيلة أو أكثر ، فانه فيما يكون فيه شريرا يتجلى أنه ظالم ، مثلا : البخيل فيما يتعلق بالمال ، والفاجر فيما يتعلق بالشهوات الجسدية والمخنث فيما يتعلق بما يدعو الى الكسل والاسترخاء ، والجبان فيما يتعلق بالأخطار ، لأن الهلع يجعله يتخلى عن اخوانه في الخطر ، والطموح فيما يتعلق بتشوقه الى الكرامة ، والسريع الغضب فيما يتعلق بالغضب ، ومحب الغلبة فيما يتعلق بالتغلب ، وذو الأنفة والحمية فيما يتعلق بالانتقام والعقاب ، والمائق المأفون فيما يتعلق بانخداعه فيما هو صواب وخطأ ، والوقاح الوجه فيما يتعلق بازدرائه لاراء الآخرين • وبالمثل ، فان كل واحد من سائر الناس ظالم فيما يتعلق بضعف خاص به • وسيتضح هذا تماما مما قيل من قبل عن الفضائل ، ومما سيقال فيما بعد عن الانفعالات • ويبقى أن نقرر ما هي الدوافع والأخلاق الخاصة بأولئك الذين يجورون ، والذين يجار عليهم •

ب ــ الأفعال الإنسانية وأسبابها

ولنقرر أولا أي الأشياء يشتاقها الذين يجورون ، وأيها يتجنبون ، اذ من الواضح أن الذي يشكو (يتهم) يجب عليه أن يفحص عن عدد وطبيعة الدوافع التي توجد في خصمه ، وأن الذي يدافع يجب عليه أن يفحص عما منها لا يوجد فيه • ان كل الأفعال الانسانية هي اما نتيجة لجهود الناس أو ليست كذلك • والأخيرة بعضها يرجع الى الضرورة ، وبعضها يرجع الى القهر ، وبعضها يرجع الى الطبيعة ، حتى ان الأمور التي لا يفعلها الناس من تلقاء أنفسهم هي كلها نتيجة البخت ، أو الطبيعة ، أو القهر • أما الأمور التي يفعلونها من تلقاء أنفسهم والتي هم سببها فان بعضها نتيجة العادة ، (١٣٦٩ أ) والبعض الآخر نتيجة الاشتياق ، ومن هذه الأمور الأخيرة البعض يرجع الى اشتياق معقول ، والبعض الآخر الى اشتياق غير معقول • والرغبة اشتياق (معقول) للخير ، لأنه لا يشتاق الانسان الا الى ما يظنه أنه خير ، أما الاشتياقات غير المعقولة فهي الغضب والشهوه وهكذا كل افعال الناس يجب لا محالة ان ترجع الى سبعة أسباب : البخت ، الطبيعة ، القهر ، العادة ، العقل ، الغضب ، الشهوة •

ولا داعي لتقرير مزيد من الفروق بين أفعال الناس وفقا للعمر ، والعادات الأخلاقية ، أو أي شيء آخر • لأنه اذا كان الشباب غضوبين ، أو عنيفي الاشتهاء لشيء ما ، فليس يرجع ذلك الى شبابهم ، بل بسبب الغضب والشهوة • ولا أيضا بسبب الثراء أو الفقر ، لكن يحدث أن الفقراء يشتاقون الى الثراء لأنه يعوزهم ، والأغنياء يشتاقون الى لذات لا ضرورة لها لأنهم قادرون على تحصيلها • لكن في هذه الحالة أيضا ليس الثراء أو الفقر ، بل الشهوة هي المصدر الرئيسي لسلوكهم • وكذلك الحال في العادلين وغير العادلين ، وكل الذين يقال انهم يفعلون بحسب عاداتهم الخلقية انما يسلكون لنفس الأسباب ، اما للعقل ، أو للانفعال ، لكن البعض عن أخلاق وانفعالات خيرة ، والبعض الآخر عن أضدادها • لكن ليس لأنه قد يحدث أن بعضا من العادات يصحبها بعض من النتائج ، لأنه قد يحدث منذ البداية أن كون الانسان عفيفا ينتج في الانسان العفيف آراء حسنة ، وشهوات حسنة للأمور اللذيذة ، وفي الانسان الفاجر عكس ذلك • لهذا ينبغي علينا أن نطرح هذه الفروق جانبا ، وأن نفحص عن النتائج المعتادة الناشئة عن ظروف معينة• لأنه اذا كان الانسان أشقر أو أسمر ، طويلا أو قصيرا ، فليس هناك قاعدة لكون نتائج معينة لا بد أن تلزم عن ذلك ، لكنه اذا كان شابا أو عجوزا ، عادلا أو ظالما ، فالأمر يختلف • وبالجملة فسيكون من الضرورى أن نحسب حساب كل الظروف التي تجعل أخلاق الناس مختلفة ، فمثلا اذا ظن المرء في نفسه أنه غني أو فقير ، محظوظ أو بائس ، فالأمر يختلف • وسنبحث في هذا فيما بعد [1] ، ولنتحدث الآن فيما بقى علينا أن نقوله ها هنا •

الأمور الناتجة عن البخت هي كل تلك التي علتها غير محددة ، وتلك التي تحدث دون أن تصير لها غاية ، وهذا لا يحدث دائما ، ولا عامة ، ولا بانتظام • وتعريف البخت سيجعل ذلك واضحا • (١٣٦٩ب) ان الأمور التي هي نتيجة الطبيعة هي كل تلك التى علتها في ذاتها ومنتظمة ، لأنها تحدث دائما،

---

(١) في المقالة الثانية ، الفصول ١٢ ـ ١٨ .

أو عموما ، بنفس الطريقة • أما تلك التي تحدث ضد الطبيعة فلا حاجة بنا الى الفحص الدقيق عما اذا كان حدوثها راجعا الى قوة في الطبيعة أو الى علة أخرى (ويبدو ، مع ذلك ، ان مثل هذه الأحوال ترجع أيضا الى البخت) • والأمور التي تقع نتيجة القهر (القسر ، الاستكراه) هي تلك التي يفعلها فاعلوها هم أنفسهم ضد مشيئتهم أو تقديرهم • والأمور التى تكون نتيجة العادة هي تلك التي تفعل لأنها فعلت من قبل مرارا • والأمور تكون نتيجة التقدير (الحساب) اذا كانت تفعل لأنها تبدو ـ من بين الخيرات المذكورة من قبل ـ أنها نافعة اما كغاية ، أو كوسيلة لغاية ، بشرط أن تكون فعلت لأنها نافعة ، لأن الفاجر قد يفعل أمورا ذات نفع ، لا من أجل النفع ، بل من أجل اللذة • والحمية والغضب سببان لأفعال الانتقام • لكن ثم فارقا بين الانتقام والعقاب ، اذ العقاب يفرض لمصلحة الذي تألم ، والانتقام لمصلحة من فعله حتى يحقق اربه ورضاه • وسنعرف الغضب حين نتحدث عن الانفعالات [1] والشهوة سبب الأمور التي يبدو أنها سارة • والأمور المألوفة والتي اعتدناها هي من بين الأمور السارة ، لأن الناس يفعلون بلذة وسرور كثيرا من الأمور التي لا تكون بطبيعتها سارة ، اذا اعتادوا عليها •

وبالجملة ، فان الأمور التي يفعلها الناس من تلقاء أنفسهم هي اما ان تكون ـ أو تبدو ـ حسنة أو لذيذة ، وما دام الناس يفعلون اراديا ما يفعلونه من تلقاء أنفسهم ، ولا اراديا ما لا يفعلونه من تلقاء أنفسهم ، فيلزم عن هذا أن كل ما يفعله الناس اراديا هو اما ما هو ـ أو يبدو أنه ـ حسن ، أو ما هو ـ أو يبدو أنه ـ لذيذ • لأني أعد من بين الأمور الحسنة ازالة ما هو شر أو ما يبدو أنه شر ، أو استبدال شر صغير بشر أكبر ، لأن هذين الأمرين مرغوبان على نحو ما . وبالمثل ، فأنني أعد من بين الأمور اللذيذة ازالة ما هو ـ او ما يبدو أنه ـ مؤلم ، واستبدال آلم أصغر بألم اكبر • لذا ينبغي علينا

---

(٢) في المقالة الثانية ، الفصل ٢ •

أن نعرف عدد وصفة الأشياء النافعة واللذيذة . وقد تحدثنا من قبل [1] عما هو نافع ونحن نتكلم عن الخطابة المشاورية ، فلنتحدث الآن عن اللذيذ . وعلينا أن نعد تعريفاتنا كافية في كل حالة ، ما دامت ليست غامضة ولا شديدة التحديد .

١١

الأمور النافعة

فلنسلم بأن اللذة حركة للنفس وتهيؤ مفاجيء مدرك بالحس لأن تستقر في حالتها الطبيعية ، فأما الألم فهو ضد ذلك . فان كانت اللذة بهذه الصفة ، فمن البين (١٣٧٠ أ) أن ما ينتج الهيئة التي وصفناها هو لذيذ أيضا ، وأن ما يفسدها أو ينتج ما يضاد الاستقرار هو مؤلم .

فمن الضروري اذن أن يكون لذيذا ، بوجه عام ، الوجود في حالة طبيعية (خصوصا حين يرجع ، ما فعل وفقا لهذه الحالة ــ الى حالته الطبيعية من جديد) [2] ، والأمر كذلك بالنسبة الى العادات ، لأن ما صار عادة يصير طبيعيا بوجه ما ، والواقع أن العادة شيء شبيه بالطبيعة ، لأن المسافة بين « غالبا » و « دائما » ليست كبيرة ، والطبيعة تنتسب الى فكرة « دائما » ، والعادة الى فكرة « غالبا » ، وما ليس بالاستكراه (القسر) هو أيضا لذيذ ، لأن الاستكراه مضاد للطبيعة . وهذا هو السبب في أن ما هو ضروري هو مؤلم ، وصدق من قال :

« لأن كل فعل من أفعال الضرورة مؤلم » [3] .

والاجتهاد والسعي واستفراغ الوسع أمور مؤلمة أيضا ، لأنها تنطوي

---

(١) راجع م١ ف٦ .

(٢) ذلك لان الطبيعة الحقيقية (للحالة الطبيعية)قد ضاعت خلال فترة الاضطراب والقلق.

(٣) الشعر لاوينس الذي من باروس Evenus of Paros ــ الشذرة رقم ٨ في Poetae Lyrici Graeci جـ٢.

على ضرورة وقسر ، اذا لم تصبح معتادة ، اذ العادة تجعلها لذيذة • والأمور المضادة لهذه لذيذة ، أما الدعة ، والكسل ، والتهاون ، والتسلي، والاستراحة، والنوم فانها من الأمور اللذيذة ، لأنه لا واحد منها يتم كرها بأي حال • وكل ما تشتهيه أنفسنا لذيذ ، لأن الشهوة اشتياق الى اللذيذ •

وبعض الشهوات غير معقولة ، وبعضها معقولة • وأسمي غير معقولة كل تلك التي ليست نتيجة الرأي[1] • ومثالها كل تلك التي تسمى طبيعية ، كتلك التي توجد بفعل الجسم ، مثل الرغبة في الطعام ، والعطش ، والجوع ، واشتهاء لون معين من ألوان الطعام ، والشهوات المرتبطة بالذوق ، ولذات الجماع ، وبالجملة الشهوات ذات الصلة باللمس ، والشم ، والسمع ، والبصر• وأسمي معقولة الشهوات الراجعة الى اقتناعنا ، لأن ها هنا كثيرا من الأمور التي نشتاق أن نراها أو أن نحصلها اذا سمعنا عنها واقتنعنا بأنها لذيذة •

واذا كانت اللذة تقوم في الاحساس بانفعال معين ، والخيال احساس ضعيف ، فان من يتذكر ومن يؤمل يعينهما تخيل ما يتذكر أو يؤمل • ولما كان الأمر هكذا ، فمن البين أن ثم لذة لمن يتذكر ولمن يؤمل ، لأن ثمة احساسا • ولهذا فان كل الأمور اللذيذة ينبغى اما أن تكون حاضرة في الاحساس ، أو ماضية في التذكر ، أو مستقبلة في الأمل ، اذ يحس المرء بالحاضر ، ويتذكر الماضي ، ويؤمل في المستقبل • (١٣٧٠ ب) ولهذا فان ذكرياتنا لذيذة ، ليس فقط حين تذكرنا بأشياء كانت لذيذة حين كانت حاضرة ، بل وأيضا بعض الأشياء غير اللذيذة ، اذا كانت نتائجها بعد ذلك مشرفة أو حسنة ، ومن هنا جاء هذا القول :

« حقا ان من اللذيذ أن يتذكر المرء المشقة بعد أن يخلص منها »[2] •

---

(٢) اي التي تاتي كيفما اتفق ، لانتيجة اجالة الراي وفقا لمبدا يراه العقل.

(١) يوريفيدس : «اندروميدا» (الشذرة رقم ١٣٢ في A. Nauck : Trayicorum Graecorum Fragmenta , 1889 ») وهذه المسرحية مفقودة ، وقد اورد هذا الاقتباس شيشرون في «حدود الشر والخير»م٢.

وهذا القول :

« اذا عانى المرء كثيرا وأنجز كثيرا ، فانه يلذ بعد ذلك بأحـزانه حـين يتذكرها »[1] .

والسبب في ذلك أن مجرد الخـلاص من الشر لذيذ . والأمـور التي نرجوها لذيذة ، حين يكون حضورها خليقا أن يزودنا بلذة كبيرة أو منفعة ، دون أن يصحبها ألم . وبالجملة ، فان كل الأشياء التي تشيع اللذة بحضورها تشيع عادة اللذة حين نرجوها أو تتذكرها . ولهذا فان الغضب نفسه لذيذ ، كما قال هوميروس في الغضب انه

« أحلى من قطرات العسل »[2]

لأن المرء لا يغضب على من لا يصيبهم انتقامنا ، ولا على أولئك الذين يكونون أقوى كثيرا منا ، فان الناس لا يشعرون نحو أمثال هؤلاء بغضب أو على كل حال يكون غضبهم عليهم أقل .

وغالبية شهواتنا تكون مصحوبة بشعور باللذة ، لأن تذكر لذة ماضيـة أو الأمل في لذة مستقبلة يخلق متعة لذيذة ، فالذين يتوجعون من الحـمى ويتعذبون من العطش يستمتعون بتذكر أنهم شربوا وبأنهـم يؤملون في أن يشربوا مرة أخرى . والعاشقون المدنفون يجدون متعة في الحديث والكتابة ونظم الشعر [3] في المحبوب ، لأنهم يبدو لهم أن في هذا كله التذكر يجعـل موضوع غرامهم مرئيا محسوسا . والحب يبدأ دائما على هذا النحو ، حين يشعر الناس بالسعادة ليس فقط في حضرة المحبوب ، بل وأيضا في غيابه حـين يتذكرونه . وهذا هو السبب في أنه ، على الرغم من أن غيابه مؤلم ، فان ثم بعض اللذة حتى في النواح والتوجع ، لأن الألم راجع الى غيابه ، لكن في تذكره

---

(١) هوميروس : «الاوديسا» النشيد الخامس عشر، البيت رقم ٤٠١.

(٢) هوميروس : «الالياذة» ، النشيد الثامن عشر ، البيت رقم١٠٩.

(٣) أو تترجم هكذا : «وعمل شيء له صلة بالمحبوب».

لذة ، وكأنه يرى ويتمثل أفعاله وشخصيته • ومن هنا صدق الشاعر[1] حين قـال :

« وهكذا تكلم ، وأثار في الجميع الرغبة في البكاء »

والأخذ بالثأر لذيذ ، لأنه اذا كان عدم النجاح مؤلما ، فان النجـاح لذيذ والذين يغضبون يتألمون الى أقصي حد حين لا يفلحون في الانتقام ، بينمـا الأمل فيه يسرهم • والغلبة لذيذة ، ليس فقط بالنسبة الى من يشتاقون التغلب، بل والى الجميع ، لأن في ذلك تتجلى فكرة التفوق ، وهو أمر يشتهيه الجميع بدرجات متفاوتة • ولما كانت الغلبة لذيذة ، (١٣٧١ أ) فان الأداب[2] التي يقصد بها الظفر والغلبة لذيذة لا محالة ، لأن الفوز كثيرا ما ينال فيها ، ومن بين هذه يمكن أن نعد اللعب بالعظيمات ، والكرة ، والنرد ، والطـاولة[3] • والأمر كذلك بالنسبة الى الألعاب الجادة ، اذ بعضها يصير لذيذا اذا تعـوده المرء ، وبعضها الآخر يكون لذيذا من بداية ممارسته مثل الصيد وكل ضروب الرياضة في الخلاء ، ذلك لأن التنافس يتضمن الغلبة • ويلـزم عن هـذا أن المرافعة في المحاكم والمناقشة لذيذة لأولئك المعتادين لهما والمحنكين فيهما • والكرامة (الشرف) وحسن السمعة من بين الأمور البالغة اللذة ، لأن كل انسان يتخيل أن عنده مناقب الرجل الفاضل ، خصوصا اذا قال ذلك عنـه أولئك الذين يعتقد هو أنهم جديرون بالثقة : مثل الجيران أولى من الذين يقيمون على مسافة بعيدة ، والأصدقاء الحميمين والمواطنين أولى من أولئـك المجهولين ، العقلاء أولى من غير العقلاء ، الغالبية أولى من الأقلية ، لأن أمثال

---

(١) هوميروس فى «الالياذة» النشيد الثالث والعشرين، البيت رقم ١٠٨ وقد قيل بمناسبة البكاء على بتروكلس ، و«الاوديسا» ٤ : ١٨٣ بمناسبة البكاء على غيبة اودسيوس .

(٢) παιδιᾶς = اي الاعمال الادبية التي تجري فيها المسابقة وينشد المتنافسون فيهـا الفوز .

(٣) العظيمات ἀστραγαλίσεις : عظام صغيرة يلعب بها، الطاولة πεττείας لعبة شبيهة بلعبة الطاولة المعروفة الان ، النرد κυβείας : المكعبات ذوات الارقام او النقطالسوداء المختلفة العدد .

هؤلاء أولى بالثقة من أضدادهم • أما الذين يزدريهم الناس كثيرا ، مثل الأطفال والحيوان ، فانهم لا يبالون باحترامهم وتقديرهم ، وان فعلوا ذلك ، فليس من أجل تقديرهم ، بل لسبب آخر •

وأيضا الصديق من بين الأمور اللذيذة ، لأن من اللذيذ أن يحب — اذ لا يحب انسان الخمر ان لم يكن يجد فيها لذة — كما أنه من اللذيذ أن يكون الانسان محبوبا ، اذ في هذه الحالة أيضا يشعر المرء بأنه ذو خصال حسنة فعلا ، وأنه شيء يشتاقه كل الذين ينظرون اليه وأن يحب معناه أن يشتاق اليه لذاته • وأن يكون معجبا ، أمر لذيذ ، لما في ذلك من شرف • والتملق والمتملق له لذيذان ، لأن المتملق معجب به وصديق له • ومن اللذيذ فعل نفس الأشياء مرارا ، لأن المألوف لذيذ ، كما قلنا [1] • والتغيير أيضا لذيذ ، لأن التغيير أمر طبيعي ، ذلك أن استمرار نفس الشيء يخلق افراطا في الحالة العادية ، ومن هنا قيل :

« التغيير في كل الأمور لذيذ » [2] •

وهذا هو السبب في أن ما نراه في فترات (متباعدة) ، سواء من الناس والأشياء ، لذيذ ، لأن ثمة تغييرا في الحاضر ، وهو في الوقت نفسه نادر • والتعلم والاعجاب لذيذان بوجه عام ، لأن الاعجاب ينطوي على الرغبة في التعلم ، حتى ان ما يسبب الاعجاب يشتهى ، والتعلم ينطوي على عودة الى ما هو طبيعي [3] • ومن اللذيذ منح وقبول المنافع ، والثاني هو بلوغ ما نريد ، والأول اقتناء الوسائل التي تفيض على كفايتنا ، (١٣٧١ ب) وكلاهما من الأمور التي يشتهيها الانسان • ولما كان فعل الخير لذيذا ، فلا محالة أن يكون

---

(١) م١ ف١٠ ص ١٣٦٩ ب١٦ .

(٢) يوريفيدس : «اورستس» ٢٣٤.

(٣) علي اساس ان الحال الطبيعية للعقل هي ان يعرف ،وبالتعلم يستطيع الانسان ان يعرف أي ان يرجع الى الحالة الطبيعية للعقل . ان الجاهل مضطرب الحال ،اما العارف(العالم، الفيلسوف) فمطمئن النفس .

من اللذيذ نجدة الجيران وتزويدهم بما يفتقرون اليـه • ولمـا كان التعلم والاعجاب لذيذين ، فان كل الأمور المرتبطة بهما لا بد أن تكون لذيذة هي الأخرى ، مثلا أعمال المحاكاة ، كالتصوير والنحت والشعر ، وما هو جيـد المحاكاة ، حتى لو لم يكن الشيء المحاكى لذيذا ، اذ ليس هذا هو الذي يحدث اللذة أو العكس ، بل الاستنتاج أن المحاكاة والشيء المحاكى واحد والنتيجة هي أننا نتعلم شيئا [1] • ونفس الأمر يمكن أن يقال عن التغيرات المفاجئـة والافلات من الخطر بصعوبة ، لأن كل هذه الأمور تثير الدهشة والاعجاب• ولما كان ما يتفق مع الطبيعة لذيذا ، والأشياء القريبة انما هي قريبة بالاتفاق مع الطبيعة ، فان كل الأشياء القريبة والمتشابهة لذيذة بعضها لبعض ،كالانسان للانسان ، والفرس للفرس ، والشاب للشاب • وهذا هو الأصل في هـذه الأمثال :

الرفيق يسر بالرفيق
والشبيه بالشبيه [2]
والأفضل يعرف الأفضل
والشرقرق [3] يأنس بالشرقرق
وما شابه ذلك من الأقوال •

ولما كانت الأشياء القريبة (بعضها من بعض) المتشابهة هي دائما لذيذة بعضها لبعض ، وكل انسان يشعر بهذا الى أعلى درجة بالنسبة الى نفسه ، فلا محالة كان الناس أنانيين على درجات متفاوتة ، لأنه يجـد هـذا (التشابه والقرابة) خصوصا في نفسه • فلما كان كل الناس أنانيين ، فيلزم عن هـذا أنهم جميعا يجدون لذة فيما يخصهم ، مثل أعمالهم وكلماتهم • وهذا هـو السبب في أن الناس ـ كقاعدة عامة ـ مولعون بمن يتملقهـم ويحبهـم ،

---

(١) راجع «فن الشعر» ف٤ ص١٤٤٨ ب٥ ــ ١٩ .
(٢) «الاوديسا» النشيد السابع عشر ، البيت ٢١٨ .
(٣) الشرقرق κολοιος CHooca : طائر . راجع عنه «طبائع الحيوان» م٢ ف١٧ ص٩‚٥ ا١٢، م٩ ف٩ ص١٤ ٦ب٥، ف٢٤ ،ص٦١٧ ب١٦ ــ ١٩.

وبالكرامة ، وبالأولاد ، لأن الأولاد من صنعهم . ومن اللذيذ أيضا أن نزود بما ينقص ، لأنه حينئذ يصير عملنا . ولما كان من اللذيذ جدا أن نسيطر ،فان من اللذيذ أيضا أن نعد حكماء ، لأن الحكمة العملية سيطرة ، والفلسفة تقوم في معرفة كثير من الأمور التي تثير الدهشة . وأيضا لما كان الناس عموما طموحين ، فانه يلزم عن هذا أن من اللذيذ أن نعثر على أخطاء عند الجيران . واذا ظن انسان أنه يتفوق في شيء ، فانه يلذ له أن يكرس وقته له ، وكما يقول بوريفيدس [1] :

« في هذا يستفرغ وسعه
ولهذا يكرس خير ساعات نهاره
في الأمر وللأمر الأفضل في ذاته »

وبالمثل ، لما كانت التسلية وكل ضرب من ضروب الاسترخاء ،والضحك أمورا لذيذة فان الأشياء مضحكة ــ ناسا كانت أو كلمات أو أفعالا ــ هي لذيذة لا محالة . (١٣٧٢ أ) وقد بحثنا في أمر المضحك على حدة في كتاب « فن الشعر » [2] .

وليكن هذا كافيا لبيان الأمور اللذيذة ، أما الأمور المؤلمة فيبين أمرها من أضداد هذه .

١٢

من هم الذين يسيئون ؟ وما نوع إساءتهم ؟ والى من ؟
أ ــ يرتكب الجور أولا : حينما يؤمل الإنسان في ألا يعاقب ،
ثانيا : حينما يظن أنه لن ينكشف أمره ،
ثالثا : حينما لا يهاب العقاب

تلك هي دوافع الجور ، فلنبين الآن نفسية من يجورون ، ومن يعانون

---

(١) يوريفيدس الشذرة رقم ١٨٣ في مجموعة A. Nauck : Fragm Graec Tragicorum ، وهما من مسرحية Artiope المفقودة .

(٢) هذا غير موجود في نص «فن الشعر» الموجود لدينا اليوم. ولعل ارسطو حلل اسباب الضحك وظروفه اثناء بحثه فى الكوميديا ،وذلك في المقالة الثانية من الكتاب، وهي مفقودة الان.

من الجور • ان الناس يجورون حين يظنون أن من الممكن ارتكاب الجور وأنهم يستطيعون ارتكابه ، وحين يظنون أن فعلهم لن يكشف ، أو اذا اكتشف فلن يعاقبوا ، أو اذا عوقبوا ، فان العقاب سيكون أقل من المكاسب التى يكتسبونها هم لأنفسهم أو لأولئك الذين يعنون بشئونهم • أما الأمور التي تبدو ممكنة أو مستحيلة ، فسننظر فيها فيما بعد[1]، لأن هذه المواضع مشتركة بين كل أنواع الخطابة • والذين يجورون يظنون أنهم أقدر على ارتكاب الجور دون عقاب ، اذا كانوا فصحاء ، أو ذوي مهارة عملية ، أو ذوي تجربة أمام القضاء ، أو لهم أصدقاء عديدون ، أو عندهم مال وفير • وتبلغ ثقتهم الذروة اذا كانوا يملكون هم أنفسهم هذه المزايا المذكورة ، وحتى لو لم يملكوها ، فانهم يشعرون بالرضا ان كان لهم أصدقاء أو أنصار أو مساندون يملكونها : وهكذا يستطيعون أن يرتكبوا جرائمهم ولا يكتشفون ويفلتون من العقاب على ارتكابها • كذلك يظنون أنهم سالمون اذا كانوا على صلة طيبة بضحاياهم أو بالقضاة الذين يحاكمونهم ، انه في هذه الحالة لن يحتاط فرائسهم منهم ، ويعقدون ترتيبا معهم بدلا من ملاحقتهم أمام القضاء ، كما أن القضاة سيحابونهم لأنهم يحبونهم ، اما بأن يطلقوا سراحهم ويبرئوا ساحتهم، أو يحكمون عليهم بأحكام خفيفة • ومن المحتمل ألا يكتشفوا اذا كان مظهرهم يتناقض مع التهم التي يتهمون بها : فمثلا الضعيف البنية ليس من المحتمل أن يتهم بارتكاب العنف ، والفقير الدميم الخلقة ليس من المحتمل أن يتهم بارتكاب الزنا • والمظالم العامة المكشوفة هي الأسهل ارتكابا ، اذ لا يمكن أحدا أن يظنها ممكنة ، ومن هنا لا تتخذ احتياطات • وهذا يصدق أيضا على الجرائم التي تكون من الفظاعة والبشاعة بحيث لا يمكن أن يتهم بها انسان : وهنا أيضا لا تتخذ احتياطات • ذلك أن الناس يحتاطون من الأضرار العادية ، كما يحتاطون من الأمراض العادية ، لكن لا أحد يحتاط من مرض لم يصب به أحد من قبل • كذلك تشعر بالأمن ، اذا لم يكن لك أعداء او اذا

---

(1) م٢ ف١٩•

كان لك عدد كبير من الأعداء ، لأنك اذا لم يكن لك أعداء ، فانك لا تتـوقع أن تراقب ، ولذا لن يكتشف أمرك (اذا ارتكبت جريمة) ، واذا كان لك عدد كبير من الأعداء ، فانك ستراقب ، ولهذا سيعتقد الناس[1] أنك لن تخاطر بالاعتداء عليهم ، وتستطيع اثبات براءتك ببيان أنك لا يمكن أن تخاطر مثل هذه المخاطرة . كذلك تستطيع اخفاء جريمتك بالطريقة التي بها ترتكبها أو بالمكان الذي تختاره لارتكابها ، أو بتصرف مناسب .

كذلك يمكن أن تشعر أنه حتى لو اكتشفت فانك تستطيع الافـلات من المحاكمة ، أو تعمل على تأجيلها ، أو ترشو قضاتك ، وحتى لو حكم عليك فانك تستطيع الافلات من دفع التعويض ، أو على الأقل أن تؤجل ذلك لمدة طويلة ، أو تكون من الفقر بحيث لا تفقد شيئا . كذلك قد تشعر بأن الربح الذي تجنيه من ارتكاب الجور كبير أو مؤكد أو مباشر وفوري ، بينمـا العقـوبة صغيرة ، أو مشكوك فيها ، أو ستوقع بعد أمد مديد . (١٣٧٢ ب) وقـد يحدث أن تكون الفائدة المكتسبة (من ارتكاب الجريمة) أكبر من أي جزاء، كما تبدو الحال بالنسبة الى الطغيان . وكذلك الحال حـين تكـون الأفعال الجائرة مكاسب حقيقية ، بينما العقاب هو السخط ، وعلى العكس ، حـين تزيد الأفعال الجائرة من قدرك ــ مثل أن ينتقم الانسان لقتل أبيه أو أمـه ، كما حدث لزينون[2] ، بينما العقاب غرامة أو نفي ، أو شيء من هذا القبيل . ذلك أن الناس يجورون لهذين السببين في هاتين الحالتين ، لكن الأشـخاص مختلفون ، وأخلاقهم متضادة تماما في كلتا الحالتين[3] . كذلك من لم يكتشفوا مرات عديدة ، أو من أفلتوا مرارا من العقاب ، والذين أخفقوا مرارا ، لأنه في مثل هذه الأحوال ، كما في الحرب الفعلية ، يوجد دائما أناس مستعدون

---

(١) اي ضحاياك.

(٢) لايعرف منزينون هذا وما قصته .

(٣) ذلك ان البعض يجورون طمعا في الكسب ، والبعض يجورون طمعا في المدح ،لكن الاول يضحي بالشرف في سبيل المنفعة الذاتية ، والثاني يضحي بالمنفعة الذاتية في سبيل الشرف.

لاستئناف القتال . كذلك أولئك الذين يؤملون في اللذة والمكاسب في الحال، بينما الألم والخسارة سيحدثان فيما بعد : مثال ذلك أهل الفجور ، لأن الفجور يتعلق بكل الأشياء التي يشتهيها الناس . وكذلك ، على العكس ، حين يكون الألم أو الخسارة في الحال ، بينما اللذة والمكاسب يأتيان فيما بعد ويستمران مدة أطول ، لأن أهل العفة والحكمة يقصدون هذه الأغراض . ثم أولئك الذين يظن أن من الممكن أن يكون قد فعلوا بالبخت أو بالاستكراه ، عن دافع طبيعي أو عن عادة ، وبالجملة من ارتكبوا غلطة أولى من أن يكونوا ارتكبوا جريمة . ثم أولئك الذين يؤملون في الحصول على الصفح والتسامح ،وأولئك الذين هم في حاجة ، وهم على نوعين ، لأن الناس اما أن يحتاجوا الى ما هو ضروري ، مثل الفقراء ، أو الى ما هو زائد ، مثل الأغنياء . ثم أولئك الذين يكرمون كثيرا ، أو يحتقرون احتقارا شديدا ، فالأولون لا يتهمون ، والآخرون لا ينالهم من التهمة أكثر مما هم فيه .

في مثل هذه الأحوال يحاول الناس ارتكاب الجور . وموضوعات جورهم هي الناس والظروف التي من النوع التالي : من يملكون ما يعوزهم هم ، سواء كان ما يملكونه أشياء ضرورية أو زائدة أو للاستمتاع ، ومن هم بعيدون ومن هم قريبون ، اذ في احدى الحالتين يكون الربح سريعا ، وفي الأخرى يكون الانتقام بطيئا ، كما يحدث لو نهب اليونانيون القرطاجنيين . ثم أولئك الذين لا يتخذون أي احتياط ولا يحترسون ، بل يثقون ويستنيمون لأن هؤلاء يسهل الغدر بهم ويؤخذون على غرة . ثم أولئك الذين هم كسالى، لأنه لا بد من مثابر ذي همة لا يألو جهدا . ثم الحييو الطبع ، اذ ليس من المحتمل أن يقاتلوا من أجل المال . ثم أولئك الذين نالهم الجور مرارا ، فلم يتحركوا للرد والدفاع ، لأنهم ــ كما يقول المثل ــ « غنيمة موسياوية »(١) .

---

(١) موسيا Mysia : مقاطعة في شمال غربي اسيا الصغرى، من اشهر مدنها فرغاموم، وسوزيكوس ، ولمبساكوس وابيدوس واسوس، وكانوا حلفاء الطرواديين. قد اشتهروا بالجبن وكراهية خوض الحروب .

ثم أولئك الذين ظلموا مرارا ، أو الذين لم يظلموا أبدا ، لأن كليهما لا يأخذ حذره ولا يحتاط: الأخيرون لأنهم لم يهاجموا أبدا، والأولون لأنهم لايتوقعون أن يهاجموا مرة أخرى • ثم أولئك الذين طعنوا في أخلاقهم في الماضي ، أو هم معرضون للطعن عليهم في المستقبل : لأنهم سيشعرون من الخوف من القضاة بحيث لا يقررون الذهاب الى المحاكم ولا يستطيعون اقناع القضاة اذا ذهبوا اليهم : (١٣٧٣ أ) ومن هؤلاء من يتعرضون للكراهية أو الحسد • ثم أولئك الذين يمكن الجائر أن يدعي عليهم أن أجدادهم ، وهم أنفسهم ، أو أصدقاءهم جاروا عليهم أو اتنووا الجور عليهم أو على أجدادهم أو على من يوقرونهم ، فكما يقول المثل: « الجور لا يحتاج الا الى أي عذر » • ثم الأعداء والأصدقاء: اذ من السهل ايذاء هؤلاء ، ومن اللذيذ ايذاء أولئك • ثم الذين ليس لهم أصدقاء • ثم الذين هم ضعاف في القول أو العمل ، أما لأنهم لا يحاولون الشكاية ، أو يتفاهمون ، أو لا يعملون شيئا • ثم أولئك الذين لا يرون فائدة في اضاعة الوقت انتظارا لصدور الحكم أو الغرامات ، مثل الأجانب أو صغار الفلاحين ، لأنهم مستعدون للمساومة بشروط بسيطة والتخلي عن الشكاية • ثم الذين ارتكبوا مظالم عديدة ، أو من نوع تلك التي يتألمون هم فيها ، اذ يبدو من العدل تماما أن يتألم المرء من جور تعود هو أن يجعل الآخرين يتألمون من مثله : مثلما يهاجم المرء انسانا تعود الهجوم على الآخرين • ثم أولئك الذين جاروا علينا بالفعل ، أو قصدوا الى ذلك ، أو يقصدون ، أو بسبيل ذلك ، اذ في هذه الحالة يكون الانتقام لذيذا ومشرفا ، ويبدو تماما فعلا عادلا • ثم أولئك الذين نجور عليهم في سبيل جلب رضا أصدقائنا أو من نعجب بهم أو نحبهم أو سادتنا ، وبالجملة أولئك الذين يتحكمون في حياتنا • ثم أولئك الذين بشأنهم قد نحصل على رعاية رحيمة (١) • ثم أولئك الذين

---

(١) ويمكن ان تترجم هكذا : «واولئك الذين قد نجور عليهم لكننا واثقون مع ذلك اننا سنلقي منهم معاملة منصفة» . وقد تفسر ايضا هكذا : اولئك الذين بشانهم قد نحصل على رعاية من الاخرين» اي من القضاة .

شكوناهم من قبل ، أو كان بيننا وبينهم نزاع ، كما فعل كليفوس في مسـألة ديون[١] ، اذ في مثل هذه الأحوال يكون الفعل عادلا • ثم أولئـك الذين سيهاجمهم آخرون ، اذا لم نهاجم أولا ، اذ لم يعد من الممكن التروي ، فمثلا قيل عن أنسيداموس انه أرسل الجائزة في لعبة الكوتابوس الى جيلون الذي سبقه ففعل ما انتوى هو فعله ، فأخضع مدينة[٢] • ثم أولئك الذين ــ بعـد أن جرنا عليهم ــ سنكون قادرين على أن نصنع لهم أفعال عدل كثيرة ، على أساس أنه سيكون من السهل التعويض عن الظلم، كما قال ياسون الشالى[٣] حين قال ان على المرء أحيانا أن يرتكب جورا ، حتى يستطيع بعد ذلك أن يصنع العدل مرارا •

ب ــ المظالم التي ترتكب غالبا

والناس مستعدون لارتكاب المظالم التي اعتاد كل أو جل الناس ارتكابها لأنهم يؤملون في أن يصفح عنهم • ويسرقون الأشياء التي يسهل اخفـاؤها ، مثل الأشياء التي تستهلك بسرعة كالمأكولات ، والأشياء التي يمكن تغيـير شكلها أو لونها أو تركيبها ، والأشياء التي توجد لها مخابىء عديدة ملائمة ، مثل الأشياء التي يسهل حملها أو صفها في ركن ، والأشياء التي يملك منهـا اللص عددا كبيرا مشابها لها تماما أو يصعب تمييزها منها • ثم قد يرتكبـون مظالم يخشي الضحايا من الكشف عنها ، مثل الاعتداء على نساء الأسرة ، أو على أعراضهم أو أعراض أولادهم • وكذلك كل المظالم التى يكون فيهـا الاحتكام الى القانون من شأنه أن يخلق مظهر التنازع ، مثل المظالم البسيطة أو غير المهمة • تلك هي تقريبا كل الدوافع التي تدفع الناس الى ارتكاب الظلم، وطبيعة المظالم ودوافعها ، ونوع الأشخاص الذين يقعون ضحايا للظلم •

---

(١) كان كليفوس Callppus صديقا لديون Dion الذي حرر سرقوسة (فى صقلية) من ديونيسيوس الاصغر . بيد أنه اتهم ديون بعد ذلك، وتآمر لقتله.وكانت حجتـه ان ديون كان يعلم ماذا انتوى ولهذا سيضرب اولا، ان لم يسبقه هو.

(٢) كان اسيداموس Aenesidemus طاغية لبونتيني Leontini .وانتوى الاستيلاء على مدينة مجاورة فاحس جيلون بذلك مقدما ، واستولى عليها قبله لهذا أرسل اليه انسيد اموس جاءه لعبه الكوتابوس تهنئة لهعلى أنه لعب بمهارة والكوتابوس لعبه كانت شاسعة فى صقلية

(٣) طاغية فيرا في اقليم تساليا . وقد حاول توحيد تلك المنطقة واعلان نفسه سيدا .

١٣

الأفعال الجائرة والعادلة

أ ــ القانون الطبيعي والقانون المكتوب

(١٣٧٣ ب) ونميز الآن الأفعال العادلة من الأفعال الجائرة بوجه عام ، ولنبدأ من ها هنا : لقد حددنا العدل والظلم بالنسبة الى القوانين والأشخاص على نحوين • ونقول الآن ان القوانين على ضربين : خاصة ، وعامة •وبالقوانين الخاصة أقصد تلك التي سنها كل شعب لنفسه ، وهي بدورها تنقسم الى : مكتوبة ، وغير مكتوبة • وبالقوانين العامة أقصد تلك القائمة على الطبيعة • ذلك أن ها هنا فكرة عامة عما هو عادل وظالم وفقا للطبيعة ، كما يتنبأ كل الناس ، حتى لو لم يكن بينهم اتصال ولا اتفاق • وهذا ما تقصده أنتيجونا في (مسرحية) سوفقليس[١] ، حين تقول ان من العدل ــ أن كان ممنوعا ــ أن يدفن فولنيقس فان هذا عدل طبيعي :

« فليس هذا شيئا كان اليوم أو أمس ، لكنه أمر قائم أبدا
لا يعلم أحد من أين ظهر[٢] »

وكما قال انبا دقليس في النهي عن قتل كل ذوات الأنفس ، لأن هذا ليس عدلا بالنسبة الى البعض ، وظلما بالنسبة الى البعض الآخر :

« كلا ، فهذا قانون كلي يمتد

خلال ملكوت السماء وعلى وجه الأرض بغير انقطاع »

---

(١) سوفقليس : «أنتيجونا» البيت رقم ٤٥٦ ــ ٤٥٧

(٢ نقلناه عن الترجمة العربية القديمة (ص ٦٤) لانها دقيقة جيدة هاهنا.

٢) الشذرة رقم ١٣٥ من أناشيد أبنادقليس Katharmoi ،راجع «شذرات» ديلز ج١ ص٢٧٥ ط٣ .

ويتكلم القداماس[1] عن هذا القانون نفسه في خطبته : « مسانياقوس » (...) وبالنسبة الى الأشخاص ينقسم القانون قسمين ، لأن ما يجب على المرء أن يفعله أو أن لا يفعله يتعلق اما بالجماعة بوجه عام أو بواحد من أفرادها .

ولهذا يوجد نوعان من الأفعال الظالمة والعادلة ، لأنها اما أن ترتكب ضد فرد معلوم ، أو ضد الجماعة ، فمن يرتكب زنا أو هجوما يرتكب ظلما ضد فرد معلوم ، بينما من يرفض الخدمة في الجيش يرتكب ظلما ضد الدولة . وهكذا ميزنا كل أنواع الظلم ، وبعضه يتعلق بالدولة ، والبعض الآخر ينال فردا أو عدة أفراد . فلنعد الى تحديد معنى أن « يُظْلَم » وبعدها نواصل البحث . أن « يُظْلَم » هو أن يعاني الظلم على يد من يرتكب الظلم اراديا ، لأننا قررنا أن الظلم فعل ارادي . ولما كان الذي يعاني الظلم يتحمل الأذى ضد ارادته ، فمن البين مما قيل معنى الأذى ، وقد ميزنا فيما سلف[2] ما هي الأمور الخيرة وما هي الأمور الشريرة[3] ، وقلنا ان الأفعال الارادية هي كل تلك التي ترتكب عن علم بالحالة . ويلزم عن هذا لا محالة أن كل ألوان الاتهام تتعلق بالدولة أو بالفرد ، والمتهم قد فعل اما عن جهل وضد ارادته ، أو عن علم وبارادته ، وفي الحالة الأخيرة اما عن تعمد وسبق اصرار خبيث ، أو عن انفعال طائش . وسنتحدث عن الغضب[4] حين تتناول الآلام[5] ، كذلك بينا[6] في أي الظروف وبأي استعدادات يفعل الناس عن قصد واختيار .

---

(١) من اليس ، وكان تلميذا لجورجياس السوفسطائي الشهير. والخطبة ضاعت ،ولم يرد في نص ارسطو نص كلامه،ولكن احد الشراح اورده هكذا :«لقد ترك الله الناس جميعا احرارا، والطبيعة لم تجعل احدا عبدا». وكان اهل مسينا قد ثاروا على اسبرطة.

(٢) الفصل ٦

(٣) الفصل ١٠ .

(٤) م٢ ف٢ .

(٥) = Passions وتترجم ايضا: الانفعالات ، الوجدانيات، الخ. وقداستعملنا «الالام» اخذا عن الترجمة العربية القديمة ، وان كانت غير وافية.

(٦) فصل ١١،١٢.

لكن لما كان المرء كثيرا ما يقر بالواقعة (١٣٧٤ أ) ولكنه ينكر وصف التهمة أو ما تدور حوله ـ مثلا يقر بأنه أخذ شيئا ما ، لكنه لم يسرقه ، أو أنه بدأ فدفعه ولكنه لم يهنه ، وانه عاشر لا بأنه زنى بامرأة ، أو أنه سرق شيئا ولكنه لم يرتكب جريمة التدنيس ، لأن المسروق ليس مكرسا للآلهة ، أو انه اعتدى ، ولكن لا على أرض عامة ، أو أنه خاطب العدو ، ولكنه لم يرتكب خيانة ـ ولهذا السبب يجب أن نعرف : السرقة ، والاهانة ύβρις والزنا ، من أجل أننا اذا أردنا اثبات أن جريمة وقعت أو لم تقع نستطيع أن نصف الحالة بالوصف الصحيح • وفي كل هذه الأحوال المطلوب هو معرفة هل المرتكب المفترض قد ارتكب ظلما وكان شخصا أثيما ، أم لا ، لأن الرذيلة وارتكاب الظلم يقومان في القصد الأخلاقي، والألفاظ مثل « اهانة » و «سرقة» تدل على قصد وغرض ، لأنه اذا دفع انسان (انسانا آخر) ، فلا يعني هذا في جميع الأحوال انه ارتكب اهانة ، انما يكون كذلك اذا دفعه بغرض تحقيره أو تفضيل لذة لنفسه • كذلك اذا أخذ انسان شيئا خلسة ، فليس من المؤكد أنه بهذا قد سرق وانما يكون كذلك اذا كان قد أخذه لالحاق الأذى بالغير أو للحصول على الشيء لنفسه • وهكذا الحال في سائر الأحوال كما في هذه التي ذكرنا •

ب ـ في الانصاف

ولقد قلنا ان ها هنا نوعين من الأفعال العادلة والأفعال الجائرة (لان البعض منها مكتوب ، والبعض الآخر غير مكتوب) ، وتكلمنا عن تلك التي نصت عليها القوانين صراحة ،وأما تلك التي هي غير مكتوبة فها هنا نوعان : احداهما ينشأ من افراط الفضيلة أو الرذيلة ، ويصحبه مدح أو ذم ، شرف أو عار ، ومكافأة ، مثلا : أن يعترف بالجميل لصاحب النعمة عليه ، أن يبادل الخير بالخير ، أن يساعد الأصدقاء ، وما أشبه هذا ، والنوع الثاني يحتوي على ما هو مغفل في القانون المكتوب • لأن ما هو منصف يبدو عادلا ، والانصاف عدالة تتجاوز القانون المكتوب ، وهذه الاغفالات تكون أحيانا غير متعمدة ،

وأحيانا متعمدة من جانب المشرعين : غير متعمدة ، اذا كانوا سـهوا عنهـا ، ومتعمدة اذا اضطروا ــ وقد عجزوا عن التقنين لكل الحالات ــ الى وضع قواعد عامة ، لا تنطبق على جميع الحالات ، وانما على غالبية الأحوال فحسب، وحين يكون من الصعب وضع تعريف بسبب أن الأحوال لا نهاية لها ، مثلا حجم ونوع الآلة الحديدية التي استعملت في احداث الجـراح ، فلا يكفي العمر كله لتعداد كل الممكنات • فاذا كان من غير الممكن وضع تعريف دقيق، وكان التشريع امرا ضروريا ، فيضطر المشرع لا محالة الى استعمال قواعـد عامة ، فمثلا اذا رفع انسان يده ، وفي أصبعه خاتم ، من أجل أن يضرب ، أو بضرب فعلا ، فانه يرتكب جريمة بحسب القانون المكتوب ، أما في الواقع فهو ليس كذلك ، وهذه حالة من أحوال الانصاف •

(١٣٧٤ ب)فان كان تعريفنا للانصاف صحيحا ، فمن السهل أن نرى ما هي الأشياء والأشخاص الذين يتعلق بهم الانصاف • فالافعال التي ينبغي أن تعامل بالرفق والصفح هي أحوال للانصاف . والأخطاء ، والأفعال الظالمة ، وألوان سوء البخت ينبغي ألا يظن بها أنها تستحق نفس العقوبة • وألوان سوء البخت هي كل الأمور غير المتوقعة والتي ليست شريرة ، والأخطاء ليست غير متوقعة ، لكنها ليست شريرة ، والأفعال الظالمة متوقعـة وشريرة ، لأن الافعال التي ترتكب بدافع الشهوة تنشـأ عن الرذيلة • ومن الانصـاف أن نصفح عن ألوان الضعف الانساني ، وأن ننظر لا الى القانون ، بل الى المشرع، لا الى النص الحرفي للقانون ، بل الى قصد المشرع ، لا الى الفعل ذاته ، بل

---

(١)يقابل ارسطو بين ἐπιείκεια وبين δικαιοσύνη فهذه الاخيرة هي العدالة المحدودة الدقيقـة اما الاولى وقد ترجمناها «بالانصاف» ــ فأوسع من العدالة المحدوة وفيها تفضل.راجع ارسطو : «الاخلاق النيقوماخية» م٥ ف.١ ص١١٣٧ أ٣١ ــ ١١٣٨ أ٣. ويترجمها المترجم العربي القديم (ص٦٦) بـ «الحلم».ولكن الحلم في العربية هو: الاناة ضد الطيش،والعقل (قال تعالى : وتامرهم احلامهم بهذا)،وقد يقابل الجهل والسفاهة (قال زهير: وان سفاه الشيخ لاحلم بعده) . والكلمة اليونانية عند ارسطو لاتعني اي واحد من هذه المعاني، وانما تعني : السماحة والكرم وسراوة الطبع والصفح . راجع ما قلناه في نشرتنا للترجمة العربية (ص٦٨ تعليق ١) وتلخيص الخطابة لابن رشد (ص١١٢ تعليق٢).

الى النية والمشيئة ، لا الى الجزء ، بل الى الكل، لا الى الشخص كما هو الآن، بل الى ما كان عليه دائما وعموما • ومن الانصاف أن تتذكر المعاملة الحسنة أولى من السيئة، والنعم التي تلقيناها أولى من تلك التي أعطيناها، وأن نتحمل الأذاة بصبر ، وأن نرغب في تحكيم العقل ، أولى من الاحتكام الى العنف ،وأن نفضل التحكيم على المحكمة ، لأن المحكم يراعي الانصاف ، بينما القاضي لا ينظر الا الى القانون ، والسبب في تعيين المحكمين هو الرغبة في أن يسود الانصاف • ويكفي هذا لتحديد الانصاف •

١٤
كيف نعرف أن فعلا أعدل من فعل

الظلم يكون أكبر كلما كان (الاستعداد لارتكاب) الظلم أكبر • ولهذا كان أيسره أحيانا أعظمه ، كما في التهمة التي وجهها قلسطراطوس(١) ضد ميلانوفس من أنه غش بناة المعبد في ثلاثة فلوس مكرسة • والأمر على عكس هذا تماما في حالة العدل • والسبب في هذا أن الأعظم يوجد بالقوة في الأصغر، لأن من سرق ثلاثة فلوس مكرسة يمكن أن يرتكب أي ظلم كان • والأفعال الظالمة تعد أحيانا أعظم ظلما عن هذا الطريق ، أو على حسب مدى الضرر الناتج عنها • والظلم يكون أفدح اذا لم يكن هناك عقاب وفاق له ، بل كلها غير كافية ، واذا لم يكن هناك علاج له ، لأنه من العسير ان لم يكن من المستحيل التعويض عنه أو اصلاحه ، واذا لم يكن في استطاعة الشخص الذي وقع عليه الضرر أن يحكم له قانونيا ، فهذا من شأنه أن يجعل الضرر غير قابل للعلاج ، لأن العقاب القانوني والعدالة نوعان من العلاج • كذلك اذا أوقع المجني عليه ضررا كبيرا بنفسه ، فان الجاني يستحق عقوبة أشد ، ولهذا فان سوفقليس — وهو يدافع على لسان يوكتامون الذي انتحر بعد الاهانة

---

(١) قلسطراطوس Callistratos وميلانوفس Melanopos كانا خطيبين اثينيين متنافسين وقد ارسلهما الاثينيون الى لاقدمونيا لعقد الصلح مع اهلها — مكرسة اي مقدمة قربانا للانفاق منها على أمور دينية .

(١) سوفقليس هذا خطيب يوناني ،وهو غير الشاعر اليوناني المشهور صاحب التراجيديات

التي لحقت به ـ يعلن أنه لن يقدر (١٣٧٥ أ) العقاب بأقل مما قرره المجني عليه بالنسبة الى نفسه • ويكون الظلم أفدح أيضا اذا لم يسبق له مثيل ، أو كان الأول من نوعه ، أو ارتكب بمساعدة قلة من المشاركين فيه [1] ، واذا كان قد ارتكب مرارا عديدة أو اذا فرضت بسببه قيود وعقوبات جديدة : كما حدث في أرجوس حيث فرضت عقوبة جديدة (أو : سن قانون جديد) على رجل سن بسببه قانون ، وكذلك على أولئك الذين بسببهم بني سجن ، أو اذا كانت الجريمة بالغة الشناعة ، أو شديدة التعمد ، أو اذا كانت حكايتها تثير الرعب أكثر مما تثير الشفقة • ويمكن استعمال حيل خطابية من النوع التالي : القول بأن المتهم ضرب عرض الحائط أو انتهك مبادىء عديدة للعدالة، مثل : حلف اليمين ، عهد الصداقة ، كلمة الشرف ، قداسة الزواج ـ لأن في هذا تكديسا لجرائم فوق جرائم • وأفعال الظلم تكون أفدح اذا ارتكبت في نفس المكان الذي فيه يحكم على المجرمين ، كما يحدث من شهود الزور ، لأنه اذا كان يرتكب الجريمة في ساحة القضاء، فأين اذن لن يرتكب الجريمة؟ كذلك تكون أفعال الظلم أكبر اذا كانت مصحوبة بأكبر عار ، واذا ارتكبها مرتكبها صد من أنعم عليه ، لأن الجاني في هذه الحالة يرتكب جرما مضاعفا لأنه ليس فقط ارتكب جرما، بل وأيضا لم يرد على الجميل بالجميل• كذلك اذا ارتكب الانسان انتهاكا لقوانين الصواب غير المكتوبة ، لأن ثم فضلا أكبر في فعل الصواب الذي لا يكون المرء مجبرا عليه [2] ، والقوانين المكتوبة تتضمن اجبارا ، بينما غير المكتوبة لا تنطوي على ذلك • وارتكاب الظلم ، منظوراً اليه من ناحية أخرى ، يكون أفدح اذا انتهك القوانين المكتوبة ، لأن من يرتكب ظلما يتخوف منه ويجر الى العقاب ، يكون مستعدا لارتكاب ظلم لن يعاقب عليه •

وليكن هذا كافيا لبيان ما هو الظلم الاكبر ، وما هو الظلم الاصغر

---

(١) ويمكن ترجمة النص ايضا هكذا : «او كان مرتكبه الرجل الوحيد، او الوحيد تقريبا» ـ بمعنى انه ارتكبه وحده فهو يحمل المسئولية الكاملة عنه لايشاركه فيها احد .

(٢) ولهذا يكون انتهاكها ابشع .

١٥

في الحجج المستقلة عن الصناعة

أ ـ الحجج المستقلة عن صناعة الخطابة

وبعد أن تكلمنا عما أتينا على ذكره، علينا أن نتكلم بايجاز عما يسمى بالتصديقات غير الصناعية فان هذه خاصة بالخطابة في أمور التشاجر[١] . وهذه التصديقات عددها خمسة: القوانين، والشهود، والعقود، والعذاب[٢]، والأَيْمان .

ب ـ القوانين

ولنتكلم أولا في القوانين ، ولنذكر كيف يجب استعمالها في الحض أو النهي[٣] ، الاتهام أو الدفاع . اذ من الواضح أنه اذا كان القانون المكتوب يتعارض مع موقفنا ، فعلينا اللجوء الى القانون العام والانصاف ، لأن هذا أقرب الى العدل ،وأن نبين أن القاضي حين أقسم على أن يحكم بأحسن الحكم فهو يقصد أنه لن يلتزم التزاما صارما (بحرفية) القوانين المكتوبة ، وأن نقرر أن الانصاف ثابت دائما ولا يتغير أبدا ، مثل القانون العام ، القائم على الطبيعة ، بينما القوانين المكتوبة غالبا ما تتغير . وهذا هو السبب في ان أنتيجونا في (مسرحية) سوفقليس جادلت عن نفسها بأنها وان دفنت فولونيقس مخالفة بذلك قانون كريون ، فانها لم تخالف القانون غير المكتوب :

(١٣٧٥ ب) « وليس هذا شيئا كان اليوم أو أمس ، لكنه أمر قائم أبدا ... وما كان لي أن أنتهك هذا (القانون الأبدي) خوفا من أي انسان[٤]

---

(١) التشاجر = النزاع امام المحاكم .

(٢) يقصد الاعترافات التي تنتزع بالتعذيب.

(٣) على الرغم من ان التصديقات غير الصناعية تستعمل اصلا في الخطابة التشاجرية، فانها يمكن ايضا ان تستخدم فى الخطابة المشورية .

(٤) سوفقليس : « انتيجونا» ٤٥٦، ٤٥٨ . وقد ورد البيت الاول من قبل فى فصل ١٣.

كذلك عليه أن يجادل أن العدل أمر حقيقي ونافع ، لكن ليس العدل الظاهري ، وكذلك القانون المكتوب (ليس هو المهم) ، لأنه يميز بين العدل السليم والعدل الزائف ، وأن موقف الانسان الفاضل هو أن يستعمل ويلتزم بالقانون غير المكتوب أكثر منه بالقانون المكتوب . كذلك ينبغي أن ينظر هل القانون مناقض لقانون آخر معترف به أو متناقض مع نفسه : مثلا أن يقرر أحد القوانين أن جميع العقود ملزمة ، بينما قانون آخر يمنع من عقد عقود مخالفة للقانون . واذا كان معنى القانون مشتبها ، فعلينا أن نقلبه على أوجهه وننظر كيف يفسر بحيث يناسب تطبيق العدالة أو المنفعة ، ونلجأ الى هذا . واذا كانت الظروف التي أدت الى سن القانون قد عفي عليها ، بينما ظل القانون قائما ، فيجب على المرء ايضاح ذلك والطعن في القانون على هذا الاساس لكن اذا كان القانون المكتوب يخدم وجهة نظرنا ، فيجب أن نقول ان قسم القاضي بأن « يحكم أحسن الحكم » لا يخول له أن يحكم حكما مخالفا للقانون ، وانما يقصد به فقط اعفاؤه من تهمة الحنث في اليمين ، ان كان جاهلا بمضمون القانون . ويجب أيضا أن نقول انه لا فارق بين عدم استعمال القوانين وبين عدم سنها ، وأنه في الصناعات (الفنون) الأخرى لا مزية في محاولة المرء أن يكون أحكم من الطبيب ، لأن الخطأ من جانبه لا يضر بمقدار ما يضر عادة عصيان السلطة ، وأن محاولة المرء أن يكون أحكم من القوانين أمر ممنوع في غالبية القوانين المقررة . وحسبنا هذا فيما يتعلق بالقوانين .

د ـ الشهود

أما الشهود فعلى نوعين : قدماء ومحدثون . والمحدثون يشارك بعضهم في مخاطرة المحاكمة ، ولا يشارك البعض الآخر . وأقصد بالقدماء : الشعراء[1]

---

(١) راجع « الالياذة » النشيد الثاني ، الابيات ٥٥٧ ـ ٥٥٨ . والقضية هي أن أثينا وميغارا تقاتلا من أجل الاستيلاء على سلاميس ، وتوسط اللاقدا مونيون بينهما في النزاع ، وحكموا لصالح أثينا استنادا الى البيتين المذكورين الواردين فى « الياذة » هوميروس ، بحجة أنهما يدلان على أن سلاميس تتبع أثينا . ويقال أن البت الثاني منحول وضعه سولون .

والمشاهير الذين اشتهرت أحكامهم عند الجميع ، مثلا : في قضية سلاميس استشهد الأثينيون بهوميروس[١] ، وحديثا استشهد أهل تندوس بفرياندر الكورنثي في نزاعهم[٢] مع السبجيين (Σιγειεῖς). كذلك استعان قليوفون Κλεοφῶν بمراثي (ابلجيات) سولون ضد قرطياس ، لاثبات أن أسرة الأخير اشتهرت طويلا بالفجور ، والا لما كان سولون قد قال :

« قل لقرطياس الأشقر الشعر : أطع أباك »[٣]

وينبغي للمرء أن يستشهد بأمثال هؤلاء الشهود فيما يتعلق بالماضي ، وكذلك يستشهد (١٣٧٦ أ) بهم مفسرو الوحي للتنبؤ بالمستقبل ، مثلما فعل تمستوقلس حين فسر الجدار الخشبي أن معناه هو أن عليهم أن يحاربوا في البحر[٤] . والأمثال ، كما قلنا[٥] ، شواهد وبينات : فمثلا اذا نصح امرؤ

---

(١) البيتان هما : « اقتاد أياكس من سلامين اثنتي عشرة سفينة ، وأتى بها الى حيث اتخذت كتائب الاثينيين مواقعها » . — وسلاميس Σαλαμίς أو سلامين Σαλαμίν : جزيرة تجاه الساحل الغربي لأتيكا (اليونان) يفصلها عنه مضيق . وأكبر أطوالها في اي اتجاه ١٠ ميل ، وتؤلف الحد الجنوبي لخليج الوسيس . ويقول هوميروس انها كانت مقام طيلامون ، اذ التجا اليها بعد مصرع أخيه وصار ملكا عليها ، ومن هناك ارتحل بصحبة اليونانيين وولديه اياكس وطوقر ، على اثنتي عشرة سفينة من سلامين . وقد بقيت سلاميس دولة مستقلة حتى حوالي سنة ٦٢٠ ق. م. ، حين استولى عليها أهل ميغارا ، لكن أهل أثينا انتزعوها منهم في عهد سولون بعد ذلك بحوالي عشرين سنة . في سنة ٤٨٠ ق. م. كانت مياهها مسرحا للمعركة البحرية الشهيرة التي انتصر فيها اليونان على الفرس مما دمر قوة اكسركس ملك فارس وأمن حرية الغرب .

(٢) لم تصل الينا معلومات عن هذا الموضوع .

(٣) الشذرة رقم ٢٢ في نشرة T. Bergk : Poet. Lgrici جـ ٢ مع اختلاف في الرواية . وقرطياس المذكور هنا هو جد قرطياس الذي يهاجمه قليوفون . وقرطياس الحفيد هذا كان أوليفاركا (حاكما) على أثينا ، وتلميذا لسقراط ومؤلف رسائل ومسرحيات طراجيدية ، وباسمه سميت احدى محاورات أفلاطون . وقد كافح ضد حكومة الاربعمائة ، ونفي بتحريض من قليوفون . وبعد انتصار اسبرطة على أثينا (سنة ٤٠٥ ق. م.) صار عضوا في الحكومة الاوليفاركية المعروفة بحكومة الثلاثين (سنة ٤٠٤ — ٤٠٣ ق. م.) ، ولكنه قتل في معركة مع جيش تراسوبول الذي أعاد الحكم الديمقراطي الى أثينا .

وكان قليوفون صانع قيثارات واشتغل بالسياسة ، فكان عنيفا ولكنه كان بارعا نزيها في الامور المالية ، وكان من أشد المتحمسين للحرب ضد اسبرطة ، وقد حكم عليه بالموت وأعدم في سنة ٤٠٥ ق. م.

(٤) راجع هيرودوتس ٧ : ١٤١ .

(٥) لم يذكرها ارسطو من قبل ، ولهذا يقترح اشبنجل في نشرته حذف كلمة εἴρηται وحذف الفواصل وتكون ترجمة النص هكذا : « والامثال ، على نحو ما ، شواهد وبينات » .

شخصا بعدم مصادقة رجل عجوز ، فان في وسعه أن يستشهد بالبيت التالي وهو مثل :

« لا تصطنع عند عجوز صنيعة »(١)

واذا نصح انسانا بأن يقتل الأبناء الذين قتلوا آباءهم ، يستطيع أن يقول : « أحمق من يدع الأبناء أحياء بعد قتلهم أباهم »(٢)

وأعني بالشهود المحدثين كل المشاهير الذين أصدروا أحكاما في أي موضوع ، لأن أحكامهم مفيدة لمن يجادلون في موضوعات مشابهة : فمثلا يوبولس Εὔβουλος حين هاجم خاريس(٣) Χάρης في المحاكم ، استعمل ما قاله أفلاطون ضد ارخبيوس Ἀρχίβιος وهو قوله :

« ان الاعتراف الصريح بالسفالة قد زاد وتكاثر في المدينة » . والذين يشاركون في مخاطرة المحاكمة ، اذا اعتبروا شهود زور . ومثل هؤلاء الشهود يفيدون فقط في تقرير هل وقع الفعل أو لم يقع ، هل هذا موضوع النزاع أو لا لكن ان تعلق الأمر بوصف الفعل هل هو عادل أو جائر ، نافع أو ضار ، فانهم لا يصلحون للشهادة . والشهود البعيدون تماما عن موضوع النزاع جديرون جدا بالثقة في هذا الموضوع . لكن الشهود القدماء هم الأجدر بالثقة ، لأنه لا يمكن افساد ذممهم . وفيما يتعلق بتأييد الشهادة ، حين لا يكون عند الانسان شهود ، فانه يقدر أن يقول ان القرار يجب أن يصدر وفقا للاحتمالات(٤) ، وأن هذا هو معنى القسم بأن « يحكم أحسن الحكم » ، وأن الاحتمالات لا يمكن رشوتها لتخدع ، ولا يمكن اثبات أنها تشهد زورا . لكن ان كان عند الانسان شهود ، وليس عند خصمه شهود ، فانه يستطيع أن يقول ان الاحتمالات لا تجر الى أية مسئولية ، وأنه لن يكون ثم حاجة الى

---

(١) راجع Diogenianus, VI. 61,111,5g

(٢) راجع S Easinus : Cypria, Iragm. 22.

(٣) كان من خصوج ديموسثانس . وكان جاريس قائدا أثينيا حربيا وبحريا . ولا نعرف شيئا عن أرخبيوس . أما أفلاطون المذكور ها هنا فيحتمل أن يكون الشاعر الكوميدي .

(٤) يترجمها المترجم العربي القديم بـ : « المشاكلات » (ص ٧٥ س ٩ ، س ١١) .

الشهادة اذا كان النظر في الكلام نفسه كافيا • والشهادة اما أن تكون علينا ، أو على الخصم ، اما على الفعل نفسه ، أو على الخلق ، حتى اننا لن نعجز أبدا عن العثور على شهادة نافعة • ذلك انه ان أعوزتنا الشهادة فيما يتصل بالفعل نفسه ، أو فيما يتصل بتأييد موقفنا أو ضد الخصم ، فان من الممكن دائما أن نحصل على شهادة تتعلق بالخلق ، من شأنها أن تثبت اما أننا من الفضلاء ، أو أن خصمنا من الأرذال •أما فيما يختص بسائر المسائل المتعلقة بالشاهد : هل هو صديق ، أو محايد، وهل هو حسن السمعة أو رديؤها أو بين بين، وكذلك فيما يختص بسائر الفروق التي من هذا القبيل ، فينبغي علينا أن نلجأ الى نفس المواضع التي منها استمددنا أقيستنا المضمرة •

د ـ العقود

أما في العقود فيمكن استعمال التصديقات التي تفخم أو تهون من شأنها، والتي تثبت أنها تستحق ـ أو لا تستحق ـ الثقة بها (١٣٧٦ ب) فان كانت العقود في صالحنا ، فينبغي أن نسعى لاثبات أنها جديرة بالثقة وملزمة ، لكن ان كانت في صالح الخصم ، فينبغي أن نفعل العكس • ومن أجل جعلها جديرة أو غير جديرة بالثقة ، فعلينا أن نسلك نفس المسلك الذي سلكناه في حالة الشهود ، لأن العقود تكون جديرة بالثقة وفقا لأخلاق من وقعوا عليها أو من استودعوها • فاذا أقر بوجود عقد ، وكان العقد في صالحنا ، فيجب أن نؤيده بتوكيد أن العقد قانون ، خاص وجزئي ، وليست العقود هي التي تجعل القانون ملزما ، بل القوانين هي التي تعطي القوة للعقود القانونية • وبمعنى عام : القانون نفسه نوع من العقد ، حتى ان من يعصى عقدا أو يفسده ، فانه يفسد القوانين • وكذلك ، فان معظم الصفقات (أو : المعاملات)تتم وفقا لعقد ، حتى انك لو دمرت سلطة العقود ، لا تنفي التعامل المتبادل بين الناس • ومن السهل رؤية سائر الحجج الملائمة للموقف • ـ لكن اذا كان العقد في غير صالحنا ، وكان في صالح خصومنا ، فالمناسب في المقام الأول هو استعمال

الحجج التي ينبغي علينا استخدامها ضد القانون ان كان القانون في غير صالحنا : اذ يكون من الغريب ، بينما نعد أنفسنا محقين في رفض الخضوع للقوانين السيئة ، التي أخطأ من سنوها ، أن نكون ملزمين دائما بالعقود • اذ أن القاضي هو المتصرف في العدالة، فليس عليه أن يعتبر مضمون العقد، وانما ما هو أكثر تحقيقا للعدل • وأيضا أن المرء لا يستطيع أن يغير العدالة بالغش أو بالاكراه ، لأنها قائمة على الطبيعة ، بينما يمكن التدخل في القيود في كلتا الحالتين (الغش والاكراه) • وبالاضافة الى هذا ، يجب علينا أن نفحص عما اذا كان العقد مضادا لأي قانون مكتوب في بلادنا أو في بلاد أجنبية ، أو لأي قانون عام ، أو لاية عقود سابقة أو لاحقة : لأنه اما أن تكون اللاحقة سليمة والسابقة ليست سليمة ، أو السابقة صحيحة والتالية مزورة ـ ونستطيع أن نصنع ذلك بالطريقة المناسبة أيا كانت • كذلك ينبغي علينا أن نراعي مسألة المنفعة ـ هل العقد يتعارض ، على نحو ما ، مع مصلحة القضاة • وهناك عدد من الحجج التي من نفس النوع ، يمكن اكتشافها بسهولة •

هـ ـ الاعترافات المنتزعة بالتعذيب

(والاعتراف المنتزع بـ) التعذيب نوع من الشهادة، التي تبدو في الظاهر جديرة بالثقة، لأنه يرتبط بها نوع من الاكراه• وليس من العسير بيان ما يتعلق به ، وبأية حجج ، اذا كان في مصلحتنا، نستطيع أن نعظم في أهميته بتوكيد أنه النوع الحقيقي الوحيد للشهادة ، لكن ان كان في غير مصلحتنا ، (١٣٧٧ أ) وكان في صالح الخصم ، فاننا نستطيع اهدار قيمته بأن نقول الحق عن كل أنواع التعذيب بعامة، لأن الذين يكرهون من المحتمل أن يشهدوا شهادة زورا على أنها صحيحة ، فبعض الناس مستعد لاحتمال أي شيء بديلا من أن يقول الحق ، والبعض الآخر مستعدون لالقاء التهم الزائفة ضد الاخرين ، طمعا في التخلص السريع من التعذيب • كذلك من الضروري أن يكون المرء قادرا على الاستشهاد بأمثلة من قبيل ما هو مألوف لدى القضاة • كذلك يمكن أن يقال

ان الشهادة التي تعطى تحت وطأة التعذيب ليست صحيحة ، لأن الكثيرين من الغلاظ الفهم والغلاظ البشرة وأولئك الذين يتمتعون برباطة الجأش وعـزة النفس يتحملون التعذيب بتجلد وصبر ، بينما الجبناء والحذرون قد يقرون على أنفسهم قبلأن يروا الشدائد،وهذا ما يجعل التعذيب غير موثوق به البتة.

و ـ الأيمــان

أما الأيمان فانها تنقسم أربعة أقسام : لأن الانسان اما أن يعرض (على الخصم أن يقوم بحلف) اليمين ويوافق هو على (حلف) اليمين [١] ، أو لا يقبل شيأ من ذلك ، أو يقبل الواحد دون الآخر ـ أي يعرض (على الخصم) أن يحلف ولكنه لا يقبل أن يحلف هو ، أو يقبل أن يحلف هو ولا يعـرض (على الخصم) أن يحلف . كذلك قد يعرض أن يكون هو : أو خصمه ، قد أقسم يمينا من قبل .

فاذا[٢] رفضت أن تعرض (على الخصم أن يحلف) اليمين ، فتستطيع أن تجادل أن الناس لا يترددون في أن يشهدوا زورا أو يحنثوا في ايمانهم ، وأنه اذا حلف خصمك اليمين ، فانك ستفقد مالك ، واذا لم يحلف ستظن أن القضاة سيحكمون ضده وأن الافضل هو المخاطرة بصدور حكم في غـير صالحك ، لأنك تثق في القضاة ولا تثق فيه هو .

واذا رفضت قبول يمين، تستطيعأن تجادل أن اليمين دائما مأجورة، وأنك كنت لابد ستقسم اليمين لو كنت سافلا ، لأنك ان كنت سافلا فانك ستستفيد

---

(١) اي أن يطلب من الخصم ان يحلف اليمين على ان قوله صحيح ، ويقسم هو نفسه اليمين على انه يقول الحق .

(٢) ثم ثلاثة اسباب لرفض طلب اليمين من الخصم ، وهي : (أ) أن الناس مستعدون دائما للحنث في ايمانهم ، ان وجدوا مصلحة لهم في ذلك ، (ب) اذا اقسم خصمك اليمين ، فسيرفض أن يدفع ، لانه واثق انه سيبرأ ، أما اذا لم يقسم اليمين فمن المحتمل ان يدان ، (جـ) ترك الامر للقضاة اقل مخاطرة ، اذ يمكن الثقة بالقضاة .

من اليمين ، وأن عليك في هذه الحالة أن تحلف من أجل أن تنجح • ونؤكد أن رفضك حلف اليمين انما هو راجع الى مبدأ عال ، لا للخوف من الحنث وتستطيع حينئذ أن تستشهد بقول اكسينوفانس (١) : « من الظلم أن يتحدى فاسق رجلا برا » لأن مثل ذلك مثل رجل قوي يتحدى ضعيفا أن يضربه أو يضرب• واذا قبلت اليمين ،ففي وسعك أن تقول انك تثق بنفسك، لا بخصمك وتقلب المثل الذي قاله اكسينوفانس وتقول ان الطريق السـليم هو أن على الرجل الفاسق أن يعرض حلف اليمين ، والرجل البر هو الذي يقسم اليمين ، وأن من الشنيع أن يرفض حلف اليمين ، وفي الوقت نفسه تطلب من القضاة أن يحلفوا قبل اصدار أحكامهم.لكنك اذا عرضت حلف اليمين ، فانك تستطيع أن تقول ان من التقوى أن تريد ترك الأمر بين يدي الآلهة ، وأن خصمك لا حاجة به الى اللجوء الى قضاة أخرين ، لأنك تسمح له بأن يتخذ هو القرار ، وأنه سيكون من المضحك حلف اليمين في أحوال فيها يطلب أن يحلف القضاة اليمين •

والآن وقد بينا كيف ينبغي أن نعالج كل حالة على حيالها ، فمن الواضح كيف ينبغي أن نعالج الأمر اذا أخذناها أثنين أثنين ، مثلا : اذا كنـا نريد أن نحلف نحن اليمين دون أن نعرض على الخصم أن يحلف هو اليمين ، أو نعرض عليه أن يحلف هو دون أن نحلف نحن ، أو نقبل نحن أن نحلف وأن يحلف هو ، أو نرفض كليهما ، لأن هذه الأحوال ، وكذلك الحجج ، لابد أن تكون مزيجا (١٣٧٧ ب) من تلك الأحوال التي ذكرناها • واذا كنا قد أقسمنا من قبل يمينا يناقض اليمين الحالية ، فاننا نجادل ونقول ان هذا ليس حنثا ، ذلك أنه بينما ارتكاب الجور ارادي ، والحنث ارتكاب لجور ، فان ما حدث عن غلط أو بالاكراه ليس اراديا • وهنا علينا أن نستنتج أن الحنث يتوقف على ما

(١) هو الشاعر والفيلسوف اللاهوتي (ازدهر بين سنة ٥٤٠ — ٥٠٠ق.م)، ولد في قولوفون في ايونيا ، ثم استقر في صقلية حيث كتب «اهاجي» وقصائدابليجية بقيت منها شذرات .راجع عنه كتابنا : «ربيع الفكر اليوناني »ص ١١٧ — ١٢١ ، ط٤ القاهرة سنة ١٩٦٩ .

قد قيل • لكن اذا كان الخصم قد أقسم مثل هذه اليمين ، فيمكن أن يقال ان من لا يلتزم بما سبق أن أقسم به فانه يفسد كل شيء ، لأن هذا هو السبب في أن القضاة يقسمون اليمين قبل تولي مهمة القضـاة ، (ويمكن أن نحتج قائلين) : « انهم يطالبونكم بالتزام بيمينكم بوصفكم قضـاة ، بينما هم لا يلتزمون بأيمانهم[1] . كذلك ينبغي علينا أن نستخدم كل وسائل التوسيع في القول .

وحسبنا هذا فيما يتصل بالحجج غير الصناعية .

---

(١) ويكون الدفاع في هذه الاحوال قائماً على اساس (أ) أن اليمين السابقة كانت نتيجة غش أو اكراه ، (ب) وأنك لم تقصد ما قيل .

المقالة الثانية من كتاب « الخطابة »

(١)

كيف نؤثر في نفوس الحكام

تلك هي اذن الأمور التي ينبغي علينا استعمالها في الحث والنهي ، في المدح والذم ، والاتهام والدفاع ، وتلك هي الآراء والقضايا المفيدة في انتاج الاقناع في هذه الأحوال ، لأنها موضوع وينبوع الضمائر المناسبة لكل صنف من أصناف الخطب (١) . لكن لما كان الحكم هو موضوع الخطابة — لأن الأحكام تصدر في الخطابة المشاورية ، والقرارات القضائية حكم — فليس من الضروري فقط أن ننظر كيف نجعل الخطبة نفسها برهانية ومقنعة ، بل ومن الضروري أيضا أن يظهر الخطيب نفسه أنه على خلق معين ، وأن يعرف كيف يضع القاضي في حالة نفسية معينة ، لأن هناك ميزة كبيرة فيما يتعلق بالاقناع ، خصوصا في الخطابة البرهانية ، ثم في المقام الثاني بعدها في الخطابة المشاجرية (القضائية) — في أن يبدو الخطيب مالكا لبعض الخصال المعينة ، وأن يظن السامعون أنه متهيىء على نحو ما تجاههم ، وأيضا أن يكونوا هم متهيئين نحوه على نحو معين (٢) . وفي الخطابة المشاورية يكون من الأفيد للخطيب أن يبدو ذا خلق معين ، وفي الخطابة القضائية (المشاجرية) أن يكون السامع مهيأ على نحو معين ، ذلك لأن الآراء تتنوع وفقا لكون الناس يحبون أو

---

(١) الاصناف هي : المشاورية ، والمشاجرية ، والبرهان .

(٢) يبدو من هذا الموضوع ان ارسطو يحبذ استعمال براهين استدرار العطف من السامعين والقضاة ، واللجوء الى اثارة الانفعالات التي تفيد في اجتذاب القضاة والسامعين الى القضية التي يدافع عنها الخطيب ، وان كان في الفصل الخامس من المقالة الاولى يندد باستعمال الانفعالات .

يكرهون ، غضوبين أو حكماء ، والأشياء تبدو مختلفة تماما ، أو مختلفة في الدرجة ، (١٣٧٨ أ) لأنه حين يكون المرء راضيا عن شخص يحكم عليه، فهو اما أن يظن أن المتهم لم يرتكب أي جرم ، أو أن جـرمه تافه ، لكن ان كان يكرهه ، يكون الأمر بالعكس . كذلك اذا اشتهى الانسان شيئا وكان قوي الأمل في الحصول عليه ، فانه اذا كان ما يحـدث سـارا فانه يظن أنه لا بد سيحدث وسيكون حسنا ، لكن اذا كان الانسان خاليا من الانفعـال ومن الأمل ، فان الأمر يكون بالعكس تماما .

ولابد للخطيب أن يتحلى بثلاث خصال كيما يحدث الاقناع، لأنه بصرف النظر عن البراهين فان الأمور التي تؤدي الى الاعتقاد ثلاثة .وهذه الخصال هي : اللب φρόνησις ، والفضيلة ἀρετή ، والبر εὔνοια ، لأن الخطباء انما يخطئون بينما يقولون وفي النصيحة التي يسدونها اذا فقدوا هذه الخصال الثلاث كلها أو واحدة منها .فانهم اذا فقدوا اللب كانت ظنونهم فاسدة وآراؤهم غـير سـديدة ، واذا كانت آراؤهم صحيحة فان شرارتهم تحملهم على ألا يقولوا ما يعتقدون ، أو اذا كانوا ذوي لب وخير ، فانه قد يعوزهم البر[١] (حب الخير) ، ومن هنا فقد يحدث ألا يسدوا خير النصائح ، رغم أنهم يعرفونها . وهذه الخصال هي كل الخصـال الضرورية ، حتى ان الخطيب الذي يبدو أنه يملك هذه الخصال الثلاث سيقنع سامعيه لا محالة والوسائل التي بها قد يبـدو لبيبا وخـيرا ينبغي أن تستخلص من تصنيف الفضائل[٢] ، لأنه لكي يظهر على هذا النحـو ، فعليه أن يسـتعمل نفس الوسائل التي يستعملها في حالة الآخرين[٣] . فلنتكلم الأ في البر (حب الخير) والصداقة ونحن نبحث في الانفعالات .

ان الانفعالات (πάθη) هي كل التغيـيرات التي تجعل

---

(١) البر = حب الخير للناس ، طيب السريرة ، محبة الاحسان .

(٢) في الفصل التاسع من المقالة الاولى

(٣) أي أن الطريقة التي بها تثبت خيريتك هي نفس الطريقة التي بها تثبت خيرية الاخرين .

الناس يغيرون رأيهم فيما يتعلق بأحكامهم ، وتكون مصحوبة باللذة أو الألم، مثل: الغضب ، والرحمة ، والخوف وكل الانفعالات المشابهة وأضدادها. وكل واحد منها يجب أن ينقسم الى ثلاثة أقسام : مثلا بالنسبة الى الغضب :الحالة النفسية التي تجعل الناس غاضبين ، والأشخاص الذين يغضب عليهم عادة ، والظروف التي عنها ينشأ الغضب ، لأننا لو عرفنا واحدا أو أثنين من هذه الأقسام الثلاثة كلها ، فلربما كان من المستحيل أن تثير ذلك الانفعال . ونفس الشيء ينطبق على سائرها. وكما قدمنا ثبتا بالقضايا[1] ، سنفعل نفس الشيء ونقسم الانفعالات على نفس النحو .

٢

في مثيري الغضب ، والغضاب ، ودواعي الغضب

أ ــ في الغضب

ولنعرف الغضب بأنه شهوة ــ مصحوبة بألم ــ للانتقام الحقيقي أو الظاهري بسبب اهانة حقيقية أو ظاهرية تنال الشخص نفسه أو أحد أصدقائه، اذا كانت هذه الاهانة بغير حق . فان كان هذا التعريف صحيحا ، فان الغاضب لا محالة على فرد معين ــ مثلا : يغضب على قليون ، (١٣٧٨ ب) لا على الناس عامة ــ لأن هذا الفرد قد فعل ، أو كان بسبيل أن يفعل ، شيئا ضده أو ضد أحد أصدقائه ، ثم ان الغضب يكون مصحوبا دائما بنوع من اللذة ، الراجعة الى الأمل في الانتقام الذي سيجيء ، اذ من اللذيذ أن يعتقد الانسان أنه سيحصل على ما يتشوق اليه ، والمرء لا يتشوق الى ما يستحيل يقينا أن يصل اليه ، والغضب يتشوق الى ما هو ممكن له . ومن هنا أحسن من قال في الغضب انه :

« أحلى كثيرا من العسل المتساقط قطرات في صدور الناس »[2] .

---

(١) في المقالة الاولى عامة ، وخصوصا في الفصلين الثاني، والثالث والعشرين .

(٢) هوميروس في «الالياذة» النشيد الثامن عشر الابيات ١٠٩ ــ ١١٠ (وقارن م٦ ف١١ ص١٣٧٠ ب١٢) .

لأنه مصحوب بضرب من اللذة أولا ، وأيضا لأن الناس يدعون التفكير طويلا في الانتقام، والرؤيا التي تتجلى أمامنا تحدث نفس اللذة التي نستشعرها في الأحــلام .

ب ــ في الازدراء

الازدراء تحقيق الظن بالشيء الذي يبدو أنه لا قيمة له ، لأن الأشياء السيئة أو الحسنة فعلا ، أو التي تميل الى أن تكون كذلك ، نحن نعدها خليقة بالانتباه اليها ، أما تلك[1] العديمة الأهمية أو التافهة فاننا نتجاهلها . وثمة ثلاثة أنواع من الازدراء ὀλιγωρία هي : التهاون καταφρόνησις، والاساءة ἐπηρεασμός، والشتيمة ὕβρις ــ لأن من يتهاون يزدري، اذ الناس يتهاونون بالأشياء التي يعدونها عديمة القيمة ، ويزدرون ما ليس بذي شأن . والمولع بالاساءة يبدو أنه يظهر ازدراء، لأن الاساءة تقوم في وضع العراقيل في طريق رغبات الآخرين ، لا من أجل أن يحصل المسيء على مزية اضافية لنفسه، وانما لمنع حصولها لغيره. فلما كان فعله غير ناشيء عن مصلحته الذاتية ، فان هذا يعد ازدراء ، اذ من الواضح انه ليست لديه فكرة أن يؤذيه، والا فانه في هذه الحالة كان سيخشاه بدلا من أن يزدريه ، أو أنه من المفيد أن يحسن القول فيه ، والا لكان قد أفكر في كيف يتخذ منه صديقا .

وكذلك فان من يشتم غيره يزدره ، لأن السب عبارة عن احداث أذى أو ضيق يهين الذي وقع عليه الشتم ، لا للحصول على أية فائدة له غير أن ينجز هذا الفعل ، وانما للذة الشتم الخاصة، ذلك أن الجزاء ليس شتيمة، بل عقاب. وسبب اللذة التي يشعر بها أولئك الذين يشتمون هو أنهم باساءة معاملتهم للآخرين ، يظهرون بمظهر الغلبة والتفوق . وهذا هو السبب في أن الأحداث والأغنياء مولعون بالشتم ، اذ يظنون أنهم يشتمهم الآخرين يظهرون بمظهر

---

(١) وتترجم ايضا هكذا : «وتلك التي لايوجد فيها هذا الميل ، او التافهة».

الغلبة والتفوق . وسلب الشرف (ἀτιμία) نوع من الشتم لان فيه احتقارا، لأن عديم القيمة ، خيرا كانت أو شرا ، لا ينـال أي شرف . وهكذا يقـول أخيلوس غاضبا :

« لقد سلبني شرفي لأنه أخذ جائزتي لنفسه »(١)

و :

« كشريد مسلوب من الشرف »(٢)

ويقصد انه غضب لهذه الأسباب . والناس يظنون أن لهم حقا واجبـا على الذين هم دونهم في الحسب ، والقوة ، والفضيلة (١٣٧٩ أ) وعلى العموم في كل ما يكون فيه الفضل على الغير ، كفضل الغني على الفقير في المال ،وفضل الفصيح على الكليل اللسان في الخطابة ، والحاكم على المحكوم ، ومن يظـن نفسه جديرا بأن يكون حاكما على من ليس صالحا الا لأن يكون محكوما . ولهذا قيل :

« عظيم غضب الملوك الذين غذاهم زيوس »(٣)

و :

« ولربما احتفظ بسخطه فيما بعد »(٤)

لأن الملوك مملوءون بالحفيظة بسبب علو مقامهم . وكذلك يغضـب الناس من الاهانات التي تلحقهم من أولئك الذين يتوقعمنهم أن يحسـنوا معاملتهم : مثل أولئك الذين أسدوا اليهم ، أو لا يزالون يسدون اليهم النعم : اليهم هم أنفسهم ، أو الى آخرين من أجلهم ، أو الى واحد من أصـدقائهم ، وكذلك كل أولئك الذين هم يرغبون ، أو رغبوا من قبـل ، في الاحسـان اليهم .

---

(١) هوميروس : «الالياذة» النشيد الاول ، البيت رقم ٣٥٦ .
(٢) هوميروس : «الالياذة» النشيد التاسع ، البيت رقم ٦٤٨ .
(٣) هوميروس : «الالياذة » النشيد الثاني ، البيت رقم ١٩٦ ـ ويترجمها البعض بهذا المعنى : « عظيم غضب الملوك الذين ابوهم زيوس ».
(٤) هوميروس : «الالياذة» النشيد الاول ، البيت رقم ٨٢ . وهو قول المتكهن كلخاس لاخيلوس، مشيرا بذلك الى حقد اغاممنوت .

جـ ـ الاشخاص المعرضون للغضب

من الواضح اذن من كل هذه الاعتبارات ما هي الأحـوال النفسية الخاصة بالغاضبين ، وعلى من يكونون غاضبين ، ولأية أسباب • ان النـاس يكونون غاضبين حين يألمون ، لأن من يألم يتشوق الى شيء ، فان اعترضهم أحد في أي شيء ، مثل أن يمنعه من الشرب حين يكون عطشان ، سواء كان ذلك مباشرة ، أو بطريق غير مباشر بأن يتظاهر بأنه يفعل ذلك ، أو اذا قاومه أحد ، أو رفض معاونته ، أو ضايقه في أي شيء حين يكون في تلك الحـالة النفسية ، فانه يكون غاضبا على كل أمثال هؤلاء الأشخاص • ولهذا فـان المريض ، والمحتاج ، (والمحارب) ، والعاشق الولهان ، والعطشان ، وبالجملة الذين يشتهون شيئا ولا يستطيعون نيله ، هم متهيئون للغضب ومن السـهل استثارتهم ، خصوصا ضد أولئك الذين يستخفون بحالتهم الراهنة : فمثـلا المريض يغضب سريعا ممن يستهين بمرضه ، والمحتاج يغضب ممن يسـتهين بفقره ، والمحارب يغضب ممن يستهين بأمور الحرب ، والعاشق يغضب ممن يستهين بشئون الغرام ، وهكذا بالنسبة الى الباقي ، لأن الألم الحاضر في نفسه في كل حالة يمهد السبيل أمام غضبه • كذلك يغضب الناس اذا جـاء الواقع مضادا لما توقعوا ، لأن الشيء يكون أكثر ايلاما بقدر ما يكون أقـل توقعا ، كما أنهم يزدادون فرحا اذا وقع ما رغبوا فيه ، ولم يكونوا يتوقعون ذلك ـ ومن هذا يتبين في أي الفصول والأزمنة والأحوال النفسية والأعمار نكون أيسر تحريكا نحو الغضب ، وما هي الأزمنة والأماكن والأسباب التي تجعلنا أكثر استعدادا للغضب بقدر ما نكون خاضعين لتأثيرها •

د ـ في الذين يغضب منهم

تلك اذن هي أحوال أولئك الذين يستطارون غضبا • أما الذين يغضب منهم فان الناس يغضبون على من يستهزئون بهم ، ويسخرون منهم ويتهكمون عليهم ، لأن هذا شتم لهم • كذلك يغضبون على من يؤذونهم بطرق هي دلائل

على الشتم • لكن هذه الأفعال ينبغي أن تكون بحيث لا تكون مجازاة أو في صالح أولئك الذين يرتكبونها ، لأنها لو كانت كذلك ، لبدت حينئذ أنها ناشئة عن شتم لا مبرر له[1] • والناس يغضبون أيضا على من يستهجنون أو يحتقرون الأشياء التي يعدونها ذات أهمية كبيرة جدا ، مثلا : اذا استحقر انسان الفلسفة أو الجمال الشخصي في حضرة من يتباهون بهما ، وكذلك الحال في سائر الأحوال الأخرى • لكنهم يكونون أكثر غضبا اذا توجسوا أنهم لا يملكون هذه الخصال ، اما كلها أو بدرجة كبيرة ، أو حين لا يظن الغير أنهم يملكونها • لأنهم اذا شعروا أنهم يملكون هذه الخصال التي هي موضوع السخرية ، فانهم لا يخجلون منها • ويكونون أكثر غضبا على أصدقائهم منهم على من ليسوا أصدقاءهم ، لأنهم يظنون أن لهم الحق في أن يحسنوا معاملتهم لا أن يسيئوها • وكذلك هم يغضبون على من تعودوا منهم التجلة والاحترام ، اذا لم يعودوا يسلكون هذا المسلك تجاههم ، اذ يظنون أنهم يعاملونهم بازدراء ، والا لاستمروا في معاملتهم كما كانوا يفعلون من قبل • ويغضبون أيضا على من لا يبادلونهم الرقة ولا يجازونهم احسانا باحسان ، وأيضا على من يعارضونهم ، ان كانوا دونهم في المرتبة ، لأن هؤلاء جميعا يظهر أنهم يعاملونهم باحتقار ، الأخيرون كأنهم ينظرون اليهم أنهم أدنى منهم ، والأولون لأنهم يبدو لهم أنهم تلقوا الرقة والعطف ممن هم أدنى منهم •

وهم أكثر غضبا على التافهين اذا استحقروهم ، لأن الغضب من الاحتقار مفروض أن يستشعروه على من لا ينبغي أن يسلكوا هذا المسلك ، لأن الأدنياء ينبغي عليهم ألا يستحقروا الأعاظم • وهم يغضبون على الأصدقاء ، اذا لم يشيدوا بذكرهم أو لم يحسنوا معاملتهم ، وبدرجة أكبر : اذا فعلوا عكس ذلك • كذلك اذا لم يدركوا أنهم يحتاجون شيئا منهم ، كما فعل بلاكسبوس ϛοππ،ξήλΤΤ حين وجه اللوم الى ملياجروس في (مسرحية)

---

(1) أي أنها تظهر كأنها ناشئة عن وقاحة

انطيفون[1] ، اذ اعتبر عدم ادراكه لحاجته دليلا على الاحتقار ، لاننا حين نهتم بالناس ، نلاحظ حاجاتهم • ويغضبون على من يفرحون • أو يكونون فرحين بعامة اذا كانوا هم في كرب ، لأن هذه علامة عـداوة أو احتقـار • ويغضبون على من لا يهتمون اذا أزعجوهم ، ولذا يغضبون على من يأتيهـم بأخبار سيئة • كذلك يغضبون على من يصغون الى حكاية عيوبهم ، أو ينظرون اليهم بغير اكتراث ، لأنهم يشبهون محتقريهم أو أعداءهم ، اذ الأصـدقاء يتعاطفون ، وكل الناس يألمون اذا رأوا عيوبهم تلوكها الألسنة• كذلك يغضبون على من يتهاونون بهم أمام خمسة أصناف من الناس ، وهم : منافسـوهم ، والمعجبون بهم ، والذين يودون أن يكونوا هم موضوع اعجاب بهم ، وأولئك الذين يجلونهم ، أو يكونون موضوع اجلالهم • فانه ان تهاون بهم انسـان أمام واحد من هؤلاء تضاعف غضبهم • وهم أيضا يغضبون على من يتهاونون بالأشخاص الذين يكون من العار عليهم ألا يدافعوا عنهم ، مثل الآباء والأولاد والزوجات والأتباع • كذلك يغضبون على الجاحدين ، لأن الاحتقار مضاد لكل معني من معاني عرفان الجميل ويغضبون على من يسـتعملون السـخرية والتهكم ، اذا كانوا هم في جد ، لأن السخرية تبدي عن الاحتقار •ويغضبون أيضا على من يحسنون الى الغير ، لكن لا يحسنون اليهم ، لأن الظن بأنهـم لبسوا جديرين بما يحسنون به الى الغير يكشف عن احتقار • والنسيان أيضا سبب للغضب ، مثل نسيان الأسماء ، وان كان ذلك أمرا هينا ، لكن النسيان يبدو علامة على التهاون •

وهكذا نكون قد بينا الحالة النفسية والأسـباب التي تجعـل الناس يغضبون ، وممن يغضبون • (١٣٨٠ أ) ومن الواضـح أن على الخطيب ،

---

(١) كان بلاكسيبوس عما (اوخالا) لملياجروس Μελέαγρος وقد كتب انطفون تراجيديا باسم «مليا جروس» (راجع «الشذرات التراجيديين اليونان ، ص ٧٩٢) . ولكن الاشارة غير واضحة، وربما كانت تشير الى اعطاء ملياجروس جلد الدب الكالودوني الى اطلانطا ، بينما كان عمه (او خاله) بلاكسيبوس محتاجا اليه .

بفصاحته ، أن يضع السامعين في حال أولئك المائلين الى الغضب ، وأن يبين أن خصومه مسئولون عن أمور من شأنها أن تثير غضب الناس وبأنهم من ذلك النوع الذى منه يغضب الناس .

٣
في السكون ، وتجاه من يكون المرء ساكنا ، وفي أي الاشياء يكون ساكنا

لما كان « أن يغضب » ضد أن يسكن ، والغضب ضد السكون ، فعلينا أن نبين الحالة النفسية التي تجعل الناس ساكنين ، وتجاه من يصيرون ساكنين، والأسباب التي تجعلهم كذلك .

فلنحد التسكين بأنه تهدئة الغضب وكسر سورته . فان كان الناس يغضبون اذن ممن يتهاونون بهم ، والتهاون ارادي ، فمن الواضح أنهم يسكنون تجاه من لا يفعلون شيئا من هذا ، أو يفعلونه عن غير ارادة وتعمد ، أو على الأقل يبدو عليهم ذلك ، وتجاه أولئك الذين قصدوا عكس ما بدر منهم ، وكل الذين يسلكون نفس المسلك نحو أنفسهم ، لأنه من غير المحتمل أن يتهاون المرء بنفسه . كذلك يسكنون تجاه من يقرون ويأسفون لاحتقار بدر منهم ، لأن الناس — اذا رضوا بالألم الذي يستشعره المسيء من جراء ما ارتكب — فانهم يكفون عن الغضب . والدليل على هذا يظهر في معاقبة العبيد، لأننا نشدد في عقوبة من يناقضوننا وينكرون جريمتهم ، وتهمد وقدة غضبنا على من يقرون بأنهم يستحقون العقاب . والسبب في ذلك أن انكار الحق البين هو عدم احترام ،وعدم الاحترام احتقار وتهاون ، وعلى كل حال فاننا لا نبدي أي احترام لمن نستحقرهم استحقارا عميقا . والناس يسكنون أيضا تجاه من يتواضعون أمامهم ولا يناقضونهم ، لأن هؤلاء يبدو عليهم أنهم دونهم مرتبة ، ومن هم أدنى يخافون ، والذي يخاف لا يحتقر . وحتى سلوك الكلاب يدل على أن الغضب يسكت تجاه أولئك الذين يتواضعون ، فان الكلاب لا يعضون

من يجلسون[١] • والناس يسكنون تجاه من يكونون جادين معهم ، حين يكونون جادين ، لأنهم يحسبون أنهم يعاملون بجد ، لا بازدراء • كذلك يسكنون تجاه من أسدوا اليهم خدمات أكبر[٢] ، وتجاه من يحتاجون الى شيء ويسألون المرحمة ، لأنهم يذلون أنفسهم بذلك ، وتجاه من يمتنعون من السب ، أو السخرية ، أو التهاون بأحد ، أو بأي رجل فاضل ، أو من يشبه هؤلاء[٣] • وعلى وجه العموم يمكن تعيين الأسباب التي تؤدى الى السكون بواسطة أضدادها : فمثلا الناس يسكنون تجاه من يخشونهم أو يحترمونهم ، طالما استشعروا ذلك تجاههم ، اذ من المستحيل أن يكون المرء خائفا وغاضبا في وقت واحد معا • وتجاه الذين غضبوا عليهم فانهم اما أن لا يستشعروا أي غضب ، أو يكون غضبهم أقل ، لأنه لا يبدو أنهم فعلوا عن رغبة في الاحتقار • ذلك أن المرء لا يحتقر امرءا آخر حين يغضب (١٣٨٠ ب) ، اذ الاحتقار خال من الألم ، أما الغضب فمصحوب بألم • والناس لا يغضبون على من يحترمونهم عادة[٤] •

كذلك من الواضح أن الناس يسكتون اذا كانت حالهم ضد تلك الحال التي تثير الغضب ، كما يحدث حين يلهون أو يضحكون أو يحتفلون ، وحين يشعرون بالنعمة أو النجاح أو الرضا ، وبالجملة حين يتمتعون بالخلو من الألم ، أو باللذة البريئة ، أو بالأمل الذي له ما يبرره • وكذلك حين يمضي الزمن ولا يعود غضبهم حادا ، لأن الزمن يضع حدا للغضب • والانتقام السابق على شخص يفل غرب غضب يستشعر ضد شخص آخر • ومن هنا فان فيلوقراطس[٥] حين سئل في الوقت الذي كان الجمهور غاضبا عليه : « لماذا

---

(١) راجع هوميروس : «الاودسا» النشيد الرابع عشر ، الابيات ٢٩ ــ ٣١ .

(٢) أي أكبر من بينائهم الحالية .

(٣) وتترجم ايضا : « او يشبهنا نحن» ــ والمقصود اننا لا نغضب ممن يشبهنا .

(٤) بل يعدون عدم الاحزام مجرد سقطة عابرة .

(٥) كان خصما لديمو ستانس ، ومن انصار مقدونيا . ولما اتهم باشتراكه في صلح فيلوقراطس الذي كان كارثة على وطنه ، نفي وحكم عليه بالاعدام اثناء غيابه .

لا تدافع عن نفسك » ـ أجاب اجابة سليمة حين قال : « لم يئن الأوان بعد » « ومتى يئين الأوان ؟ » فأجاب : « حين أرى شخصا آخر قد اتهم بنفس التهمة » . ذلك أن الناس يسكت عنهم الغضب حين يستعدون غضبهم على شخص آخر ، كما حدث في[1] حالة ارجوفيلوس Ἐργόφιλος ، لأنه على الرغم من أن الأثينيين كانوا أشد غضبا عليهم منهم على قلسثانس Καλλισθένης فانهم برأوه ، لأنهم حكموا قبل ذلك على قليقراطس بالاعدام في اليوم السابق . كذلك يسكن الناس تجاه من يشفقون عليهم[2] ، وتجاه المذنب اذا كان قد أصيب بشر أكبر مما عسي أن يصيبوه هم به ، اذا غضبوا عليه ، لأنهم يتخيلون بذلك أنهم انتصفوا لأنفسهم . كذلك يسكنون اذا ظنوا أنهم هم أنفسهم على خطأ ويستحقون ما يألمون منه ، لأن الغضب لا يكون على ما هو عدل ، انهم لن يظنوا أنهم عوملوا بغير ما يستحقون ، وهو كما قلنا جوهر الغضب ، ولهذا السبب يجب علينا أن نبدأ العقاب بالكلمات ، لأن العبيد أنفسهم أقل غضبا على هذا النوع من العقاب . والناس يكونون أكثر سكونا اذا ظنوا أن من ينالهم العقاب لن يعرفوا أبدا أن عقابهم جاء منهم هم جزاء وفاقا لجرائمهم ، لأن الغضب ، كما هو واضح من تعريفنا ، يتعلق بالفرد[3] . ومن هنا صدق الشاعر حين قال :

« قل له انه اودوسيوس ، مخرب المدن »[4]

كما لو كان أودوسيوس لن يعد نفسه أنتقم ، لوبقى بولوفيموس لا

---

(١) اخفق ارجو فيلوس في الهجوم على كوتوس ملك تراقيا ، بينما عقد قلشانس صلحا سابقا للاوان مع بردیقاس Perdiccas ملك مقدونيا .

(٢) ويترجم حسب قراء اخرى فضلها ريمر : « اذا ادانوه » ويستشهد ريمر لتاييد اختياره بما قاله افلاطون في «السياسة» (ص ٥٥٨أ) وهو يتكلم عن الحرية المسموح بها لكل من يعيشون تحت حكم ديمقراطي بانه من الملاحظ انه حتى لو ادانت المحكمة الشخص فانه لا يهتم بالحكم، لان الحكم لا ينفذ فى غالبية الاحوال .

(٣) ذلك انك اذا اعتقدت ان الشخص لن يعرف ابدا من انتقم منه ، فانك ستكون اقل قسوة عليه، لان الغضب امر شخصي ، وهكذا فان أودسيوس بسبب انه كان غضبان ، انزل عقوبة وحشية و) اراد ان يعلم ذلك بولوفيموس .

(٤) هوميروس : « اودسا» النشيد التاسع ، البيت رقم ٥٠٤ .

يعرف من أصابه بالعمى ولماذا • ولهذا فان الناس لا يغضبون[١] على من لا يستطيعون أن يعرفوا من عاقبهم[١] ، أو على الموتى ، لأنهم عوقبوا العقوبة النهائية (الموت) ولا يمكنهم أن يشعروا بعد بألم أو بأي شيء آخر ، وهو ما يتشوق اليه الغاضبون ولهذا فان هوميروس ، حين أراد أن يحد من غضب أخيلوس على رجل مات هو هكتور ، يقول :

« لأنه في غضبه انما يثور على طين لا احساس له »[٢]

فمن الواضح اذن أنه ينبغي اللجوء الى هذه المواضع اذا أراد الخطباء أن يهدئوا السامعين وأن يضعوهم في الحالة النفسية المطلوبة ، وأن يصوروا الذين يغضبون عليهم أنهم رهيبون ، أو يستحقون الاحترام ، أو أسدوا اليهم خدمات كبيرة ، أو فعلوا عن غير قصد ، أو أنهم شديدو الأسف على ما بدر منهم •

(٤)

من هم الذين يصادقون أو يبغضون ، ولاي سبب

أ — في الحب والبغض

فلنتكلم الآن فيمن هم الذين يصادقون أو يبغضون ، ولأي سبب ، بعد أن حددنا معنى الصداقة وأن يصادق[٣] • ولنعرف « أن يصادق » بأن

---

(١) ...١) أو : « على من لا يستطيع بعد ان يشعر بغضبهم».

(٢) « الالياذة» ٢٤ : ٥٤ .

(٣) الكلمة اليونانية φιλεῖν تعني : ان يحب ، وان يصادق ، و φιλία تعني الحب والصداقة . راجع عن رأى ارسطو في الصداقة ، الى جانب المقالة الثانية من «الاخلاق النيقوماخيه» لارسطو :

a) G. Widmann : Autarkie und Philia in den aris totelischen Ethiken, Stuttgart, 1967 (21 x 14, 14 9 p.);

b) J. — C. Fraisse : ".Auterkeia et Philia en Eth. **Nicom**. VII, 12, 1244 b1 — 1245 b 19," in **Actes du 5 Sympossium aristotelicien** Berlin, 1971, p. 245-291.

معناه هو أن يهوي الانسان لانسان آخر الأشياء التي يعتقد أنها خير ، من أجله هو لا من أجلنا نحن ، وأن يوفرها له قدر استطاعته • (١٣٨١ أ) والصديق هو من يُحِب ويُحَب بدوره ، والذين يظنون أن علاقتهم من هذا القبيل يعدون أنفسهم أصدقاء بعضهم لبعض • فاذا سلمنا بهذا ، فيلزم عن هذا لا محالة أنه يكون صديقا لنا ذلك الذي يشاركنا السرور في السراء والحزن في الضراء ، من أجل ذواتنا لا من أجل شيء آخر ، لأن جميع الناس يفرحون اذا تحقق ما يشتهون ، ويحزنون اذا حدث العكس ، حتى ان الألم واللذة دلالتان على رغباتهم • ويكونون أصدقاء أولئك الذين لديهم نفس الأفكار عن الخير والشر ، ويحبون ويكرهون نفس الأشخاص ، لأنهم لا محالة يشتهون نفس الأشياء ، ومن هنا فان من يحب لغيره ما يحب لنفسه يبدو أنه صديقه •

ب ـ من نحب

كذلك نحن نحب من فعلوا الخير لنا أو لمن نهوى ونعز ، اذا كانت الخدمات مهمة ، أو أسديت بمودة ، أو في ظروف معينة ، ومن أجل ذواتنا فقط ، كذلك نحب من نعتقد أنهم يريدون أن يصنعوا لنا الخير ، وكذلك من هم أصدقاء لأصدقائنا ، ومن يحبون من نحب ، ومن يحبهم من نحب ، ومن أعداؤهم هم أعداؤنا ، ومن يكرهون من نكره نحن ، ومن يكرههم من نكره نحن ـ لأن جميع هؤلاء الأشخاص لديهم عن الخير نفس الفكرة التي لدينا ، ولذا يرغبون فيما هو خير لنا ، وهذا هو الطابع المميز للصديق • كذلك نحن نحب من هم على استعداد لمعونة الآخرين في أمور المال أو الأمن الشخصي ، ولهذا يمجد الناس من هم أسخياء وشجعان وعادلون • كذلك نحن نقدر من لا يعيشون عالة على غيرهم ، ومنهم المزارعون ، وفوق هؤلاء جميعا من

يعملون بسواعدهم • ونقدر من يضبطون أنفسهم ، لأنه ليس من المحتمل أن يرتكبوا ظلما ، ومن ليسوا شديدي التدقيق ἀπράγμονας للسبب عينه • وكذلك أولئك الذين نود أن نكون أصدقائهم ، ان كان يبدو أنهم يريدون ذلك أيضا ، من أمثال أولئك الذين يتفوقون بالفضيلة ويحظون بسمعة طيبة ، سواء بوجه عام أو بين الأفاضل من الناس ، أو بين من يعجب بهم ، أو من يعجب بهم من نعجب نحن بهم • وكذلك من هم جميلو العشرة ، يستمتع بقضاء الوقت معهم ، امثال من هم ذوو مزاج طيب ولا يتسقطون عيوبنا ، ولا يحبون المشاجرة والمشاحة ، لأن هؤلاء عدوانيون ، ورغبات العدوانيين يبدو أنها تضاد رغباتنا •

كذلك يحب البارعون في اطلاق الدعابة أو استقبالها ، لأن غرض الواحد منهم هو غرض جاره ، اذ هو قادر على تلقي المزاح ورده الى صاحبه بذوق صاف • وأولئك الذين يثنون على صفاتنا الحميدة ، خصوصا تلك التي نخشي نحن ألا نكون متحلين بها ، وأولئك الذين يتسمون بأناقة المظهر والملبس ، ونظافة العيش • وأولئك الذين لا يجعلون أخطاءنا أو ما أنعموا به علينا موضوعا للتوبيخ ، لأن هؤلاء يميلون الى النقد والتعقب • والذين ليس فيهم خبث ، ولا يكثرون من ترديد ذكرى أخطائهم ، وانما يهدأون بسهولة ، لأننا نعتقد أنهم سيسلكون معنا مسلكهم مع غيرنا ، وأولئك الذين ليسوا مولعين بالمثالب ، أو بمعرفة عيوب جيرانهم أو عيوبنا ، بل فقط الصفات الحميدة ، لأن هذا هو السبيل الذي يسلكه الانسان الصالح • ومن لا يعارضوننا

---

(١) تحت تعبير : « الزراعة » يدخل ارسطو : فلاحة الارض ، وتربية النحل ، واحيانا الصيد، وتربية الدواجن ورأيه هاهنا فى المشتغلين بالزراعة يخالف رايه الذي عرضه في كتابي ، «السياسة» و «الاقتصاد» «تدبير المنزل»، اذ يقو لعنهم في كتاب «السياسة» انهم ينبغي الا يكونوا مواطنين (١٣٢٤أ س ٢٥، ١٣٣٠ أ س ٢٥) ، والاولى ان يكونوا من العبيد لان العبيد اقدر على العمل واقل تمردا ، ولما كانت الزراعة تقتضي من المشتغلين بها كثيرا من الوقت ، فان هؤلاء لن يكرسوا اهتماما كبيرا لواجباتهم السياسية ، ولذا فينبغي استبعادهم من تولي الوظائف العامة . وفي مقابل ذلك فانهم خير رعايا للنظام الديمقراطي (١٢٩٢ ب٢، ١٢٩٦ ب٢٨ ، ١٣١٨ ب٩ ، ١٣١٩ أ٦ — ١٩)، ومنهم يكون الملاحون الاشداء (١٣٢٧ ب١١).

حين نكون غضابا أو مشغولين ، لأن أمثال هؤلاء عدوانيون ، ومن يبدون شعورا طيبا نحونا ، مثلا : اذا أعجبوا بنا ، يعتقدون اننا طيبون ، ويفرحون بصحبتنا ، خصوصا أولئك الذين يشعرون نحونا هذا الشعور فيما يتعلق بالأمور التي نشتهيها بوجه خاص أن تكون محبوبة أو ذات قيمة أو لذيذة . ونحن نحب أولئك الذين يشابهوننا ولهم نفس أذواقنا ، بشرط ألا تتضارب مصالحهم مع مصالحنا وألا يكسبوا معاشهم بنفس الطريقة التي نكسب نحن بها معاشنا ، والا لصارت الحال كحال

« الفاخراني (يغار) من الفاخراني » (١)

ثم أولئك الذين يشتهون نفس الأشياء ، بشرط أن يكون في وسعنا أن نشاركهم فيها ، والا لحدث نفس الشيء مرة أخرى . وأولئك الذي تجمعنا بهم علاقة من شأنها أن تجعلنا لا نخجل أمامهم لعيوب يستنكرها الرأي العام، بشرط ألا يكون ذلك راجعا الى الاحتقار ، ثم أولئك الذين نخجل أمامهم من عيوب سيئة حقا . وأولئك الذين نكون في تنافس معهم ، أو نود أن ينافسونا ، لا أن يحسدونا ، هؤلاء نحن اما نحبهم واما نود أن نكون أصدقاء لهم . وأولئك الذين نريد أن نعاونهم في الحصول على ما هو خير ، بشرط ألا ينشأ عن ذلك شر أكبر لنا نحن . وأولئك الذين يبدون عن مودة للأصدقاء ، سواء أكانوا غائبين أم حاضرين ، ولهذا فان الناس جميعا يحبون من يبدون مثل هذا الشعور نحو الموتى .

وبالجملة ، الناس يحبون من يودون أصدقاءهم جدا ، ولا يخذلونهم ، لأنهم يحبون من بين الأخيار أولئك الذين هم أصدقاء حميمون خصوصا . والذين ليس ودهم بالمراءاة والتصنع ، مثل الذين لا يخشون من ذكر عيوبهم . لأننا ، كما قلنا ، لا نخجل أمام الأصدقاء من العيوب التي يستنكرها الرأي

(١) هسيودس : « الاعمال والايام » ٢٥ — اي ان اهل المهنة الواحدة لا يتفقون . وتمام البيتين : « والفاخراني يغار من الفاخراني ، والبناء من البناء / والشحاذ يغار من الشحاذ ، والشاعر يغار من الشاعر ».

العام ، فان كان من يخجل من مثل هذه العيوب ليس صديقا ، فان من يخجل من المحتمل أن يكون صديقا • والناس يحبون من ليسوا مخيفين ، ومن يثقون بهم ، لأنه لا أحد يحب من يخافه •

جـ ــ أنواع الصداقة

فأما أنواع الصداقة فهي : الصحبة ، والأنس ، والقرابة وما كان من هذا القبيل • والأشياء التي تخلق الصداقة هي الحسنى ، وفعلها حين لا تطلب، وعدم الاعلان عنها ان تمت ، فهناك يبدو أنها فعلت من أجل الصديق ، لا لأي سبب آخر •

د ــ الفرق بين الكراهية والغضب

(١٣٨٢ أ) أما العداوة والبغضاء فمن الواضح أن النظر فيهما ينبغي أن يكون على ضوء ما يضادهما • والأسباب التي تؤكد العداوة هي : الغضب والتهاون ، والنميمة • أما الغضب فينشأ من أفعال ارتكبت ضدنا ، أما العداوة فقد تنشأ حتى من غير ذلك : فاننا ان تخيلنا أن رجلا له هذا الخلق أو ذاك ، فقد نكرهه • أما الغضب فيستهدف فردا دائما ، مثل قالياس أو سقراط ، بينما البغضاء تتناول أصنافا ، مثلا : كل انسان يكره اللص أو الجاسوس • والغضب يداوي بالزمن ، أما البغضاء فلا ، وهدف الغضب : الألم ، وهدف البغضاء : الشر ، لأن الرجل الغاضب يرغب في أن يرى ما سيحدث(١) ، أما من يبغض فلا يهتم بهذا • والأشياء التي تحدث الألم محسوسة ، بينما تلك التي هي سيئة جدا ، مثل الظلم أو الحمق ، فلا تكاد تدرك ، وحضور الرذيلة لا يسبب ألما • والغضب مصحوب بألم ، أما البغضاء فليست كذلك ، لأن من

---

(١) يرغب في ان يري نتيجة ما اتخذ من افعال ضد من غضب عليه ، او قد يكون المعنى هو انه يرغب في ان يشعر المغضوب عليه بغضبه وان يعرف من سيعاقبه ولماذا .

يغضب يشعر بألم ، لكن من يبغض لا يشعر بألم ـ ومن يغضب ربما يشعر بالعطف ، أما من يبغض فلا ، لأن الأول يرغب في أن يتألم المغضوب عليه هو الآخر ، أما من يبغض فيود الهلاك لمن يبغضه • فمن الواضح اذن مما قلنا الآن أن من الممكن أن تثبت أن الناس أعداء أو أصدقاء ، أو ان نجعلهم هكذا اذا لم يكونوا كذلك ، ومن الممكن أيضا أن تفند أولئك الذين يدعون أنهم كذلك ، وحين يعارضوننا بالغضب أو البغضاء : أن نردهم الى الجانب الذي يفضل[1] •

أما الأشياء والأشخاص الذين يخافهم الناس وفي أية حالة من أحوال النفس ، فانها ستتجلى من الاعتبارات التالية •

(٥)
في الخوف والامن
أ ـ ممن نخاف

لنعرف الخوف بأنه حزن أو اضطراب ناشيء عن تخيل شر داهم سيسبب تدميرا أو أذي • ذلك أن الناس لا يخافون من كل الشرور ، مثل أن يكون الانسان ظلوما أو كسلان ، بل يخافون فقط من الشرور التي تنطوي على أذى شديد أو تدمير ، والتي تبدو قريبة داهمة ماثلة مهددة ، اذ الناس لا يخافون الأشياء البعيدة جدا ، فكل انسان يعلم أنه سيموت لا محالة ، ولكن لأن الموت ليس قريبا ، فانه لا يحفل به • فان كان هذا هو الخوف ، فلا بد أن تكون مخيفة كل الأشياء التي يظهر أن لها قوة على التدمير كبيرة أو التي تصيب بألوان من الضرر التي تحدث ألما شديدا • وهذا هو السبب في أن علامات هذه البلايا نفسها مخيفة ، لأن الشيء المخيف هو نفسه يظهر أنه قريب ماثل ، والخطر هو اقتراب شيء مخيف • وهذه العلامات هي العداوة والغضب

---

(١) معنى هذه الفقرة ان فى وسع الخطيب ان يثبت ان الناس اما اعداء او اصدقاء، فان لم يكونوا اصدقاء ولا اعداء فيمكنه ان يظهرهم بهذا المظهر : اما اعداء واما اصدقاء . واذا كان هنالك خلاف في ان فعلا ما قد حدث نتيجة الغضب او نتيجة البغضاء ، ففي وسعه ان يرد الفعل الى واحد منهما كما يحلو له .

اللذين يكشف عنهما من يقدرون على ايقاع الضرر بنا من أي طـريق ، اذ من الواضح أن لديهم الرغبة ، فهم اذن ليسوا بعيدين عن أن يفعلوا ذلك . والظلم المزود بالقوة مخيف ، لأن الظالم ظالم بما فيه من ميل مقصـود[1] . ومخيفة أيضا الفضيلة المهانة حين تكون ذات قوة ، (١٣٨٢ ب) اذ من الواضح أنها تتشوق دائما الى الانتقام ، اذا ما أهينت ، وها هي ذي تملك القـوة عليه . ومخيف أيضا الخوف الذي يستشعره القادرون على أن يؤذونا بأي نحو ، لأن أمثال هؤلاء مستعدون لا محالة للفعل . ولما كانت غالبية النـاس أشرارا لا أخيارا ، وعبيدا للكسب وجبناء في وقت الخطر ، فان كون الشخص تحت رحمة غيره هو دائما مخيف ، حتى ان من ارتكب جناية فله الحق في أن يخاف من أن يبلغ عنه شركاؤه (في الجريمة) أو يخذلوه . والقادرون على الاساءة الى الغير يخافهم من قد يسيئون اليهم ، لأن الناس عادة يؤذون غيرهم كلما استطاعوا الى ذلك سبيلا . كذلك الذين ظلموا ، أو يظنون أنهم ظلموا يخافون أيضا ، لأنهم دائما يتربصون الفرصة . وكذلك الذين ارتكبوا ظلمـا حين كانوا أقوياء ، لأنهم يخافون من الانتقام، والانتقام أمر يدعو الى الخوف. والذين ينافسوننا في نفس الأشياء ، حين يكون من المستحيل المشاركة فيها ، لأن الناس يتصارعون دائما مع أمثال هؤلاء الأشخاص . والذين ربما يخشاهم من هم أقوى منا ، لأنهم سيكونون أقدر على ايذائنا ، اذ كانوا يسـتطيعون ايذاء من هم أقوى منا ، ثم هؤلاء الذين يخشاهم فعلا من هم أقوى منـا ، للسبب عينه[2] . والذين تغلبوا على من هم أقوى منا ، والذين يهـاجمون من هم أضعف منا ، لأنهم اما أن يكونوا بالفعل مخوفين أو سيكونون مخوفين حين يصيرون أشد قوة .

ومن بين من ظلمناهم أو هم أعداؤنا أو منافسونا ، ينبغي علينا أن نخاف لا ممن هم حادو المزاج أو صرحاء ، بل ممن هم ساكنون مداهنون وفي غاية

---

(١) ومادام لديه الميل الى الظلم فانه ان قدر عليه فانه لابد سيرتكب الظلم فعلا .

(٢) الفارق بين الحالتين المذكورتين في هذه الجملة هو ان الخوف في الحالة الاولى مجرد امكان، اما في الحالة الثانية فهو واقع بالفعل .

النذالة ، لأنه ليس من الواضح يقينا ما اذا كانوا على وشك الفعل ، حتى ان المرء لا يعرف أبدا هل هم قريبون من ذلك أو بعيدون • وكل الأمور المخوفة تزيد اخافة حين يكون من المستحيل ، بعد ارتكاب خطأ ، اصلاح هذا الخطأ ، أما لأنه مستحيل على الاطلاق ، أو لم يعد في مقدورنا بعد ، بل في مقدور خصومنا ، وكذلك حين لا يكون ثم امكان للمساعدة أو ليس من السهل الحصول عليها • وبالجملة ، يخاف من كل الأشياء التي تثير الشفقة اذا حدثت أو كانت على وشك الحدوث للآخرين •

تلك هي تقريباً كل الأشياء المهمة التي تخاف ، والتي يخافها الناس • ولنذكر الآن الحال التي تدعو الناس الى الخوف •

ب ـ أهـل الخوف

اذا كان الخوف يصحب بتوقع أن ينالنا ألم هائل ، فمن الواضح أنـه لا واحد من أولئك الذين يظنون أنهم لن ينالهم أي أذى ـ سيخاف من تلك الأشياء التي لا يظن أنها ستحدث له ، أو من أولئك الذين لا يتوقعها منهم ، أو في الوقت الذي لا يظن فيه أن من المحتمل أن تحدث • ولهذا فان الذين يظنون أن من المحتمل أن ينالهم أذى لا محالة يخافون اما من أولئك الذين يتوقعون منهم صدور الأذى ، أو من بعض الأشياء ، وفي بعض الأوقات • (١٣٨٣ أ) فأما الذين هم ، أو يبدو أنهم ، في نعمة سابغة فانهم لا يظنون أن من المحتمل أن يصيبهم أذى ، ولهذا يكونون وقحاء ، محتقرين للنـاس ، مندفعين ، وما يجعلهم كذلك هو الثراء ، والقوة ، والعديد من الأصـدقاء ، والسلطة • ونفس الأمر يكون عند الذين يظنون أنهم عانوا كل البلايا الممكنة وصاروا لا يحفلون بالمستقبل ، مثل أولئك الذين ضربوا ضربا مبرحا أوشك بهم على الهلاك ، لأنه من الدوافع الضرورية للخوف أن يبقى هناك بعـض الأمل في النجاة من أسباب المحن • وعلامة ذلك أن الخوف يجعل الناس يروون ، بينما المرء لا يروى في الأمور الميئوس منها • ولهذا فانه كلما كان الأفضل أن

يشعر السامعون بالخوف ، فمن الضروري أن نجعلهم يعتقدون أنهم معرضون للتألم ، وذلك بتذكيرهم بأن آخرين أعظم منهم قد تألموا ، وببيان أن أقرانهم يتألمون أو قد تألموا ، وأن ذلك كان على أيدي من لم يتوقعوا منهم ذلك ، وعلى نحو وفي أوقات لم يظنوا أن ذلك من المحتمل أن يحدث لهم .

جـ ـ أهـل الامن

والآن وقد أوضحنا ما الخوف وما الأشياء المخوفة ، والأحوال النفسية التي فيها يصير الناس خائفين ، فاننا نستطيع أن نستخلص من هذا ما هو الأمن ، وما الأمور التي توفره ، والأحوال النفسية للآمنين ، لأن الأمن مضاد للخوف ، وما يوفر الأمن مضاد لما يسبب الخوف ، حتى ان الأمل فيما هو موفر للسلامة يصحبه انطباع بأنه قريب المتناول ، بينما الأشياء المخوفة اما أنها غير موجودة أو هي بعيدة جدا . ان ما يوحى بالأمن هو بعد الأمور المروعة ، أو قرب الأمور التي تبرر الأمن . كذلك (نشعر بالأمن) اذا كان العلاج ممكنا ، واذا كان ثمة وسائل للمعاونة ، اما كبيرة أو عديدة أو كلاهما ، واذا لم نرتكب ظلما ولم نعانه ، واذا لم يكن لنا منافسون على الاطلاق ، أو كان منافسونا عاجزين لا حول لهم ولا قوة ، أو لو كانوا أقوياء فانهم لنا أصدقاء ، أو أحسنوا الينا ، أو أحسنا نحن اليهم ، وكذلك اذا كان الذين مصالحهم هي مصالحنا أكبر عددا ، أو أقوى ، أو كليهما معا . ونشعر بالأمن في الأحوال التالية : اذا اعتقدنا أننا نجحنا مرارا ولم نعان آلاما ، أو اذا كنا مرارا في خطر ونجونا منه ، لأن الناس لا يتأثرون بالخوف عن طريقين : اما لأنهم لم يمتحنوا أبدا ، أو لأن لديهم وسائل للمعونة والنجدة ، فمثلا في أخطار البحر أولئك الذين لم يجربوا هجوم العاصفة ، والذين لديهم وسائل للنجدة نتيجة للتجربة يشعرون بالأمن فيما يتعلق بالمستقبل . كذلك نأمن اذا لم يثر الشيء خوفا من أقراننا ، أو من هم أدنى منا ، أو من نعتقد أننا أسمى منهم ، ونحن نعتقد أننا أسمى ممن تغلبنا عليهم ، عليهم هم أو من هم أسمى منهم أو

من يساوونهم • كذلك نأمن اذا كنا نظن أننا نملك مزايا أكبر أو أكثر ، (١٣٨٣ ب) مثل وفرة المال ، وقوة البدن ، والأصدقاء ، والأراضي ، والاستعدادات العسكرية ، اما كلها أو أهمها • كذلك نأمن اذا لم نسيء الى أحد ، أو الا الى قلة ، أو الا الى من لا يخشي منهم ، وعموما ، نحن نأمن اذا كنا على علاقة حسنة مع الآلهة ، خصوصا فيما تدل عليه العلامات وألوان الوحي ، وأي شيء آخر من هذا القبيل ، ذلك لأن الغضب يوحي بالأمن ، والاساءة التي تتحملها ، لا تلك التي نرتكبها ، هي التي تسبب الغضب ، والمفروض أن الآلهة في عون الذين يصيبهم سوء • وأخيرا ، فاننا نشعر بالأمن اذا كنا ـ في بداية أى عمل ـ لا تتوقع مصيبة في الحاضر أو المستقبل ، أو كنا نؤمل في النجاح •

تلك هي الأمور التي تبث الخوف ، أو الأمن •

(٦)
في الخزى

أ ـ في الخزي والوقاحة

أما ما هي الأمور التي يخزى منها الناس ، أو لا يخزون ، وممن يخزون أو لا يخزون ، وفي أي الأحوال النفسية ، فهذا ما يتضح من الاعتبارات التالية •

فلنعرف الخزى بأنه نوع من الألم أو القلق من أفعال سيئة ـ ماضية أو حاضرة أو مستقبلة ـ يبدو أنها تريغ الى جلب العار ، ولنعرف الوقاحة بأنها احتقار وعدم اكتراث فيما يتعلق بهذه الأمور نفسها • فان كان تعريف الخزى هذا صحيحا ، فانه يلزم عن هذا أننا نخزي من كل الأفعال السيئة التي يبدو أنها تجلب العار ، اما علينا أو على من نحرص عليهم • ومثال ذلك كل الأفعال الراجعة الى الرذيلة ، كالقاء الدرع أو الهرب ، لأن هذا يرجع الى الجبن ، أو الاستيلاء على وديعة ، لأن هذا يرجع الى الظلم • وكذلك كل

العلاقات غير المشروعة مع أي شخص ، في أماكن ممنوعة أو أوقات محظورة ، لأن هذا يرجع الى الفجور . وكذلك التكسب من التوافه أو مما هو شائن ، أو من استغلال الضعيف ، أو الفقير أو الميت ، ومن هنا جاء المثل : « انه يسرق حتى الجثث » ، لأن هذا يرجع الى حب الكسب الدنيء والسفالة . وكذلك أن نرفض أن نساعد بالمال حين نكون قادرين على رده ، أو أن نعطي أقل مما نستطيع ، وأن نقبل المعونة ممن أهم أقل منا قدرة على تقديمها ، وأن نقترض حين يكون أي انسان معرضا لأن يطلب قرضا ، وأن نطلب قرضا من شخص يريد أن يسترد قرضه ايانا ، وأن نطلب الدفع ممن يريد أن يقترض ، وأن نمدح كيما نبدو أننا نسأل الحصول على قرض ، واذا لم تفلح في الحصول عليه نستمر في الطلب ، لأن كل هذه علامات على السفالة . وأن نمدح الناس حين يكونون حاضرين ، وأن نبالغ في الثناء على خصالهم الحسنة وتهوين أمر عيوبهم ، وأن نبدي عن حزن مفرط على ما أصاب شخصا حين يكون حاضرا ، وأمثال هذه الأفعال ، لأنها جميعا من علامات التملق .

وأن نرفض احتمال المشاق (١٣٨٤ أ) التي يحتملها أناس أكبر سنا ، أو ربوا تربية أرق ، أو ذوو مكانة عالية ، أو على العموم أقل منا قدرة على الاحتمال : لأن هذا كله يكشف عن رخاوة . وأن يقبل النعم من الغير ومرارا ، ثم يستهزي به لأنه منحها اياه : فان هذا كله يدل على خلق سافل منحط . كذلك أن يتكلم دائما عن نفسه ، مدعيا دعاوى عريضة ، وناسبا الى نفسه فضل الآخرين ، لأن هذا يرجع الى كونه مطرمذا[1] نفاجا . وكذلك فيما يتعلق بسائر رذائل الخلق : الأفعال الصادرة عنها ، وعلاماتها ، والأشياء التي تشبهها — هذه كلها شائنة تدعو الى الخزي والخجل . كذلك مما يخزي ألا يشارك المرء في الأمور الشريفة التي يشارك فيها كل الناس أو من هم أشباهنا ، أو غالبية هؤلاء . وأقصد بأشباهنا أولئك الذين هم من نفس جنسنا ، ومن

---

(١) المطرمذ : الكثير الادعاء ، المتكثر بما يفعل ، المتفاخر بالباطل ، ومثله : النفاج ، والمتنفج.

بيتنا ، وعمرنا ، وأسرتنا ، وبالجملة أولئك المتساوون ، اذ يكون من المخزى حينئذ ألا نشارك مثلا ، في التربية وسائر الأمور ، بنسبة متساوية معهم • وتكون هذه الأمور أدعى الى أشد الخزى ، اذا كانت الغلطة غلطتنا فيما يظهر ، لأن ذلك سيجعلها راجعة الى خبثة في الطبع ما دمنا نحن السبب في العيوب الماضية أو الحاضرة أو المستقبلة • ونخزي أيضا اذا تألمنا أو تتألم الآن أو من المحتمل أن تتألم من أمور تنزع الى العار والتوبيخ : مثل البغاء أو ارتكاب الأفعال الشائنة ومنها الشهوة غير الطبيعية • والتي منها يزيد في الفجور هي أمور مخزية ، سواء أكانت ارادية أم غير ارادية (والأخيرة هي التي تتم بالاكراه) ، لأن التحمل الوديع والخلو من المقاومة هما ناتجا عدم الرجولة أو الجبن •

هذه وما أشبهها هي الأمور التي يخزي منها الانسان •

ب ـ الاشخاص الذين يخزي منهم

ولما كان الخزى شعورا يتعلق بالعار ، وذلك من أجل ذاته لا بسبب تنائجه ، ولما كان الانسان لا يحفل برأي الآخرين الا بسبب من يقولون هذا الرأي ، فانه يلزم عن هذا أن الناس يشعرون بالخزي من أولئك الذين يحترمونهم • والناس انما يحترمون من يعجبون بهم ومن يخصونهم بالاعجاب ومن يودون أن يخصوهم بالاعجاب ، ومن هم منافسوهم ولا يزدرون رأيهم • وهم يشتهون أن يظفروا باعجاب هؤلاء ، ويعجبون من أي شيء خير مقدر جدا ، أو من يرجون منهم وبالحاح شيئا في قدرتهم أن يعطوه ، كما هي الحال مع العشاق • وهم منافسون لأولئك الذين يشبهونهم ، ويراعون ذوي الحكمة العملية بوصفهم من المرجح أنهم صادقون ، مثل الذين هم أكبر سنا وذوو تربية حسنة • كذلك يخزون ، أكثر ، من الأمور التي تحدث أمام أعينهم وفي وضح النهار ، ومن هنا جاء المثل : « العيون مقر الخجل »[1] • وهذا هو

---

(1) يوريفيدس : «كرسفونتس» Euripides : Cresphontes, T. G. F. fr. 457

السبب في أنهم يشعرون بالخزي أكثر أمام أولئك الذين يحتمل أن يكونوا دائما في صحبتهم أو الذين يراقبونهم ، لأنهم في كلتا الحالتين تحت عيون الاخرين — (١٣٨٤ ب).

كذلك يخزي الناس ممن ليسوا عرضة لنفس الاتهامات إذ من الواضح أن مشاعرهم مضادة . وكذلك يخزون ممن لا يتسامحون مع الذين يخطئون، اذ من المفروض ألا يوبخ المرء الآخرين على ما يفعله هو ، فمن الواضح اذن أن ما يوبخ غيره عليه هو ما لا يفعله هو . كذلك يخزون ممن هم مولعون باذاعة الأخبار عامة ، لأن عدم الثرثرة حول أخطاء الآخرين يضاهي عدم اعتبارها أخطاء . والمولعون باذاعة الأخبار هم أولئك الذين عانوا مظالم ، لأن عيونهم ترقبنا دائما ، والوشاة ، لأنهم ماداموا يشون بالأبرياء ، فبالأحرى سيشون بالمذنبين . وكذلك نخزي من أولئك الذين يمضون أوقاتهم في تعقب أخطاء جيرانهم ، مثل الساخرين والشعراء الكوميديين ، لأنهم ، على نحو ما ، وشاة نمامون . ونخزي ممن لم نسألهم شيئا فلم يستجيبوا ، لأننا نشعر أنهم جديرون بكل احترام . لهذا نخزى ممن يسألنا شيئا لأول مرة ، لأنه لم يفقد بعد حسن سمعته . ومن هذا النوع أولئك الذين نصادفهم من وقت قريب ، لأننا لم نشهد فيهم بعد الا ما هو خير ، وهذا هو معنى جواب يوريفيدس لأهل سرقوسة[1]، وكذلك معارفنا القدماء الذين لا يعرفون عنا شيئا يشوه سمعتنا عندهم . والناس يخجلون ليس فقط من الأمور الشائنة التي ذكرناها ، بل وأيضا من العلامات الدالة عليها ، فمثلا : ليس فقط من اللذائذ الشهوانية ، بل وأيضا من العلامات الدالة عليها ، وليس فقط من

---

(١) فى تعليقه لاحد الشراح اليونانيين يرد عند هذا الموضع : «ذهب يوريفيدس رسولا الى اهل سرقوسة يطلب منهم عقد الصلح والصداقة . لكنهم رفضوا ، فقال لهم : يا اهل سرقوسة ! ينبغي عليكم ان تحترموا شعورنا بالاعجاب بكم ، حتى لو لم يكن هناك من سبب اخر غير شعورنا بالحاجة الى صداقتكم » . ولم يرد شيء عن هذه البعثة في مصادر اخرى ، وقد اقترح البعض ان ها هنا تحريفا في اسم يوريفيدس Euripides. وان صوابه هو Hysperides

الفعل ، بل وأيضا من قول عبارات بذيئة • كذلك يخزى الناس ليس فقط ممن ذكرنا ، بل وأيضا ممن يكشف لهم عن أخطائهم، مثل الخدم أو الأصدقاء• وبالجملة فانهم لا يخزون ممن يكون رأيهم فيما هو حق موضوعا لازدرائهم ــ مثلا لا أحد يخزى من الطفل أو الحيوان ــ ولا يخزون من نفس الأشياء لدى من يعرفون ولدى من لا يعرفون » ، فأمام الأولين يخزون من الأشياء التي تظهر شائنة حقا ، وأمام الغرباء يخزون من الأشياء التي يستهجنها العرف•

جـ ــ الذين يستشعرون الخزي

ومن المحتمل أن يستشعر الناس الخزى في المواقف التالية : أولا : اذا وجد ناس علاقتهم بهم مثل علاقتهم بأولئك الذين ذكرنا أنهم يخزون منهم • وهؤلاء ، كما قلنا ، هم الذين نعجب نحن بهم ، أو يعجبون هم بنا ، أو الذين نود أن يعجبوا بنا ، أو الذين نحتاج منهم الى خدمة ، ولن نستطيع الحصول عليها منهم اذا فقدنا سمعتنا عندهم • وهؤلاء هم اما أشخاص يلاحظوننا مباشرة ــ مثلما حدث أن قردياس[1] ، وهو يخطب في الناس حول منح أرض شامس ، سأل أهل أثينة أن يصوروا لأنفسهم أن اليونانيين يحيطون بهم ولن يسمعوا فقط بل سيرون أيضا ما سيتقرر ، أو جيران لنا ، أو قوم من المحتمل أن يطلعوا على ما نقول أو نفعل • وهذا هو السبب في أن الناس اذا كانوا في مصيبة لا يحبون أن يراهم أولئك الذين كانوا منافسيهم ، لأن المنافسة تفترض الاعجاب • (١٣٨٥ أ) كذلك يخزى الناس اذا ارتبطوا بأفعال أو أمور تجر الى العار ، اذا كانوا هم ، أو أسلافهم ، أو من هم قريبو الصلة بهم ، مسئولين عنها • وبالجملة ، يستشعر الناس الخزي من أجل أولئك الذين يحترمونهم[2] ، من أمثال أولئك الذين ذكرناهم ومن هم على علاقة بهم ، كأن

(١) كان المستعمرون الأثينيون يقطعون في اراضي احلافهم مناطق على حساب السكان المحليين. وهي سياسة اغضبت الحلفاء ، وكانت سببا في كثير من الفتن ، ومنها فتنة جزيرة شامس في سنة ٤٤٠ ــ ٤٣٩ ق.م .

(٢) اذا ارتكبوا افعالا شائنة.

يكون هؤلاء معلميهم أو مستشاريهم وناصحيهم ، وكذلك اذا دنوا منافسين لآخرين يشبهونهم ، لأن ثم أشياء كثيرة يفعلونها أو لا يفعلونها بحسب الشعور بالخزي الذي يثيره هؤلاء الناس • وهم أكثر تعرضا للخزي اذا كانوا سيشاهدون ويتشاركون علنيا مع من هم على علم بعارهم • ولهذا فان الشاعر التراجيدي أنطيفون[1] ، لما كان بسبيل أن يجلد حتى الموت بأمر من ديونوسيوس ، لما شاهد من سيقتلون معه يغطون وجوههم لما مروا بالأبواب قال : « لماذا تغطون وجوهكم ؟ هل لأنكم تخشون أن يراكم أحد من هذا الحشد غدا ؟ »

ولكن ما قلناه عن الخزى كافيا ، أما الوقاحة فمن الواضح أننا نستطيع أن نعرف الكثير عنها من أضداد ما قلنا •

(٧)

المنن ، الاشخاص ، والدوافع ، استعداد من يمنحون المنن

الأشخاص الذين يشعر الناس أنهم أحسنوا اليهم ، ولأي سبب ، وفي أية حال نفسية ، ـ كل هذا سيتضح اذا حددنا ما هي المنة • فلنقل انها الشعور الذي وفقا لمن يستشعره يقال انه يسدي خدمة الى من يحتاجها ، لا في مقابل شيء ولا لمصلحة من يبديها ، بل من أجل مصلحة من تسدي اليه • وستكون المنة أعظم بقدر ما يكون متلقيها في حاجة أشد ، أو حين تكون الخدمة أو الأوقات ، أو الظروف مهمة أو صعبة ، أو حين يكون المحسن هو الوحيد ، أو أول من أسداها ، أو قام بذلك الى أعلى درجة • وأقصد بالحاجات الأمور المطلوبة ، خصوصا تلك التي يترتب ألم على عدم الحصول عليها: مثل المشتهيات، كالحب مثلا ، وكذلك تلك التي تنشأ في آلام جسدية ومخاطر ، لأن الانسان

---

(١) كان أنطيفون في سفارة الى سرقوسة ، فساله طاغيتها ديونوسيوس ما هو احسن انواع النحاس . فاجاب : « النحاس الذي منه صنع اهل اثينة تمثالي هرموديوس وارسطو جيتون».
فامر ديونوسيوس بقتله . ـ وهرموديوس وارسطو جيتون كانا شابين من اثينة حاولا القضاء على طغيان فيسستراتوس في سنة ٥١٤ ق.م .

اذا تألم أو كان في خطر ، فانه يشتهي شيئا • ولهذا فان أولئك الذين يساعدون انسانا فقيرا أو منفيا حتى لو كانت الخدمة صغيرة جدا ، فانهم ينظر اليهم بالحسنى وفقا لظروف الحاجة والحاحها ، ومن أمثلة ذلك الرجل الذي أعطى حصيرة الى آخر في اللوقيون[١] • فمن الضروري اذن أن تكون الخدمة ــ قدر المستطاع ــ في نفس الاتجاه[٢] ، واذا لم يتيسر ذلك ، فيجب أن تكون قابلة للافادة منها في حاجة مماثلة أو أكبر •

والآن وقد اتضح في أية مناسبة ولأي سبب ، وفي أية حالة نفسية ينشأ الشعور بالاحسان الى الناس ، فمن البين أنه ينبغي علينا أن نستمد حججنا من هذا ــ فبين أن أحد الطرفين كان ، أو لا يزال ، في ضيق وألم ، وأن الطرف الآخر أسدى ، أو يسدي خدمة ما في وقت الحاجة • ومن الواضح أيضا أي الوسائل يمكن أن تبين أنه ليست هناك أية نية على الاطلاق ، أو أن أولئك الذين أسدوها لم يكن دافعهم الاحسان ، لأنه يمكن أن يقال انهم يفعلون أو فعلوا ذلك لأجل مصلحتهم الخاصة ، فليس ثم احسان ولا منة أو أن ذلك كان بمحض الصدفة ، أو أنهم فعلوا ذلك تحت اكراه وضغط ، أو أنهم كانوا يردون جميلا سابقا ، ولم يكن منحة ، سواء عرفوا ذلك أو لم يعرفوا ، لأنه في كلتا الحالتين رد ، واذن فليس ها هنا منة • كذلك ينبغي أن ننظر الى الفعل بالاشارة الى كل المقولات ، لأنه ان كانت هناك نية فان ذلك يكون بسبب الجوهر ، أو الكم ، أو الكيف ، أو المكان.وانه لدليل على الافتقار الى حسن النية ، اذا لم يكن الناس قد أدوا خدمات أصغر[٣] ، أو اذا كانوا قد أسدوا الى أعدائنا خدمات أكبر أو مساوية أو مماثلة ، اذ من الواضح أنهم لا يفعلون من أجلنا في هذه الحالة أيضا • أو اذا كانت الخدمة تافهة وأسداها من يعرف

---

(١) اللوقيون : مدرسة ارسطو التي كان يدرس فيها طلابه . وما يشير اليه ارسطو لا تعرف تفاصيله . فلربما كان بعض الطلاب الموسرين قد اعطى حصيرة لطالب فقير غائر القوى ليجلس عليها اثناء القاء الدرس ، او لينام عليها حين النوم .

(٢) اي من اجل اشباع الحاجيات الملحة الضرورية .

(٣) لان دوافعهم الى اسداء خدمات اكبر لا يمكن ان تكون خالية من الغرض .

ذلك ، اذ لا يقر أحد بأنه في حاجة الى ما هو تافه .

(٨)

في الشفقـــة

أ ـــ ف الشفقة بعـــامة

وحسبنا هذا فيما يخص الاحسان ومضاده . ولنتكلم الآن عن الأشياء والأشخاص الذين يثيرون الشفقة ، وحال من يستشعرونها . فلتكن الشفقة نوعا من الألم الذي يثيره منظر الشر ، القاتل أو الأليم ، الذي يصيب مـــن لا يستحقه ، الشر الذي قد يتوقع المرء وقوعه له أو لواحد من أصدقائه ، وحين يبدو وشيكا . لأنه من البين أن من هو معرض للشعور بالشفقة لا بد أن يكون بحيث يظن أنه هو ، أو أحد أصدقائه وذويه ، معرض لمعاناة شرما ، ومثل هذا الشر قد أوضحناه في التعريف ، أو شبيه به ، أوقريب الشـــبه منه . ولهـــذا السبب فانه لا يقدر على الشعور بالشفقة من أصابهم الخراب التام ، لأنهـــم يظنون أنه ليس في طاقتهم بعد أن يتحملوا أي شيء ، لأنهم اســـتنفذوا كل الآلام ، ولا أولئك الذين يحسبون أنفسهم في غاية السعادة ، اذ هم بالأحرى وقحاء . ذلك لأنهم ان حسبوا أن كل الأشياء الحسنة صارت في حوزتهم ، فمن الواضح أنهم يظنون أنهم لا يمكن أن يصيبهم شر ، وهذا من الأشـــياء الحسنة . أما الذين يظنون أن من المحتمل أن يتألموا فانهم أولئك الذين تألموا من قبل ونجوا مثل : المتقدمين في السن، بسبب حكمتهم وتجاربهم، والضعفاء، وخافضي الجناح ، والمتأدبين ، لأنهم يحسبون الأمور حسابا صحيحا ، ومن لهم آباء ، و أولاد ، أو زوجات لأن هؤلاء جزء منهم ومن المحتمل أن يتألموا من الشرور التي ذكرناها ، والذين لا يتأثرون بأي انفعال مشجع ، كالغضب أو الأمن ، لأن هذه الانفعالات لا تحسب حساب المستقبل ، والذين لم يؤتوا مزاجا وقحا للوقاحة نفسها ، لأنهم لا يفكرون في الآلام المقبلة ، وانما من هم وسط بين هذين الطرفين هم الذين يستشعرون الشفقة . ولكي نستشـــعر الشفقة لا بد لنا أيضا أن نعتقد في خيرية بعض الناس على الأقل ، لأنك اذا ظننت أنه لا انسان خير ، (١٣٨٦ أ) فستعتقد أن كل انسان يستحق الشقاء .

وبالجملة ، نحن نستشعر الشفقة ، كلما كنا في حال من يتذكر أن أمثال هذه المصائب قد حدثت لنا أو لذوينا ، أو تتوقع أن تحدث في المستقبل .

ب ــ دواعي الشفقة

أوضحنا اذن الأحوال التي تقود الناس الى الشفقة ، وقد اتضح تماما من التعريف ما هي الأمور التي تثير ذلك الشعور . انها جميعا أمور أليمة مرهقة مدمرة مخربة ، وكل الشرور التي سببها البخت ، ان كانت هائلة . والأمور القاضية المدمرة هي أنواع متعددة : من الموت ، وسوء المعاملة ، والاهانات ، والشيخوخة ، والمرض ، والافتقار الى الطعام . والشرور التي سببها البخت هي : انعدام الأصدقاء ، أو قلتهم ــ ولهذا فانه مما يثير الشفقة أن يفصل المرء عن أصدقائه وذويه ــ ، والدمامة ، والضعف ، والعاهات ، وكذلك اذا جاءت المصيبة من حيث يحتسب المرء أنه يأتي الخير ، واذا حدث هذا مرارا ، واذا لم يأت الفرج الا بعد أن يكون المرء قد تألم فعلا ، مثال ذلك أن الهدايا من الملك العظيم لم ترسل الى ديوبيتس الا بعد أن كان هذا قد مات . كذلك نستشعر الشفقة على من لم ينالوا خيرا أبدا ، أو من يعجزون عن التمتع به اذا نالهم .

فهذه الأمور وأشباهها هي التي تثير الشفقة .

جـ ــ على مَنْ نشفق

والناس انما يشفقون على من يعرفونهم ، بشرط ألا يكونوا وثيقي الصلة جدا بهم ، لانهم ان كانوا كذلك ، شعروا بمثل ما لو كانت المصيبة حلت بهم هم أنفسهم . وهذا هو السبب في أن أماسيس[1] قيل عنه انه لم يبك

(١) راجع تاريخ هيرودوتس : المقالة الثالثة ، الفصل ١٤ . والخبر يتعلق بما حدث لدى غزو قمبيز ، ملك الفرس ، مصر (في سنة ٥٢٥ ق.م). ولكن هيرودوتس ينسب الخبر الى ابسماتيك الثالث ، ابن اماسيس ، الذي به انتهت الاسرة الخامسة والعشرون ، لا الى اماسيس الذي كان قد توفي قبل غزو قمبيز لمصر . وقد اجاد الشاعر احمد شوقي في وصف هذا الخبر في قصيدته الهمزية : « همت الفلك واحتواها الماء ... » .

حين اقتيد ابنه للاعدام ، لكنه بكى حين رأى صديقا يتسول ، ذلك أن الأخير أثار الشفقة ، أما الأول فأثار في نفسه الرعب والفزع . وما يثير الخوف يختلف عما يثير الشفقة ، وغالبا ما يؤدي الى الشعور المضاد . ثم ان قرب ما هو مخيف يجعل الناس يشفقون[1] . كذلك يشفق الناس على من يشبهونهم في العمر ، والخلق ، والعادات ، والوضع (الاجتماعى) ، والأسرة ، لأن أمثال هذه العلاقات كلها تجعل الانسان أكثر احتمالا أن يظن أن شقاءهم قد يصيبه هو أيضا . وبالجملة نستطيع ها هنا أيضا أن نستنتج أن كل ما يخاف منه الناس بالنسبة الى أنفسهم يثير شفقتهم اذا أصاب الآخرين . ولما كانت الآلام تدعو الى الشفقة حينما تبدو قريبة ، بينما الماضية أو المستقبلة — قبل عشرة آلاف سنة أو بعد عشرة آلاف سنة — اما أنها لا تثير أية شفقة على الاطلاق ، أو تثير بدرجة قليلة ، ذلك لأن الناس لا يذكرون الأولى ولا يتوقعون الثانية ، وعن هذا يلزم أن الذين يعينون على احداث التأثير بالبوادر ، والصوت ، والملبس ، والفعل الدرامي بعامة ، هم أدعى الى اثارة الشفقة ، لأنهم يجعلون البلاء يظهر ماثلا حاضرا ، أمام العيون بوصفه مستقبلا أو ماضيا . (١٣٨٦ب) والمصائب التي حدثت من وقت قريب أو على وشك الحدوث تثير شفقة أكثر ، للسبب عينه . والشفقة أيضا تثيرها العلامات والأفعال ، مثل ملابس من تألموا ، وأمثال هذه الأشياء ، وكلمات وأشياء من يتألمون الآن فعلا ، كما هو مشاهد في الموت . ويثير الشفقة خاصة أن يظهر الناس غير هيابين في مثل هذه الأوقات الحرجة ، لأن كل هذه الأمور — من حيث أنها تقع تحت أنظارنا مباشرة — تزيد الشعور بالشفقة ، لأن المتألم يبدو أنه لا يستحق ما حل به من شقاء ، ولأن التألم ماثل أمام عيوننا .

---

(١) بحسب تصحيح vahlen (يضع γὰρ αὖ قبل [illegible]) يترجم النص هكذا : « الان الناس يكفون عن الشفقة حين يقترب المخيف منهم » . هناك من يترجم النص هكذا : « ثم ان الناس يستشعرون الشفقة اذا اقترب الخطر منهم» .

(٩)

في النقمـة

أ ـ في الخُلُق

أما النقمة فهي عكس الشفقة ، لأن الشعور بالألم من الحظ السعيد غير المستحق يضاد ، على نحو ما ، الشعور بالألم من الشقاء غير المستحق وينشأ عن نفس الخلق . وكلا الانفعالين يكشف عن خلق طيب ، لأننا اذا تعاطفنا وأشفقنا على من يتألمون من دون وجه حق ، فينبغي علينا أن ننقم على من يسعدون من دون وجه حق ، ذلك لأن ما يقع لانسان فوق ما يستحق غير عدل ، ولهذا فاننا ننسب هذا الشعور حتى الى الآلهة أنفسهم . كذلك يبدو أن الحسد مضاد أيضا للشفقة ، لأنه قريب النسب أو هو عين النقمة ، وان كان في الواقع مختلفا عنها . والحسد ألم يحدث الاضطراب ، وهو موجه ضد البخت السعيد ، لا بخت من لا يستحقه ، بل بخت من هو مساو لنا ومشابه . وكل من يشعرون بشعور الحسد والنقمة يشتركون لا محالة في كونهم ينزعجون ، لا لأنهم يظنون أن ضررا سيصيبهم ، ولكن بسبب جارهم ، لأن هذا الشعور سيتوقف عن أن يكون نقمة وحسدا ، وسيكون خوفا ، اذا نشأ الألم والانزعاج من تصور أن الضرر قد يحدث لهم من الحظ السعيد الذي ناله الغير . ومن الواضح أن هذه المشاعر ستصحبها مشاعر مضادة ، لأن من يتألم من منظر أولئك الذين أصابهم الشقاء سيسرون ، أو على الأقل لن يتألموا من منظر أولئك الذين هم كذلك بغير وجه حق : فمثلا : لا رجل خيّرا سيتألم من رؤية قاتلي آبائهم أو القتلة يعاقبون ، بل ينبغي بالأحرى أن نفرح لما أصابهم ، كما نفرح لمن نالوا السعادة عن استحقاق ، لأن كلا الأمرين عدل ويدعو الرجل الفاضل الى السرور ، لأنه لن يتمالك من أن يأمل في أن ما وقع لمثيله سيقع له أيضا . وكل هذه المشاعر ينشأ من نفس الخلق ، وأضدادها من ضده ، لأن من هو ماكر خبيث هو أيضا حسود ، (١٣٨٧ أ) لأنه اذا كان الحسود يتألم لنعم الآخرين أو حظوظهم الحسنة ، فهو بالضرورة يفرح لخرابهم أو لعدم حصولهم على هذه الحظوظ الحسنة . ومن هنا كانت كل هذه الانفعالات

عائقا عن الشفقة ، وان كانت تختلف فيما بينها للأسباب التي ذكرناها ، ولهذا فانها جميعا مفيدة على السواء في منع أي شعور بالشفقة .

ب ــ ما يثير النقمة

فلنتكلم أولا في النقمة ، وعلى من ننقم ، ولأي سبب ننقم ، وفي أية حال نفسية ننقم . وبعد ذلك نأخذ في الكلام عن سائر الانفعالات . وما قلناه سيوضح الأمور . ذلك لأنه اذا كانت النقمة هي التألم لمنظر السعادة التي يبدو أنها لا يستحقها صاحبها ، فمن الواضح في المقام الأول أنه ليس من الممكن الشعور بالنقمة على كل الأشياء الخيرة ، ذلك أنه لا أحد ينقم على من هو عادل أو شجاع ، أو حاصل على أية فضيلة (لأن المرء لا يشعر بالشفقة في حالة اضداد هذه الصفات)[١] ، ولكن الناس ينقمون على الثراء ، والسلطة ، وبالجملة على كل المزايا التي يستحقها الأفاضل من الناس ،وأصحاب المزايا الطبيعية ، مثل الحسب ، والجمال وما شابه ذلك[٢] .

جـ ــ على من ننقم

ولما كان ما هو قديم يبدو أنه يشبه كثيرا ما هو طبيعي ، فانه يلزم عن هذا أنه اذا كان عند شخصين نفس الخير ، فان الناس ينقمون أكثر على من منهما اكتسبه في وقت أحدث وترجع سعادته اليه ، لأن حديثي الثراء يسببون متاعب أكثر من أولئك الذين اقتنوا الثراء أو ورثوه من عهد بعيد . ونفس هذا ينطبق على وظائف الدولة ، والسلطة ، ووفرة الخلان ، والأولاد الفاضلين، وأية مزايا من هذا القبيل . واذا جلبت هذه المزايا مزية أخرى ، فان الناس ينقمون ، ذلك لأنه في هذه الحالة حديثو الثراء الذين يتولون مناصب بفضل

---

(١) لان ذلك سيكون من غلط الانسان ، بينما الشفقة لا تستشعر الا على ما لا يستحق .

(٢) يبدو ان في النص اليوناني هنا اضطرابا ، لان المزايا الطبيعية لا توصف بانها مما يستحق او لا يستحق .

ثرائهم يسببون متاعب أكثر من أولئك الذين كانوا أثرياء من زمن بعيد ، وكذلك الحال في سائر الحالات التي من نفس النوع • والسبب هو أن الأخيرين يبدو أنهم يملكون ما ينتسب اليهم ، بينما الأولون لا يبدون كذلك ، فان ما يبدو أنه كان دائما ما هو عليه الآن ، يعد حقيقيا ، وثروة المحدثي الثراء لا تبدو انها حقا لهم • وكذلك ليس أي انسان وكل انسان يستحق أي نوع من الخير ، فان ثمة تناسبا وملاءمة في هذه الأمور ، فمثلا من الملائم أن يكون للشجعان ـ لا للعادلين ـ أسلحة جيدة ، ومن الملائم لأهل الحسب والنسب ، لا لمحدثي النعمة ، أن يتزوجوا زيجات رفيعة • ولهذا تكون النقمة في محلها اذا حصل انسان على ما لا يناسبه ، حتى لو كان انسانا فاضلا • كذلك تستشعر النقمة حين يضع المرء نفسه ضد من هو أعلى منه ، خصوصا من هو أعلى منه في ناحية معينة ، ومن هنا قال (الشاعر)[1]:

« لقد تجنب القتال مع أياس بن طيلامون

لأن زيوس نقم عليه ، لو أنه قاتل رجلا أفضل »

(١٣٧٨ ب) أو اذا كان السعي ليس واحدا ، حيثما يتنازع الأدنى مع الأعلى في أي شيء كان ، مثلا : الموسيقى مع العادل ، لأن العدل أحسن من الموسيقى •

د ـ المعرضون للنقمة

ومن هذا يتضح على من ينقم الناس ولأية أسباب ، انها تلك أو من هذا النوع • والناس يميلون الى النقمة أولا اذا حدث أنهم يستحقون أو يملكون أكبر المزايا ، لأنه ليس من العدل أن من لا يشبهونهم ينبغي أن يعدوا خليقين بنفس المزايا ، وثانيا اذا كانوا فاضلين جديرين ، لأنهم يحكمون حكما صائبا

---

(١) الشاعر هو هوميروس : « الالياذة » النشيد الحادي عشر ، البيت رقم ٥٤٢ . والبيت الاول فقط هو الوارد في المخطوطات اليونانية لنص «الالياذة» لهوميروس، بينما الثاني لا يوجد في اي مخطوط من مخطوطاتها. والاشارة هنا هي الى كبريونس Cebriones ابن فريام Priam الذي ذبحه بطروقلس Patroclus

ويكرهون ما هو ظلم • ثم أولئك الذين هم طموحون ويتطلعون الى بعض المناصب ، خصوصا اذا كانت هي تلك التي نالها غيرهم برغم أنهم غير جديرين • وبالجملة ، أولئك الذين يظنون في أنفسهم أنهم جديرون بمزايا يحسبون ان غيرهم ليسوا لها مستحقين — هؤلاء يميلون الى النقمة على الآخرين وبسبب هذه المزايا • وهذا هو السبب في أن الذليل والفسل وغير الطموح لا يميلون الى النقمة ، لأنهم لا يظنون انهم يستحقون شيئا •

وواضح من هذا أي نوع من الناس هؤلاء الذين سوء حظوظهم ومصائبهم وأخفاقهم لا بد أن يجعلنا نفرح أو على الأقل لا نشعر بألم ، لأن الأضداد واضحة مما قلناه • فان وضع الخطيب القضاة في هذه الحالة النفسية وأثبت أن أولئك الذين يسألوننا الرحمة (والأسباب التي تدعوهم الى ذلك) لا يستحقون أن ينالوها وينبغي أن نحرمهم منها ، فان الشفقة ستكون مستحيلة •

١٠

في الحسد

أ — في الحسد والحساد

كما أنه من الواضح أيضا لأي سبب ، ومن ، وفي أي حال ، الناس يحسدون ، اذا كان الحسد نوعا من الألم كمنظر النجح والسعادة بالنسبة الى الخيرات التى ذكرناها ، في حال أولئك الذين هم أشباههم ، وذلك لا من أجل حصول المرء على شيء ، بل بسبب أن آخرين يملكونه • ان الحسد من شيمة أولئك الذين لهم ، أو يظنون أن لهم ، أشباه : وأقصد « بأشباه » أنهم يتساوون معهم في الحسب ، أو القرابة ، أو السن أو الاستعداد ، أو الامتياز ، أو الثراء • كذلك نشعر بالحسد اذا كنا على مسافة قصيرة من الحصول على كل شيء ، وهذا هو السبب في أن الناس الذين في مراتب عالية ونعيم يشعرون بالحسد ، ذلك أنهم يظنون أن كل انسان آخر يأخذ ما هو حق لهم • كذلك

اذا كنا نمتاز امتيازا استثنائيا في شيء معين ، خصوصا اذا كان هذا الشيء هو الحكمة أو صلاح الحال • والطموحون أكثر حسدا من غير الطموحين •وكذلك من هم حكماء حسب غرورهم ، لأنهم يطمحون الي أن يشتهروا بالحكمة ، وعلى العموم ، أولئك الذين يشتهون أن يتميزوا في شيء يكونون حسودين فيما يتعلق به • وكذلك صغار العقول ، لأن كل شيء يبدو لهم عظيما •

ب ـ دواعي الحسد

ولقد ذكرنا المزايا التي تثير الحسد • (١٣٨٨ أ) وتقريبا كل الأفعال أو المقتنيات التي تجعل الناس يشتاقون المجد أو الشرف ويتشوقون الى الشهرة ، ونعم الحظ السعيد تخلق الحسد ، خصوصا حين يشتاقها الناس لأنفسهم ، أو يظنون ان لهم الحق فيها ، أو التي يجعل امتلاكها الناس أرفع قليلا أو أدنى قليلا •

ج ـ في المحسودين

ومن الواضح من هم المحسودون ، اذ ذكرنا ذلك على سبيل التضمن • ان الناس يحسدون القريبين منهم في الزمان ، والمكان ، والسن ، والسمعة ، ومن هنا قيل : (١)

« القرابة تعرف كيف تحسد أيضا »

ومن ينافسونهم ممن تحدثنا عنهم ، لأنه لا أحد يحاول أن ينافس من عاشوا قبله بعشرة آلاف سنة ، أو الذين سيولدون ، ! أو الذين ماتوا ، أو أولئك الذين يعيشون قرب أعمدة هرقل[٢] ، أو أولئك الذين هم في نظره أو في نظر غيره أدنى جدا أو أسمى جدا منه ، والناس والأشياء التي يحسدها المرء هم وهي في مستواه • ولما كان الناس يسعون الى الكرامة (الشرف) مع اولئك الذين ينافسونهم في الحب أو يتبارون معهم ، وبالجملة مع أولئك

---

(١) هذا القول نسبه المحشى الى اسخولوس •

(٢) اي : مضيق جبل طارق ، وكان القدماء يظنون ان العالم ينتهي عنده •

الذين يقصدون نفس الأشياء ، فانهم خليقون أن يكونوا أشد الناس حسدا ، ومن هنا قيل :

(١)
« الفاخراني (حاسد) للفاخراني »

والذين نجحوا بصعوبة أو أخفقوا يحسدون من كان نجاحهم سريعا . وكذلك الذين أملاكهم أو نجاحاتهم هي توبيخ موجـه الى أنفســهم ، وهم جيراننا وأكفاؤنا ، اذ من الواضح أن الذنب ذنبنا في حال عدم حصولنا عــلى هذه الأشياء ، فهذا يضايقنا ، ويثير فينا الحسد . كذلك نحن نحسد من يملكون ما كان ينبغي أن نملكه نحن ، أو من حصلوا على ما كنا حصلنا عليه قبـل . وهذا هو السبب في أن الشيوخ يحسدون الشباب ، وأولئك الذين أنفقــوا الكثير يحسدون أولئك الذين أنفقوا القليل في تحصيل نفس الأشياء . والناس الذين لم يحصلوا على شيء معين ، أو لم يحصلوا عليه بعد ، يحسدون مــن حصلوا عليه بسرعة . ونستطيع أن نرى أيضا ما هي الأشـياء ومــن هم الأشخاص الذين يشيعون السرور في نفوس الحاسدين ، وفي أي الأحــوال النفسية يشعرون به : ان الأحوال النفسية التي فيها يستشعرون الألم هي تلك التي فيها يستشعرون اللذة بالأشياء المضادة . فان صرنا ، نحن الذين نقرر ، الى حال الحسد ، واذا كان المطلوب لهم الشفقة أو المجازاة بشيء مرغــوب فيه هم كما وصفنا ، فمن الواضح أنهم لن يظفروا منا بالشفقة .

١١
في الغبطة

أ ــ تعريف الغبطة ، طبيعتها وآثارها

أما ما الحال التي فيها يشعر الناس بالغبطة ، وما الأشياء والأشخاص

---

(٢) راجع م٢ ف٤ ص. ١٣٨١ ب ١٧ .

(٤) الغبطة ζῆλος : الغبطة ان تتمنى مثل حال المغبوط ، من غير ان تريد زوالها عنه ولا ان تتحول عنه . بخلاف الحسد اذ، تتمنى زوال النعمة عن المحسود . « والغبط ان يرى المغبوط في حال حسنة فيتمنى لنفسه مثل تلك الحال الحسنة ، من غير ان يتمنى زوالها عنه.. واما الحسد فهو ان يشتهي ان يكون له مال المحسود وأن يزول عنه ما هو فيه ، فهو يبغيه الغوائل على ما اوتي من حسن الحال ويجتهد في ازالتها بغيا وظلما » (لسان العرب في مادة : غبط) .

الذين يثيرونها ، فهذا ما سيتضح فيما يلي • ولنسلم بأن الغبطة هي شعور بالألم ناشيء عن مشاهدة خيرات عالية القيمة ، من الممكن أن نحصل عليها ، في حوزة من هم أشباهنا بالطبع ، وهذا الألم لا ينشأ عن كون الغير يملكونها ، وانما لأننا نحن لا نملكها • ولهذا فان الغبطة خير وصفة للأخيار ، بينما الحسد خير وصفة للأخساء ، لأن الأول بالغبطة يهيء نفسه للحصول على مثل هذه الخيرات ، بينما غرض الآخر ، بسبب الحسد ، أن يمنع غيره من الحصول عليها •

ب ـ في الذين يستشعرون الغبطة

(١٣٨٨ ب) فالواجب اذن أن يشعر بالغبطة أولئك الذين يدعون الحق في خيرات لا يملكونها ، لأنه لا أحد يطالب بما يبدو مستحيلا • ومن ثم كان الشباب وذوو النفوس الكبيرة غابطين • كذلك أولئك الذين عندهم مزايا جديرة باشراف الناس ، مثل الثروة ، ووفرة الاخوان ، والمناصب ، وما أشبه ذلك • ذلك لأنهم وقد اعتقدوا أن واجبهم هو أن يكونوا أخيارا ، وان مثل هذه الخيرات تنتسب بالطبع الى من هم أخيار ، فانهم يسعون الى المحافظة عليها • كذلك يكونون غابطين من يعتقد الآخرون أنهم جديرون بهم • والكرامات التي ظفر بها الأسلاف والأقرباء ، والأصفياء ، والوطن أو المدينة ـ تجعل الناس غابطين فيما يتصل بمثل هذه الكرامات ، لأنهم يظنون أن هذه الكرامات تنتسب حقا اليهم وهم لها مستحقون •

جـ ـ دواعي الغبطة

واذا كانت الخيرات ذوات القيمة العالية هي موضوع الغبطة والنفاسة، فيلزم عن هذا لا محالة أن تكون الفضائل والأشياء النافعة والمفيدة لسائر

الناس هي من هذا القبيل [1]، لأن الناس يكرمون من هم أخيار خلقيا ،وكذلك من يسدون اليهم خدمات • وكذلك الحال في الخيرات التي يكون امتلاكنا لها مصدر استمتاع لجيراننا ـ وهذا يكون في الثراء والجمال أحرى من ان يكون في الصحة [2].

د ـ في الأشخاص الذين نغبطهم

كذلك واضح من هم الذين نغبطهم : انهم أولئك الذين يملكون هذه الخيرات أو أشباهها ، كما أوردناها من قبل ، مثل الشجاعة ، والحكمة ، والسلطة ، ذلك لأن ذوي السلطة كالقواد والخطباء ومن لهم سلطة من هذا القبيل ، يمكنهم أن يفعلوا الخير لكثيرين • ثم أولئك الذين يرغب الكثيرون في أن يكونوا مثلهم ، أو أن يكونوا معارفهم أو أصدقاءهم ، والذين يعجب بهم الكثيرون أو نعجب نحن بهم ، والذين يمدحهم الشعراء أو الكتاب • وأضداد هؤلاء نحن نحتقرهم ، اذ الاحتقار هو مضاد الغبطة ، وفكرة الغبطة ضد فكرة الاحتقار • ثم أولئك الذين في حال تجعلهم يَغبِطون ، أو يُغبَطون لا بد أنهم يميلون الى احتقار الأشخاص (ولهذا السبب) الذين يعانون من عيوب مضادة للخيرات التي تثير الغبطة • وهذا هو السبب في أننا غالبا ما نحتقر أصحاب الحظ السعيد ، اذا لم يكن حظهم السعيد مصحوبا بخيرات عالية القيمة •

وهكذا بينا وسائل احداث وتدمير مختلف الانفعالات في الناس ، وهي التي منها تستمد مناهج الاقناع الخاصة بها •

---

(١) اي موضوع للغبطة عليها والنفاسة .

(٢) فان انفاق المال على الاخرين يفيدهم ، والجمال يسر الناظرين ، اما الصحة فليست مما يثير الاعجاب .

١٢

الأخـــلاق

أ ـ الأخلاق بعامة

فلنصف الآن طبيعة اخلاق الناس بحسب انفعالاتهـم ، وعاداتهـم ، وأعمارهم ، وحظوظهم • وبالانفعالات أعني : الغضب ، والشهوة وما شابه ذلك ، مما تحدثنا عنه من قبل[١] ، وبالعادات أعني الفضائل والرذائل ، وقد تحدثنا عنها أيضا من قبل[٢] ، وكذلك عن الأشياء التي يختـارها النـاس ويمارسونها أفرادا وعن روية[٣]• أما الأعمار فهي : الشباب ، والعنفوان ، والشيخوخة • وبالحظوظ أعني الحسب ، (١٣٨٩ أ) والثراء ، والسـلطة وأضدادها ، وبالجملة الحظ الحسن والسيء[٤]•

ب ـ أخلاق الشباب

أما الشباب فمن أخلاقهم أنهم شهوانيون ، وهم قادرون على ركـوب شهواتهم • ومن الشهوات الجسدية يميلون خصوصا الى تلك التي تتعـلق باللذة الجنسية وهم فيها لا يضبطون أنفسهم • وهم مع ذلك يسير تغيرهم وتقلبهم فيما يشتهون ، وسرعان ما يملون ما يشتهون ، وهم يشتهون اشتهاء عارما ، وسرعان ما يهدأون ، وذلك لأن أهواءهم حادة أولى من أن تكـون قوية ، كمثل الجوع والعطش اللذين يصيبان المرضي • ثم هم غضوبون ، حادو الطباع ، منقادون للانتفاع ، عاجزون عن ضبط شهواتهم ، ولأنهـم طموحون فانهم لا يصبرون اذا استخف بهم مستخف ، ويمتعضون اذا ظنوا أنهم يضامون • وهم محبون للكرامة ، ومحبون أكثر : للتغلب ، لأن الحداثة

---

(١) راجع المقالة الثانية الفصل الاول وما يليه .

(٢) راجع م١ ف٩ .

(٣) راجع م١ ف٦ ص ١٣٦٣ أ ١٩ .

(٤) لما كان قد تحدث من قبل عن الانفعالات والعادات ، فلم يبق عليه الا الكلام عن الاعمار .

تشتاق الى التفوق ، والتغلب نوع من التفوق • واشتهاؤهم لهذين أكبر من اشتهائهم للمال ، بل هم لا يقيمون للمال الا أقل وزن ، لأنهم لم يجربوا الفاقة ، كما قال فطاقوس[1] في عبارته الجزلة عن أمفياراوس • وليس فيهم نغالة طبع ، بل سذاجة ، لأنهم لم يروا كثيرا من الشرور بعد ، وهم يصدقون القول سريعا ، لأنهم لم يختدعوا كثيرا، وهم مملوءون بالآمال ، لأن في طبعهم حرارة كتلك التي في السكارى من الخمر ، كما أنهم لم يجربوا الكثير من الاخفاق • وهم في أكثر الأمر يعيشون بالأمل ، لأن الأمل يتعلق بالمستقبل كما أن الذاكرة تتعلق بالماضي • والمستقبل للشباب طويل ، والماضي قصير ، اذ في مطلع الحياة لا يمكنهم أن يتذكروا شيئا ، ولكنهم يأملون كثيرا وفي كل شيء ، وهذا ما يجعلهم أسهل تعرضا للانخداع ، لأنهم يسترسلون في الآمال • وهم أكثر شجاعة ، لأنهم مملوءون بالحماسة والأمل ، والحماسة تمنعهم من الخوف ، والأمل يشيع فيهم الثقة ، اذ الغضوب لا يخاف ، والأمل في بعض الفوائد يلهم الثقة • وهم يغلب عليهم الحياء لأنهم يخفقون في ادراك أمور أخرى نبيلة ، ذلك أنهم لم ينشأوا الا على التقاليد • وهم أيضا سليمو الصدور ، لأنهم لم تقرعهم تصاريف الحياة ولم يعانوا قهر الضرورة ، وثم سلامة صدر فيمن يظن نفسه مستحقا للأشياء العظيمة ، وهذا شعور يعتمل فيمن حفلت نفسه بالآمال •

وفي أفعالهم يفضلون النبيل على النافع ، وحياتهم يقودها خلقهم أكثر من أن يقودها التقدير الدقيق والحساب ، لأن هذا الأخير يستهدف النافع ،

---

(١) فطاقوس Pittacos من متولينا MityLene احد الحكماء اليونانيين السبعة. وفى سنة ٦٠٦ قاد الحرب ضد اثينا للاستيلاء على سجيوم Sigeum . وصار طاغية على نفولينا (في جزيرة لسبوس) في سنة ٥٨٩ وتولى هذا المنصب عشر سنوات ، وسن قوانين من اغربها قانون يقضي بمضاعفة العقوبة اذا ارتكبت الجريمة والجاني سكران . راجع عنه ذيوجانس اللائرسي : « حياة الفلاسفة المشهورين » جا ص ٧٣ ـ ٧٦ ، ترجمة فرنسية ، باريس سنة ١٩٦٥ .
اما امفياراوس فعراف وبطل في ارجوس ، وبتحريض من زوجته اشترك فى حملة السبعة ضد ثيبا ، رغم انه تنبا بنهايتها الفاجعة .

أما الفضيلة فتستهدف النبيل • وفي هذه السن ، (١٣٨٩ ب) أكثر مما في غيرها ، يولعون بأصدقائهم وأصحابهم ، لأنهم يستلذون العيش في جماعة ، ولا يحكمون على شيء بحسب المنفعة ، ولا حتى أصدقاءهم • وكل أخطائهم ترجع الى الافراط والاغراق واهمال حكمة خيلون[1] ، لأنهم يفعلون كل شيء بافراط : من حب ، وبغض ، وكل شيء آخر • وهم يظنون أنهم يعرفون كل شيء ، ويؤكدون ذلك عن ثقة ، ومن هنا جاء افراطهم في كل شيء • واذا ارتكبوا ظلما فمرجع ذلك الى الوقاحة ، لا الى السفالة • وهم يميلون الى الشفقة ، لأنهم يحسبون أن كل الناس فضلاء ، وأحسن منهم[2] ، ذلك أنهم يقيسون الناس بحسب طبائعهم غير الشريرة ، ولذلك لا يعتقدون أنهم يستحقون أن يعاملوا بتلك المعاملة • وهم مولعون بالمرح ، ولهذا هم سريعو البديهة ، لأن سرعة البديهة هي وقاحة مهذبة • تلك اذن أخلاق الشباب •

١٣
أخلاق الشيوخ

أما الشيوخ والذين جاوزوا عنفوان العمر فأخلاقهم في الغالب ضد أخلاق الشباب • ذلك لأنهم عاشوا سنوات طويلة ، واختدعهم الآخرون مرات أكثر ، أو ارتكبوا هم أخطاء أكثر ، ولأن شئون الانسان معظمها سيئة ، فانهم لا يؤكدون شيئا ، ويبدون — في كل شيء — عن افتقار شديد الى الطاقة • وهم دائما « يفكرون » ، ولكنهم « لا يعرفون » شيئا ، وفي ترددهم يكررون دائما كلمة : « ربما » ، « يجوز » ، وكل أقوالهم هي من هذا النوع ، أعني ليست عارية عن الوصف • وهم ماكرون دهاة ، لأن الدهاء يقوم في اعتبار

---

(١) احد حكماء اليونان السبعة ، من اسبرطة ، ازدهر حوالي سنة ٥٥٦ ق.م. ويقال انه مات من الفرح وهو يعانق ابنه الذي انتصر منذ قليل فى الملاكمة في الالعاب الاولمبية . وكانت حكمته هي : لا تتطرف ابدا . راجع عنه زيوجانس اللائرسي « حياة الفلاسفة » جا ص٧٠ — ٧٢ ، ترجمة فرنسية ، باريس سنة ١٩٦٥.

(٢) أو : « أحسن مما هم في الواقع » .

الجانب الأسوأ من كل شيء • ولعدم ثقتهم تراهم دائما ظنانين مستريبين نظرا انى تجربتهم • ولنفس الأسباب لا يكون حبهم ولا بغضهم قويا ، ولكنهم ، كما يقول بياس[1] ، يحبون كما لو كانوا سيبغضون ذات يوم ما أحبـوا ، ويبغضون كما لو كانوا سيحبون ذات يوم ما أبغضوا • ثم ان نفوسهم صغيرة، لأن الحياة ضعضعتهم ، ولا يشتاقون الى شيء عظيم أو غير عادي ، وانمـا الى ضروريات الحياة فحسب • وليسوا أسخياء ، لأن الملكية واحدة من هذه الضروريات ، وهم يعلمون من التجربة أن الاقتناء عسير ، والتضييع يسير — ثم هم جبناء ميالون الى استباق[2] الشر ، لأنهم بخلاف ما عليه الشباب ، فهم دوو برودة وفتور ، بينما الشباب ذوو حرارة وتوقد ، حتى ان الشيخوخة تمهد الطريق الى الجبن ، لأن الخوف نوع من البرودة • — ثم هم محبون للحياة ، خصوصا في أخريات عمرهم ، لأن الشهوة تتجه نحو ما هو غائب ، والنـاس يشتاقون خصوصا ما يفتقرون اليه • — وهم أنانيون من غير موجب ، لأن هذا نوع من صغار النفس • وهم لا يعيشون من أجل ما هو نبيل ، بل مـن أجل ما هو نافع ، وهذا على نحو أكثر مما ينبغي ، لانهم أنانيون ، ذلك أن النافع خير للفرد ، بينما النبيل خير على الاطلاق • (١٣٩٠ أ)

ثم أهم أقرب الى الوقاحة منهم الى التواضع ، لأنهم وقد عادوا لا يهتمون بالنبيل بقدر ما يهتمون بالنافع ، فانهم لا يحفلون كثيرا بما يظن النـاس • وهم قليلو التعلق بالأمل ، بسبب تجربتهم ، لأن الأمور الحادثة غالبا سيئة ، وعلى كل حال فهي على العموم أميل الى الأسوأ ، وأيضا بسبب جبنهم •وهم يعيشون بالذكرى أكثر مما يعيشون بالأمل ، لأن ما بقي لهم من العمر قصير ،

---

(١) أحد الحكماء السبعة ، اصله من برينا Priene في ايونيا ، ازدهر حوالي سنة ٥٣٠ ق.م. ويقول هيرودوتس انه نصح مواطنيه ابان الغزو الفارسي ان يهاجروا الى صقلية راجع شذراته في
F. W. A. Mullach : Fragmenta Philosophorum Graecorum, 1860
وراجع عنه ذيوجانس اللائرسي : «حياة الفلاسفة » جا ص ٧٧ — ٧٩ ، ترجمة فرنسية، باريس ، سنة ١٩٦٥.

(٢) اي توقع حدوث الشر .

وما مضي طويل ، والأمل ينتسب الى المستقبل ، أما الذاكرة فالى الماضي . وهذا هو السبب في ثرثرتهم ، لأنهم يتكلمون عن الماضي باستمرار ، اذ يجدون في التذكر لذة . وسورات غضبهم عنيفة ، ولكنها ضعيفة ، وبعض شهواتهم خمد ، وبعضها الآخر ضعيف ، ولهذا لا يشعرون بها ولا يفعلون وفقا لها ، بل لدواعي الكسب فقط . ولهذا يعد أصحاب هذه السن ضابطين لأنفسهم ، لأن شهواتهم تراخت ، وصاروا عبيدا لحب الكسب . وفي أسلوبهم في الحياة حساب أكثر مما فيه أخلاق ، لأن الحساب يعنى بما هو نافع ، بينما الأخلاق تعنى بالفضيلة . واذا ارتكبوا جورا كان ذلك راجعا الى الرذيلة أكثر منه الى الوقاحة . والشيوخ ، كالشباب ، ميالون الى الشفقة ، لكن لا لنفس الأسباب : ذلك أن الشباب يشفقون عن انسانية ، أما الشيوخ فعن ضعف ، لأنهم يحسبون أنهم على وشك معاناة كل صنوف المصائب ، وهذا أحد الأسباب التي تميل بالناس الى الشفقة . وهذا هو السبب في أن الشيوخ مولعون بالتشكي والغموم ، تعوزهم القدرة على التصرف والرغبة في الضحك، ذلك لأن المزاج المولع بالتشكى والغموم vόχ،ιτρυσόό̓ سζضد الرغبة في الضحك .

تلك هي أخلاق الشباب والشيوخ . فلما كان الناس جميعا يحبون أن يصغوا الى الخطب التي تنسجم مع طباعهم[1] والى الخطباء الذين يشبهونهم ، فمن السهل أن نذكر ما هي اللغة لتي ينبغي استعمالها بحيث نبدو نحن وخطبنا على هذا النحو أو ذاك .

١٤
أخلاق السن الناضجة

ومن الواضح أن الذين في عنفوان العمر ستكون أخلاقهم وسطا بين النوعين السالفين ، اذا استبعدنا الافراط في كل حالة . في عنفوان السن لا

(١) او تترجم هكذا : « الى الخطب التي تعكس هذه الطباع » .

يكون الناس مفرطي الثقة ، مما ينبىء عن اندفاع ، ولا شديدي الخوف ، بل يحتفظون بموقف سليم تجاه كلتا الحالتين[1] : فلا يثقون بالكل ، ولا يسيئون الظن بالكل ، انما يحكمون بحسب الوقائع الحادثة . وقاعدتهم في السلوك ليست النبيل أو النافع وحده ، بل كليهما معا . وهم ليسوا مقترين ولا مبذرين بل يتخذون موقفا وسطا . والأمر نفسه يكون تجاه الانفعال والشهوة . وضبطهم لأنفسهم ممزوج بالشجاعة ، وشجاعتهم ممزوجة بضبط النفس ،بينما في الشباب والشيوخ نجد هاتين الخصلتين منفصلتين الواحدة عن الأخرى ، ذلك أن الشباب شجعان لكنهم لايضبطون أنفسهم ، والشيوخ يضبطون أنفسهم ولكنهم جبناء . وبقول عام نقرر أن كل المزايا التي لكل من الشباب والشيوخ على حدة انما يملكها من هم في عنفوان العمر ممزوجة معا ، وكل أحوال الافراط أو التفريط في الشباب والشيوخ يحل محلها عند من هم في عنفوان العمر الاعتدال الواجب والملاءمة . والجسم يبلغ تمام نموه من الثلاثين الى الخامسة والثلاثين سنة من العمر ، أما العقل فعند التاسعة والأربعين تقريبا .

وحسبنا هذا في الكلام عن الشباب ، والشيوخ ، وعنفوان العمر ، والأخلاق الخاصة بكل منها .

١٥

أخلاق الجد

أ ــ أخلاق الحسب

فلنتكلم الآن عن الخيرات العائدة الى الجد (حسن الحظ) أو على الأقل عن كل تلك التي تنتج في الناس أخلاقا معينة .

---

(٢) الافراط في الثقة ، والافراط في الخوف .

من خواص الحسب[1] أن الحسيب أكثر طموحا ، لأن الناس تعودوا ، اذا بدأوا من خير ما ، أن يكدسوا عليه ، والحسب ميراث للشرف منحدر من الأسلاف . وأمثال هؤلاء الناس يميلون الى الاستخفاف بمن هم في منزلة أسلافهم ، لأن نفس الأشياء تكون أكثر شرفا وتوحي بغرور أكبر حين تكون بعيدة أكثر منها حين تكون حديثة . وفكرة الحسب تشير الى امتياز في العنصر ، وفكرة الخلق النبيل تشير الى عدم الانحلال عن نمط الأسرة ، وهي صفة توجد ــ لا كقاعدة ــ في أهل الحسب ، ومعظمهم لا يصلحون لشيء . ذلك لأن في أجيال الناس نوعا من المحصول مثلما في ثمار الحقل ، وأحيانا ، اذا كان الجنس حسنا ، فان أناسا ممتازين يولدون منه حقبة من الزمان ، ثم يفسد بعد ذلك . الاسر ذات المواهب الرفيعة غالبا ما تنحل الى مجانين ، مثل ذرية القبيادس وديونسيوس[2] الأكبر ، والأسر المستقرة قد تضمحل الى مخبولين ومعتوهين ، مثل ذرية كيمون[3] وبريكليس وسقراط .

---

(1) الحسب εὐγένεια = نبل المولد ، نبالة الاصل ، نبالة المحتد . والحسيب هــو المتصف بذلك .

(٢) القبياوس Alcibiades بن كلينياس Clinias ولد في اثينا حوالي سنة ٤٥٠ ق.م ، وقتل سنة ٤٠٤ ق.م. وكان جميلا كفءا ، لكنه كان فاسقا ، وقد حاول سقراط اصلاح اخلاقه ، ولكن عبثا . وتولى قيادة الحملة على صقلية في ٤١٥ ق.م ، وبعد مغامرات عاد الى اثينا سنة ٤٠٧ وعين قائدا عاما للقوات البرية والبحرية وبعد هزيمة نوتيوم نفى . ولما سقطت اثينا سنة ٤٠٤ نجا الى فروجيا .
وديونوسيوس Dionysious الاكبر ولد حوالي سنة ٤٣٢ ق.م ، وكان طاغية على سرقوسة (في صقلية) . وكان نموذجا للطاغية المستبد الظالم .

(٣) كيمون Kimon : امير بحر اثيني وسياسي عاش في القرن الخامس ق.م ، وكان قائد الاسطول الاثيني ابان الحرب مع فارس وانتصر عليهم فى معركة اويرميدون سنة ٤٦٧ (أو ٤٦٨).
وبريكليس Perikles سياسي اثيني ولد حوالي سنة ٤٩٠ ، وكان قائدا ممتازا ، وصار حاكما لاثينا سنة ٤٤٣ ويعد عهده من أزهر عهود اثينا في الفنون والاداب والفلسفة ، وتوفي سنة ٤٢٩ ق.م .

١٦
ب ـ أخلاق الاغنياء

والأخلاق المصاحبة للثراء واضحة للجميع • ان الأغنياء يتصفون بالوقاحة والاستطالة على الناس ، لأن اقتناء الأموال يؤثر في عقولهم ، فيظنون أنهم يملكون كل الخيرات ، اذ تصبح الثروة مقياسا لقيمة سائر الأشياء ، (١٣٩١ أ) حتى يخيل اليهم أن كل شيء قابل للشراء بالمال • وهم مترفون متبججون : مترفون بسبب ترفهم واستعراضهم لازدهار أحوالهم ، ومتبججون وشكسون لأن الناس جميعا اعتادوا أن يكرسوا اهتمامهم الى ما يحبون وما به يعجبون، والأغنياء يظنون أن ما يغبطون عليه هو ما يغبط الناس عليه بعضهم بعضا جميعا • وهذا الشعور هو في الوقت نفسه ليس بغير أساس ، لأن الذين يحتاجون الى الأغنياء كثيرون • ومن هنا كان جواب سيمونيدس لزوجة هيرو بشأن الحكيم والغني ، حينما سئل أيهما أفضل : أن يكون المرء حكيما أو أن يكون غنيا ؟ فأجاب سيمونيدس : « أن يكون غنيا ، لأننا نشاهد الحكماء يقضون أوقاتهم على أبواب الأغنياء » • ـ ثم ان الأغنياء يعتقدون أنهم يستحقون أن يتولوا الحكم ، لأنهم يظنون أنهم يملكون الأشياء التي تعطي الحق في تولي المناصب • وبالجملة ، فان نوع الأخلاق الناجم عن الغني هو أخلاق الأحمق الذي حالفه حسن الحظ • ـ ثم أخلاق الذين اغتنوا حديثا غير أخلاق الذين لهم قدم في الغني ، اذ الأولون يتصفون برذائل الغنى بدرجة أكبر وأشمل ، ذلك لأنهم لم ينشأوا على حسن استعمال الثروة • وأفعالهم الجائرة لا ترجع الى الخبث ، بل الى الوقاحة حينا والفجور حينا آخر ، مما يجعلهم يميلون الى الاعتداء والبطش والزنا •

١٧
جـ ـ أخلاق ذوي القوة والجدّ
١ ـ أخلاق ذوي القوة

أما القوة فجميع الأخلاق التي تنشأ عنها واضحة : ذلك أن القوة ، اذا

قورنت بالغنى ، تكشف اما عن نفس الخصائص ، أو عن خصائص أرفع • فالأقوياء أشد طموحا ورجولة من الأغنياء ، لأنهم يريغون الى انجاز أفعال تمكنهم قوتهم من القيام بها • وهم أكثر جدا وهمة ، لانهم لما كانوا ملزمين بالعناية بقوتهم ، فانهم دائما ساهرون[1] • وهم يتصفون بالعزة أكثر مما يتصفون بالزهو والخيلاء الثقيل ، لأن مكانتهم تجعلهم أبرز للناظرين ، ولهذا يتجنبون الافراط ، وهذه العزة مخففة رقيقة محتشمة • ومظالمهم لا تكون أبدا يسيرة ، بل كبيرة •

٢ ــ أخلاق ذوي الجد

والجد بأقسامه[2] يكشف عن أخلاق تناظر تلك التي أتينا على ذكرها منذ قليل ، لأن تلك التي تبدو أنها أهم أنواع الجد تتجه في نفس اتجاهها • يضاف الى هذا أن الجد يؤدي الى اكتساب كل ما نستطيع في سبيل سعادة الأسرة والمزايا البدنية[3] • وعلى الرغم من أن الناس يكونون أكثر استطالة وعدم تفكير بسبب الجد ، فانه مصحوب بصفة حميدة جدا • ذلك أن ذوي الجد على نوع من الصلة بالألوهية ويحبون الآلهة ، لأنهم يثقون بهم ، بسبب ما نالهم من نعم تلقوها من الحظ السعيد •

ولقد تحدثنا[4] عن الأخلاق المناسبة لمختلف الاعمار والحظوظ.وأضداد الأخلاق التي وصفناها ، مثل أخلاق الفقراء والتعساء والضعفاء ، واضحة من أضدادها •

---

(١) ويترجم ايضا هكذا : لان عليهم ان يلتفتوا الى الواجبات التي تمليها عليهم مكانتهم •

(٢) اقسامه ثلاثة : الحسب ، الغنى ، القوة •

(٣) راجع ص ١٣٦٠ ب ١٩ ــ ٢٣ •

(٤) راجع م٢ ف ١٢ ــ ١٤ ، م٢ ف ١٥ ــ ١٧ •

١٨

الخصائص المشتركة بين جميع أجناس القول

أ ــ ملخص ما تقدم

واستعمال الأقوال المقنعة يتجه نحو الحكم ، لأن الامر اذا عرف وحكم عليه ، فلن تعود هناك حاجة بعد الى حجة . والحكم انما يكون اذا توجه الخطيب الى فرد واحد واستعمل كلامه للحث أو النهي ، كما يفعل أولئك الذين ينصحون أو يحاولون الاقناع ، لأن هذا الفرد الواحد هو قاض أيضا ، لأن من يراد اقناعه ــ عموما ــ هو قاض ، واذا كان المتكلم يحاج ضد خصم أو نظرية ، فالأمر واحد ، لأن من الضروري استعمال الكلام للقضاء على الحجج المعارضة ، التي يتكلم ضدها وكأنها الخصم الفعلي ، وبالمثل في الخطب البرهانية ، لأن الخطبة تدبج بالاشارة الى مشاهد هو بمثابة قاض . وبقول عام مع ذلك ، فان من يفصل في المسائل المتنازع عليها في المنازعات المدنية[1] هو القاضي بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة ، لأنه في الأحوال القضائية محل الخلاف هو حالة القضية[2] ، وفي الاحوال المشورية :موضوعات المشورة . وقد تكلمنا من قبل عن أخلاق اشكال الحكم ونحن نعالج الخطابة المشورية[3] ، حتى انه تحدد كيف وبأية وسائل ينبغي أن ندبج خطبنا وفقا لتلك الأخلاق .

ولما كان كل نوع من الخطابة ، كما قلنا[4] ، له غايته الخاصة به ، وبالنسبة اليها جميعا جمعنا آراء الناس والمقدمات التي منها يستخلصون أدلتهم في الخطابة المشورية ، والبرهانية ، والقضائية كذلك حددنا[5] القواعد الخاصة التي بحسبها يمكن جعل خطبنا أخلاقية ، فلا يبقى غير أن نناقش المواضع المشتركة بين الأنواع الثلاثة من الخطابة .

---

(١) سواء منها القضائية والمشورية .

(٢) أو بترجمة أخرى: لأنه في الحجج القضائية والمشورية محل النزاع هو تقرير الحالة .

(٣) المقالة الأولى ، الفصل الثامن .

(٤) المقالة الأولى ، الفصل الثالث .

(٥) المقالة لأولى ، الفصول ٤ ــ ٨ .

ب ــ ضرورة المواضع المشتركة بين جميع الأجناس

ذلك أن كل الخطباء ملزمون في خطبهم أن يستعملوا أيضا موضوع الممكن وغير الممكن ، وأن يحاولوا أن يبينوا : البعض منهم أن شيئا ما سيحدث ، والبعض الآخر أنه سيحدث • ثم ان موضوع التكبير [١] مشترك بين كل أنواع الخطابة ، لأن جميع الناس يستخدمون التصغير والتكبير سواء في المشورة ، والمدح والذم ، والاتهام والدفاع •

ج ــ إشارة إلى بعض الموضوعات التي ستطرق

(١٣٩٢ أ) فاذا نحن حددنا هذه الموضوعات ، فسنحاول أن نقول ما نستطيع بوجه عام عن الضمائر والأمثلة ، من أجل أن ينجز ما اقترحناه في البداية ، بعد أن نكون قد أضفنا ما يبقى • والتكبير بين المواضع المشتركة [٢] هو الأقلي والأخص بالخطابة البرهانية ، كما قررنا من قبل [٣] ، والماضي أخص وأنسب للقضائي ، لان الامور الماضية هي موضوع الحكم ، والممكن والمستقبل أخص وأنسب للمشوري •

١٩

أ ــ المواضع الخاصة بمعرفة :

١ ــ ما إذا كان الأمر ممكنا أو غير ممكن

فلنتكلم أولا في الممكن وغير الممكن • اذا كان أحد الضدين ممكنا أن يوجد ، فان من الظاهر أن الآخر ممكن أيضا ، فمثلا : اذا أمكن شفاء انسان، فان من الممكن أيضا أن يكون مريضا ، لأن امكان الأضداد ، بما هي أضداد، واحد • وكذلك اذ كان أحد الشيئين ممكنا ، فكذلك الأخر • واذا كان

---

(١) التكبير : المبالغة . التصغير: التهوين. والاول αὔξησις يدل على التفخيم والتوسع والاطراء .

(٢) المواضع المشتركة Lieux Communs هي الافكار العامة التي رد اليها الباحثون في علم الخطابة كل مصادر البراهين والحجج .

(٣) م[١] ف ٩ ص ــ ١٣٦٨ أ ٢٢ ــ ٢٩ .

الآصعب من شيئين ممكنا ، فكذلك يكون الأسهل • واذا كان ممكنا لشيء أن يجعل ممتازا أو جميلا ، فمن الممكن أن يجعل بوجه عام ، لان صنع بيت جميل أصعب من صنع بيت فقط • وكذلك اذا كانت البـداية ممكنة ، فان النهاية أيضا ممكنة ، لأنه لا شيء مستحيلا يحدث ، أو يبدأ الحـدوث ، في الوجود ، فمثلا كون قطر المربع مشاركا لضلعه هذا غير ممكن ولا يمكن أن يكون ممكنا • واذا كانت النهاية ممكنة ، فكذلك البداية ، لأن الأشياء كلها تنشأ من البداية • واذا كان التالي في الوجود أو الكون يمكن أن يوجـد ، كذلك يمكن أن يكون المقدم ، مثلا : اذا كان الرجل قابلا لأن يكون ، كذلك الطفل ، لأن الطفل مقدم ، وبالمثل اذا كان الطفل قابلا لأن يكون، كذلك يمكن الرجل أن يكون ، لان الطفل البداية • والأشياء التي نحن نحبها أو نشتاقها بالطبع هي ممكنة ، لأنه كقاعدة عامة لا أحد يحب المستحيل أو يشـتاقه • والأمور التي تكون موضوع العلوم أو الفنون يمكن أيضا أن توجد وتقع في الوجود • وكذلك الأمر بالنسبة الى كل الاشياء التي تقوم مبادؤها المنتجة في تلك الأشياء التي نستطيع ضبطها بالقوة أو بالاقناع ، حين تقوم على أولئك الذين نحن رؤساؤهم أو سادتهم أو اصدقاؤهم • واذا كانت الأجزاء ممكنة ، فكذلك الكل ممكن ، بوجه عام ، مثلا : « اذا أمكن صنع مقدم الحذاء ، أو ما يغطي ابهام القدم ، أو النصف الأعلى منه ، أمكن أيضا صنع الحذاء • واذا أمكن صنع الحذاء ، أمكن المقدم أو ما يغطي الابهام، أو النصف الأعلى منه[1] واذا كان الجنس كله من بين الأمور التي يمكن صنعها ، كذلك يكون النوع، واذا أمكن النوع أمكن الجنس ، مثلا : اذا أمكن بناء سفينة كبيرة ، أمكن بناء سفينة ذات ثلاثة مجاديف ، واذا أمكن بناء سفينة ذات ثلاثة مجـاديف أمكن بناء سفينة كبيرة • واذا كان أحد النظيرين بالطبع ممكنا ، كذلك يكون الآخـر ، فمثـلا ، اذا كان الزوج ممكنا ، كذلك يكون النصف ، واذا كان

(١) مثل هذا النوع من التمثيل بالأشياء الصناعية كان مالوفا فى مدرسة سقراط ، راجع محاورة « جورجياس » ٤٩٠ د — ٤٩١ أ .

النصف ممكنا ، فكذلك يكون الزوج • واذا أمكن صنع شيء بدون صناعة أو تحضير ، فبالأحرى يمكن أن يصنع بصناعة وعناية • ومن هنا قال أجاتون :

« وعلينا أيضا أن نصنع بعض الأشياء بالصناعة
بينما تقع لنا أشياء أخرى بالاكراه أو الصدفة »(1) •

واذا أمكن الشيء لمن هم أدنى ، أو أضعف ، أو أقل ذكاء ، فبالأحرى أن يكون ممكنا لمن يتصفون بنقيض هذه الصفات ، وكما قال ايسقراطيس "انه سيكون من الغريب جدا أن يعجز بنفسه عن أن يكتشف ما تعلمه يوثونوس Euthynus (بمساعدة الآخرين)"(2) • أما غير الممكن فمعلوم أنه تستخرج حججه من أضداد ما قلناه عن الممكن •

٢ ــ ما إذا كان الأمر قد فعل أو لم يفعل

أما السؤال عما اذا كان الشيء قد كان أو لم يكن فينبغي أن يعالج من أوجه النظر التالية • أولا : اذا كان ما هو بطبيعته أقل احتمالا قد وقع ، فان ما هو أكثر احتمالا ، سيكون من المحتمل كثيرا أن يقع • واذا كان ما حدث عادة بعد شيء ما قد حدث ، فان ما سبق لابد أيضا أنه قد حدث ، مثلا : اذا نسي انسان شيئا ، فانه لا بد قد تعلمه من قبل • واذا كان انسان قادرا وأراد أن يفعل شيئا فانه فعله لأن كل الناس يفعلون الشيء اذا كانوا قادرين وقرروا فعله ، اذ لا شيء يمنعهم • كذلك اذا أراد انسان أن يفعله ، ولم يكن ثم عقبة خارجية ، واذا كان قادرا على فعله وكان في حالة غضب ، واذا كان قادرا أو رغب في أن يفعله ، ذلك أن الناس ، كقاعدة عامة ، كلما استطاعوا ، فعلوا ما يشتاقون اليه : الشرير بسبب افتقاره الى ضبط النفس ، والفاضل بسبب

---

(1) راجع • A. Nauck : Tragicorum Graecorum Fragmenta, p. 765

(2) ايسقراطيس Ἰσοκράτης الخطيب اليوناني العظيم ، ولد في أثينا سنة ٤٣٦ ق.م ، وتوفي بعد معركة خيرونيه (٣٣٨ ق.م) بقليل . وهذه العبارة المنسوبة اليه هنا غير موجودة في النص الحالي لخطبة « ضد يوثونوس » ، ولكن يمكن افتراض أن هذه الخطبة مبتورة في آخرها.

رغبة فيما هو خير. واذا كان شيء على وشك أن يفعل، فمن المحتمل أن يكون قد فعل ، اذ من المحتمل أن من كان على وشك أن يفعل شيئا ، قد أنجزه فعلا. واذا حدثت كل المقدمات أو الأسباب الطبيعية لشيء ما ، مثل ان تكون السماء أبرقت ، فانها تكون أرعدت ، واذا حاول انسان جريمة ، فانه قد ارتكبها . واذا حدثت كل النتائج أو الدوافع لشيء ما ، فان المقدم على جريمة فقد حاولها أيضا . وبعض هذه الأمور ترتبط ارتباطا ضروريا ، وبعضها الآخر ترابط بالقاعدة العامة . واما لأثبات أن شيئا لم يحدث ، فمن الواضح أن حجتنا يجب أن تستمد من ضد ما قيل .

٣ ــ إذا كان سيقع

(١٣٩٣ أ) أما عن المستقبل ، فيمكن أن نسلك نفس المسلك : فاننا اذا كنا قادرين ونريد أن نفعل شيئا ، فانه سيفعل ، كذلك ستفعل الأشياء التي نشتاقها أو يحملنا الغضب والتفكير على فعلها، واذا كانت لدينا المقدرة. ولهذا السبب أيضا ، فانه ان كانت لدى المرء رغبة ، أو قصد عمل شيء ما ، فمن المحتمل أن يعمل، لأن الأمور ــ عادة ــ التي هي بسبيل أن تحدث من المحتمل كثيرا أن تحدث أولى من تلك التي ليست كذلك . واذا حدثت كل المقدمات الطبيعية ، مثلا ، اذا كانت السماء ملبدة بالغيوم ، فمن المحتمل أن تمطر . واذا فعل شيء من أجل شيء آخر ، فمن المحتمل أن هذا الأخير سيفعل ، مثلا : اذا وضع أساس ، فمن المحتمل أن يبني البيت .

ب ــ الموضع المشترك الخاص بالأكبر والأقل

وما قلناه يبين بوضوح طبيعة عظم الأشياء وصغرها ، والأكبر والاقل ، والاشياء الكبيرة والصغيرة بوجه عام. لأننا ونحن نتكلم عن الخطابة المشورية، تكلمنا[١] عن عظم الخيرات ، وعن الأكبر والأقل بعامة . ولهذا فانه لما كان في كل فروع الخطابة العاية الموضوعة له خير ، مثل النافع ، والحسن ، والعدل ،

---

(١) المقالة الأولى ، الفصل السابع .

فمن الواضح أنه ينبغي على جميع المتكلمين أن يتخذوا التكبير من هذه. ومن فضول القول أن نقوم بالمزيد من البحث عن التكبير والتقوية ، لأن الجزءي أقوى من الكلي[١] في الأغراض العملية .

وحسبنا هذا القول في الممكن وغير الممكن، وفي مسألة ما اذا كان الشيء حدث ، أو سيحدث ، أولا ، وفي عظم الأمور وصغرها .

٢٠
في المثل وانواعه واستخـــدامه

أ ــ في المثل وأنواعه

وقد بقي علينا أن نتكلم عن الحجج المشتركة بين أنواع الخطابة ، مادمنا قد تحدثنا عن الحجج الخاصة . ان هذه الحجج المشتركة على نوعين : المثل والضمير ، لأن المثل جزء من الضمير . ولنتكلم أولا عن المثل ، لأن المثل يشبه الاستقراء ، والاستقراء ابتداء[٢] .

المثل على نوعين : نوع يقـــوم في رواية الأمور التي حـــدثت من قبل ، والثاني في اختراع الانسان لها . والثاني يتفرع الى الأمثال أو الخرفات، مثل خرافات ايسوفوس Αἴσωπος والخرافات الليبية Λιβυκοί، . ومما يدخل في الأمثال التاريخيـــة أن يذكر المـــرء أن من الضروري القيـــام بالاستعدادات ضد الشاهنشاه وعدم تمكينه من اخضاع مصر ، لأن داريوش لم يعبر الى اليونان الا بعد أن اســـتولى على مصر ، (١٣٩٣ ب) ولم يكد

---

(٢) اي انه في الاغراض العملية يكون تاثير الأمور المفردة او الجزئية اشد من التاملات ذات الطابع العام أو الكلي .

(١) أي أن الاستقرار هو نقطة ابتداء المعرفةومبدؤها الأول .

(٢) ايسوفوس ، يوناني مؤلف خرافات ، ويفترض انه عاش حوالي سنة ٥٧٠ ق.م ولم يسجل خرافاته كتابة ، لكنها كانت شائعة منسوبة اليه بين أهل أثينة ، ويذكر أفلاطون أن سقراط نظم بعضها شعرا أثناء سجنه . وما وصلنا منها ماخوذ معظمه عن ببريوس وفدرس .
أما الخرافات الليبية (الافريقية) فاصلها أفريقي . وقد ذكرها كونتليان (Inst . Orat. v. Ii 20) وتدور حول الحيوان .

يستولى عليها حتى عبر ، وكذلك أخشيرش لم يهاجمنا الا بعد أن استولى على مصر ، فلما استولى عليها عبر (الينا) ، وتبعا لذلك فانه اذا فعل الشاهنشاه نفس الشيء فانه سيعبر ، ولهذا ينبغي ألا نسمح له بذلك

ب ــ في المثل

والمثل يتضح من أقوال سقراط ، مثلا : لو قال المرء ان القضاة يجب ألا يختاروا بالقرعه والا لكان ذلك مثل أن نختار مصارعين ممثلين (لفريق المصارعه) لا أولئك الاكفاء للمصارعة ، بل من تقع عليهم القرعه ، او ان نختار اي ملاح يتولى سكان (دفة) السفينه .[1] وكان الصواب هو أن يتم الاختيار بالقرعه ، لا بالعلم والمعرفة

جـ ــ في الخرافة

وأما الخرافة فمثل تلك التي قالها اسطيسخورس[2] بشان فالريس ، أو تلك التي قالها ايسوفوس على لسان الطاغية . فان اسطيسخورس ــ حين اختار شعب هميرا : فالريس طاغية وكان بسبيل أن يوفر له حرسا خاصا ــ بعد أن أورد عدة حجج حكي خرافة لهم فقال : « (يحكى أن) فرسا تفرد بمرعى . فجاء أيل فأفسد المرعى ، فلما أراد الفرس أن ينتقم لنفسه من الأيل سأل رجلا أن يعاونه على معاقبة الأيل فوافقه الرجل على ذلك ، بشرط أن يقبل اللجام وأن يحمله على ظهره وفي يده رمح . فوافق الفرس على هذه الشروط وركبه الرجل، لكنه بدلا من أن ينتقم له من الأيل، صار الفرس من ذلك الوقت عبدا له . قال (اسطيسخورس) : فهكذا أنظروا أنتم أيضا لئلا تصيروا الى ما صار

---

(1) أي أن يختار من يمسك بالدفة بالاقتراع بين كل بحارة السفينة ، لا أن يولى ذلك العمل من هو أقدر على توجيه السفينة .

(2) اسطيسخورس Στησίχορος هميرا (في صقلية) من أوائل فحول الشعر الغنائي الدوري (٦٣٢ ــ ٥٥٣ ق. م) . وفالريس Phalaris كان طاغية على اجريجنتم (فى صقلية) اشتهر بقسوة في التعذيب وهذه الخرافة استوحاها ايسوفوس ، ٣١٣ وهوراس Epist. (الرسائل) ١ : ٢١. ، البيت ٣٤ ومايتلو ، ولافونتين ٤ : ١٣ .

اليه الفرس . أنتم تريدون الانتقام من أعدائكم . فانكم قد التقمتم اللجام حيث اخترتم طاغية ، فاذا أقمتم له الحرس وخليتموه ليركبكم ، فستصيرون عبيدا لفالريس » .

فأما ايسوفوس فانه حين كان يدافع في شامس عن ديماغوغوس وكان قد حكم عليه بالموت ، روى الحكاية التالية : « بينما الثعلب يعبر النهر اذ دفع الى وهدة . فلما عجز عن الخروج منها ، ظل في كرب شديد مدة طويلة ، وتعلق ذباب كثير بجلده فأبصره قنفد كان يتجول هناك ، وأخذته الشفقة به وسأله هل يطرد عنه هذا الذباب . لكن الثعلب رفض ، فلما سأله القنفد عن سبب رفضه ، أجاب الثعلب : انه قد امتلأ مني وصار لا يمص الآن الا القليل ، فان طردته يجيء غيره وهو جائع فيمتص ما بقي في ، وكذلك أنتم يا أهل شامس ، (١٣٩٤ أ) لن ينالكم ضرر من هذا الرجل لأنه غني ، لكن لو قتلتموه لجاء غيره ممن هم فقراء ، وسيسلبونكم أموالكم العامة ويبددونها » .

د ــ إستخدام الخرافة والمثل

والخرافات تناسب الخطب العامة ولها مزية خاصة وهي انه بينما يكون من الصعب العثور على أمور مشابهة حدثت فعلا في الماضي ، فان الأسهل من هذا اختراع الخرافات ، لأنه لا بد من اختراعها ، كالأمثال ، اذا كان المرء قادرا على ادراك التناظر ، وهو أمر سهل اذا ما المرء درس الفلسفة[1] . وهكذا فانه بينما الدروس التي تنطوي عليها الخرافات أسهل في الايراد ، فان تلك المستمدة من الواقع أفيد في الخطابة المشورية ، لأن المستقبل عادة يشبه الماضي .

(١) بعض المترجمين يترجم كلمة فلسفة φιλοσοφια ها هنا ب : « المعرفة الأدبية » (Jebb) « الأدب » (Cope) ، « التمرس الادبي » (L. Cooper) ، « التدريب العقلي » (Roberts) .لكن ما الداعي الى هذه الترجمات ، اذا كان الأصل اليوناني استعمم كلمة « فلسفة » ؟ وهي قطعا مناسبة للسياق ها هنا . والمترجم العربي القديم استعملها أيضا (ص ١٤١ س٩) .

فان لم توجد لدينا ضمائر ἐνθυμήματα، فيجب أن نستعمل الأمثلة براهين ، لأن الاقناع يتم بها ، لكن ان وجدت لدينـا ، فلا بد من استعمال الأمثلة كبينة وكنوع من الخاتمة للضمائر . فانها ان جاءت أولا فانها تشبه الاستقراء ، والاستقراء لا يناسب الخطب الا في أحوال قليلة جداء واذا جاءت بأخرة فانها تشبه البينة ، والشهادة في كل حـالة من المحتمل أن تقـود الى الاعتقاد . ولهذا فمن الضروري ذكر عدد من الأمثلة اذا وضعت اولا ، ولكن مثلا واحدا يكفي اذا وضعت في النهاية، لأن شهادة وثيقة واحدة تفيده وهكذا بينا ما هو عدد أنواع الأمثلة ، وكيف ومتى ينبغي علينا أن نستعملها .

٢١

الرأي ، أنواعه ، استخدامه ، نفعه

أ ـــ تعريف الرأي

أما الآراء [١] فسيتضح في أية مناسبات ، وعن طـريق من يكون من المناسب استعمالها في الخطب ، بعد أن نحدد ما هو الرأي . ان الرأي قضية ، لا تتعلق بالأمور المفردة ، مثل : أي نوع من الناس كان ايفقراطس[٢] ، بل تتعلق بالأمور العامة الكلية ، بل هي لا تتعلق بكل الأمور العـامة ، مثل أن المستقيم يضاد المنكسر ، وانما بموضوعات الأفعال الانسانية ، وما ينبغي أن يختار أو يتجنب بالاشارة اليها . ولما كان الضمير هو نوع من القياس يتعلق بأمثال هذه الأشياء ، فان الآراء قضايا أو نتائج لضمائر بدون قياس . مثلا :

---

(١) الراي γνωμολογία وهو الحكمة القصيرة maxim, sentence

(٢) Ἰφικράτης : قائد اثيني ، ولد في رمنون حوالي سنة ٤١٥ ق.م ، ونظم المشاة الخفيفة في جيش اثينا ، وبها استطاع القضاء على فيلق من الهوبليت الاسبرطيين في سنة ٣٩٢ ق.م . وتزوج من بنت كوتوس ملك تراقيا ، وتوفي سنة ٣٥٢ ق.م. والهوبليت كانوا مشاة مسلحين بأسلحة ثقيلة ، بخلاف البلاستيين πελασταί الذين كانوا لا يحملون غير الدروع الواسعة والسيوف القصيرة والرماح .

« ليس لعاقل أن يجعل أولاده يتعلمون أن يصيروا مفرطين في العلم »(١)

هذا رأي ، لكن اذا أضيف كيف ولماذا ، فان الكل يصنع ضميرا ، مثلا :

« لأنه فضلا عن اتهامهم بالتعطل ،

فانهم سيكسبون عداوة المواطنين وغيرتهم »(٢)

(١٣٩٤ ب) ومثل آخر :

« لا انسان سعيد في كل شيء »(٣)

أو :

« ما من انسان هو حر فعلا »

وهذا رأي ، لكنه لو أخذ مع البيت التالي فانه يصير ضميرا :

« لأنه اما عبد للثراء أو عبد للحظ »(٤)

ب ـ أنواع الرأي

فان كان الرأي هو ما وصفنا ، فانه يلزم عن هذا أن الأراء على أربعة أنواع ، لأنها اما أن تكون مصحوبة ببيان السبب ، أو غير مصحوبة(٥) . فكل الآراء التي تقرر شيئا منافيا للرأي العام أو تقرر أمرا محل نزاع وجدل ، تحتاج الى برهان، والتي ليست كذلك، لا تحتاج الى بيان السبب (خاتمة)(٦) .

---

(١) يوريفيدس : « ميديا » ، البيتان رقما ٢٩٥ ـ ٢٩٦ . ويمكن أن يترجم هكذا أيضا : « ليس بواجب ألبته اذا كان المرء عاقلا بطبعه أن يلقن أبناءه علما مفرطا » .

(٢) يوريفيدس : « ميديا » ، البيتان ٢٩٧ ـ ٢٩٨ .

(٣) يوريفيدس : « ستينبيا » (الشذرة رقم ٦٦١ في مجموعة T. G. F.)

(٤) يوريفيدس : « هكوبا » ، البيت رقم ٨٦٤ ـ ٨٦٥ .

(٥) يقصد : مصحوبة ببيان السبب ، أو غير مزود ببيان السبب والتي تحتاج الى بيان السبب هي الآراء التي تبدو متناقضة في الظاهر أو عرضة للجدل والنزاع ، أما التي ليست كذلك فلا حاجة بنا الى بيان اضافي بالسبب لأنها من الوضوح بحيث لا تحتاج الى فضل بيان .

(٦) خاتمة ، بيان اضافي بالسبب épilogue, . لكن أرسطو م٣ ف ١٩ سيستعملها بمعنى خاتمة الخطبة .

اما لانها معروفة من قبل . مثل :

« الصحة أكبر خير للانسان ، في رأيي على الاقل »(١)

لأن هذا أمر متفق عليه عامة ، او لانها واضحة لمن يتاملها بمجرد سماعها، مثل :

« ليس عاشقا من لا يعشق دائما »(٢)

أما الآراء المصحوبة ببيان السبب فبعضها تكون جزءا من ضمير ، مثل :

« ليس لعاقل أن يجعل أولاده يتعلمون أن يصيروا مفرطين في العلم »

وبعضها الآخر هي اضمارية ، ولكنها ليست جزءا من ضمير (٣) ،وهذا ممدوح جدا . ومثالها الآراء التي يكون فيها سبب القول واضحا ، مثل :

« ما دمت فانيا ، فلا تغضب غضبا خالدا »

فالقول بأنه ينبغي على المرء ألا يغضب عضبا خالدا ، هذا رأي ، لكن قوله :

« ما دمت فانيا » فهذا بيان لسبب . وهذا بعينه ينطبق على قول القائل :

« الفاني ينبغي أن تكون أفكاره فانية ، لا خالدة »(٤)

فواضح اذن مما قلناه ما هي أنواع الآراء ، وفي أي الأحوال يكون من المناسب استعمالها . لأنه في حالة الأمور المتنازع فيها أو ما هو مناف للرأي ، فان بيان السبب ἐπίλογος ضروري ، لكن بيان السبب اما أن يوضع

---

(١) هذا البيت إما لسيمونيدس الخيوسي (سنة ٥٥٦ — ٤٦٨ ق.م) وهو شاعر غنائي ، اشار إليه كليمانس الاسكندري Strom. III او لا فيخارموس .

(٢) يوريفيدس : « الطرواديات » البيت رقم ١٠٥١ ، وقد أورده أرسطو ايضا في « الاخلاق الى أوذيموس » ص ١٢٣٥ ب ٢١ .

(٣) أي هي من طبيعة الضمير ، ولكن شكلها مختلف عن شكل الضمير .

(٤) ربما كان هذا القول لأفيخارموس .

أولا ، وتستعمل النتيجة رأيا . مثلا : لو أراد الانسان أن يقول : « . اما عن نفسي، ما دام المرء يجب عليه ألا يكون موضوعا للحسد ولا أن يكون متعطلا فاني أقول ان الأولاد ينبغي ألا يعلموا » . أو يوضع الرأي أولا ويلحق به بيان السبب . وفي جميع الأحوال التي تكون القضايا فيها غامضة. وان لم تكن تنطوي على مفارقة [١] ، فان السبب ينبغي أن يذكر بكل ايجاز ممكن . وفي هذه الأحوال تكون الحكم والألغاز مناسبة . كأن نقول مثلا ما قاله أسطاسيخورس [٢] الى اللوكريين انه (١٣٩٥ أ) لا ينبغي لهم أن يكونوا شتامين حتى لا تضطر الخطاطيف الى أن تغني من الأرض [٣] .

جـ ـ إستخدام الآراء

واستخدام الآراء مناسب لمن تقدمت به السن ، وبالنسبة الى الأمور التي تحنك المرء فيها ، ولأن استخدام الآراء قبل هذه السن (المتقدمة) غير مناسب ، وكذلك قص الحكايات ، وأن يتكلم المرء عن أمور لا تجربة له بها يدل على حماقة وافتقار الى التربية . والدليل الكافي على هذا هو أن أهل الريف هم أكثر الناس ميلا الى الكلام بالآراء ، وهم لايجدون في ذلك صعوبة .

والتعبير بصورة عامة عن موضوع غير عام يصلح خصوصا اذا كنا نريد الشكوى أو المبالغة ، ويجب اتخاذ ذلك اما عند الابتداء ، أو بعد الفراغ من البرهنة ، بل يجب على المرء أن يستخدم الآراء الشائعة التي يكثراقتباسها، وذلك أنها بسبب كونها مشتركة فانه يبدو أنها صادقة ، ما دام الكل كأنهم يقرون أنها كذلك ، مثلا : من يحث جنوده على مواجهة الخطر دون أن يقدم القرابين المفروضة يستطيع أن يقول :

---

(١) Paradoxal : ويترجمها المترجم العربي القديم : عجيبة .

(٢) Stésichore : شاعر غنائي يوناني ولد في هميرا (صقلية) حوالي سنة ٦٤٠ ق.م. ويعد مع القمان على رأس المدرسة الدورية للشعر الكورالي . وتوفي حوالي سنة ٥٥٥ ق.م. ولم يبق من شعره غير ثلاثين شذرة صغيرة .

(٣) أي أن الارض ستخرب وتقطع الأشجار فلا تجد الطيور مكانا تغني فيه إلا وهي على الأرض .

« خير النبؤات ، بل الوحيدة ، هي الدفاع عن الوطن »[1]

وان كانوا قليلى العدد يقول لهم :

« ان انواليوس مشترك بين الطرفين بالسواء »[2]

وان رام المرء حث انسان على القضاء على أطفال عدوه مهما كانوا أبرياء، يقول :

« الأحمق من يدع الأبناء أحياء بعد قتله أباهم »[3]

ثم ان بعض الأمثال تقوم مقام الآراء ، مثل أن يقال : « جار أتيكي »[4] • ويجب استعمال الآراء حتى لو كانت ضد أشهر الأقوال ، مثـل : « اعرف نفسك »[5] ، « ليس شيء بأكثر مما ينبغى »[6] ، اما حين يظهر خلق المـرء بذلك أحسن ، أو اذا عبر عنها بلغة الوجدان • ومن أمثلة النوع الأخير أن يقول انسان وهو غاضب : « ليس بصحيح أنه يجب على الانسان أن يعرف نفسه ، وعلى كل حال ، فان رجلا كهذا لو أنه عرف نفســه ، لمـا طالب أبدا بتولى القيادة » • وخلق الانسان يبدو أفضل لو قال انه ليس من الحق ، كما يزعم الناس ، أن يحب الانسان كما لو كان عليه أن يكره ، بل بالأحرى أن يكـره كما لو كان عليه أن يحب • كذلك ينبغي أن تبرز اللغة المغزى الأخـلاقي ، أو ينبغي عليه أن يبين السبب ، مثلا : اما بأن يقول : « أن من الحق أن يحب

---

(١) هوميروس : « الالياذة » النشيد الثاني عشر ، البيت رقم ٢٤٣ .

(٢) هوميروس : « الالياذة » النشيد الثامن عشر ، البيت رقم ٣٠٩ .
وانواليوس Ενυάλιος هو آرس Ares إله الحرب .

(٣) بيت شعر من نظم استاسينوس القبرصي Stasinos de Chypre وهو شاعر ملاحم عاش حوالي سنة ٧٠٠ ق.م. وقد أورده كليمانس الاسكندري في Stromates 6 : 747

(٤) ثيوكيديدس ١ : ٧٠ ، حيث يشكو أهل كورنثوس من عدم حمية أهل اسبرطـة اذا قـورنوا بجيرانهم الأثينيين الذين هم قلقون محبون للشغب . واتيكا أحد أقاليم اليونان ، ومساحته حوالي الف ميل مربع ، وأكبر مدنه أثينا .

(٥) قول شائع منذ القدم فى اليونان ، وكان مكتوبا على معبد دلف ، وينسبه البعض الى سولون .

(٦) قول منسوب الى خيلون ، أحد الحكماء اليونانيين السبعة .

المرء ، لا كما يقول الناس ، بل كما لو كان سيستمر في حبه الى الأبد ، لأن النوع الآخر من الحب ينطوي على خيانة » ، أو هكذا: « هذا الرأي لا يسرني، لأن الصديق الصدوق ينبغي عليه أن يحب كما لو كان سيستمر في حبه الى الأبد • كذلك لا أوافق على الرأي الذي يقول : ليس شيء بأكثر مما ينبغي ، لأن المرء لا يمكنه أن يكره الأشرار كراهية زائدة » •

د ـ فوائد الكلام بالآراء أو الأمثال

(١٣٩٥ ب) والآراء ذات منفعة عظيمة للخطباء ، أولا لثقل السامعين وبلادتهم[١] ، فهم يسرون اذا ضرب الخطيب ، وهو يتكلم كلاما عاما ، على وتر الآراء التى يتعلقون بها • وسيتضح ما أقصده مما يلي ، كما سيبين كيف ينبغي على الانسان أن يقتنص الآراء • ان الرأي ، كما قلنا ، قضية عامة ، وتبعا لذلك فان السامعين يسرهم أن يسمعوا الفكرة التى كونوها مصوغة بعبارة عامة • فمثلا الشخص الذي له جيران سوء أو أولاد سوء سيرحب بقول من يصرح بأنه لا شيء أكثر ازعاجا من الجيران ، أو لا حماقة أشد من انجاب الأولاد • لهذا ينبغي على الخطيب أن يحاول أن يحدس كيف كون السامعون أفكارهم السابقة ، وما هي ، وأن يعبر عن نفسه بعد ذلك بعبارات عامة تتعلق بهم • وهذه احدى مزايا استعمال الآراء ، وأكبر منها أنها تجعل الخطب أخلاقية • فهي تكون كذلك اذا كان الغرض الأخلاقي واضحا • وهذا من تأثير كل الآراء ، لأن من يستعمل الآراء على نحو عام يكشف عما تفضله أخلاقنا ، فان كانت الآراء حسنة ، فانها تدل على أن الخطيب هو الآخر رجل على خلق حسن •

وحسبنا هذا فيما نود أن نقوله عن الآراء ، وطبيعتها ، وعدد أنواعها ، وكيفية استعمالها ، ومزاياها •

---

(١) أو يترجم هكذا : « لافتقار السامعين الى الثقافة والذكاء » (Cope) والكلمة اليونانية φορτικότης معناها : وقاحة ، جلافة ، غلظ .

٢٢

في الضمائر

أ ــ في الضمائر بعامة

فلنتكلم الآن في الضمائر بعامة ، وعلى أي نحو ينبغي أن تطلب ، وما هي مواضعها ، لأن كل واحد من هذه الأمور مختلف عن الآخر في النوع .

لقد قلنا فيما سلف (١) ان الضمير نوع من القياس ، وذكرنا ماذا يجعله كذلك ، وفيماذا يختلف عن الاقيسة الجدلية ، لأن النتيجة ينبغي الا تستخلص مما هو بعيد جدا ، وألا تتضمن كل خطوات الاستدلال . ففي الحالة الأولى يؤدي طولها الى الغموض ، وفي الحالة الثانية تكون مجرد ضياع للكلمات ، لأنها تقرر كثيرا من الأمور الواضحة . وهذا هو ما يجعل الجاهل أقرب الى بث الاقناع من المتعلم في حضرة الحشود ، وكما قال الشاعر (٢) :

« الجاهل أمهر في الكلام أمام الدهماء »

لأن المتعلم يستخدم المواضع المشتركة والعموميات ، بينما الجاهل يتكلم عما يعرف وما يعني السامعين أكثر . ولهذا ينبغي على المرء ألا يحاج ابتداء من كل الظنون الممكنة ، بل فقط من تلك المحددة المقر بها (١٣٩٦ أ) اما من جانب القضاة أنفسهم أو من جانب أولئك الذين يؤيدهم القضاة وأيضا ينبغي أن يكون واضحا أن هذا الظن هو ظن كل السامعين أو غالبيتهم ، وأيضا ، يجب ألا تستخلص النتائج من المقدمات الضرورية وحدها ، بل وأيضا من تلك التي هي صادقة فقط في العادة .

ويجب أولا أن يكون معلوما أنه فيما يتعلق بموضوع كلامنا أو حجاجنا ــ سواء أكان سياسيا أم كان من أي نوع آخر ــ أن نكون على علم بعناصر المسألة ، اما كلها أو بعضها ، لأنك اذا لم تعرف شيئا من هذه الأمور ، فلن يكون

---

(١) راجع م١ ف٢ ص ١٣٥٦ ب ٣ ، ١٣٥٧ أ ١٦ .

(٢) يوريفيدس : « هبولوتس » ، البيت رقم ٩٨٩ .

لديك شيء تستخلص منه نتيجة . فلو أردت مثلا أن أعرف كيف أنصح الاثينيين بالحرب أو بعدم الحرب ، فأنَّى لي ذلك اذا لم أعرف فيماذا تقوم قوتهم هل هي بحرية أو برية أو كلتاهما معا ؟ وكم مقدارها ؟ وما مصادر مواردهم ؟ ومن هم أصدقاؤهم ومن هم أعداؤهم ؟ وأيضا : أي حروب خاضوها من قبل ، ومدى نجاحهم فيها وما شابه ذلك . كذلك : كيف أمدحهم ، اذا كنت لا أعرف شيئا عن معركة سلاميس البحرية أو معركة ماراتون ، أو ما صنعوه للرقليين ، وما شابه ذلك ؟ ذلك أن الناس يؤسسون مدحهم دائما على الأفعال المجيدة فعلا أو ما يظن أنه كذلك . وبالمثل هم يقيمون نقدهم على أساس الأفعال المضادة لهذه ، فاحصين عما اذا كانت الأفعال المفقودة قد ورطتهم أو بدا أنها ورطتهم ، مثل أن الأثينيين أخضعوا اليونانيين، واستعبدوا الايجيناويين[1] والفوتدياويين الذين برزوا في القتال في صفهم ضد البرابرة ، وأمثال هذه الفعال ، وأمثالها من الاهانات التي ارتكبوها . وكذلك في الاتهام والدفاع ، يحاج الخطباء ابتداء من فحص ظروف القضية . ولا فارق في فعل هذا ، سواء تعلق الأمر بالأثينيين أو اللاقدمونيين ، بانسان أو باله . ذلك أننا حين ننصح أخيلوس ، أو نمدحه أو نذمه ، أو نتهمه أو من أجل أن نمدح أو نذم وفقا لذلك ، ان كان هناك شيء نبيل أو شائن ، ومن أجل أن ندافع أو نتهم ، ان كان هناك شيء عدل أو غير عدل ، ومن أجل أن ننصح ان كان هناك شيء نافع أو ضار . وكذلك الشأن بالنسبة الى كل موضوع أيا كان . فمثلا : بالنسبة الى العدل : هل هو حسن أو غير حسن ، ينبغي أن نفحص الأمر على ضوء ما هو مميز للعدل أو الحسن .

ولهذا فانه لما كان من الواضح أن كل الناس يسلكون هذا المسلك في البرهنة ، سواء برهنوا بدقة أو بغير احكام — (١٣٩٦ ب) ولما كانوا

---

(١) نسبة الى ايجينا Aigina : جزيرة في الخليج الساردني ، على بعد ٢٤ ميلا من بيريه . أما فوتديا Potidaia فمدينة على الطرف الشمالي من فلينة Pallene في اقليم حلقيديقية (شبه جزيرة في مقدونيا) . — راجع عن هذه الحروب ثوكيديدس : : ٢٧ ، ٧٠ ، ٤ : ٥٧ .

لايستمدون حججهم من كل الأشياء بدون تمييز ، وانما مما هو قائم في كل موضوع موضوع ، والعقل يوضح أن من المستحيل اثبات أي شيء بطريق آخر ــ فمن الضروري ، كما قلنا في « الطوبيقا »[1] أن يكون لدينا أولا عن كل موضوع طائفة من المقدمات التي تتعلق بالاحتمالات وبما هو مناسب أكثر . ونفس الطريقة في البحث ينبغي أن تستعمل فيما يتعلق بما يستعمل في الأحوال الطارئة المفاجئة ، فينبغي أن ننظر ، لا فيما هو غير محدد ، وانما فيما هو قائم في الموضوع الذي نعالجه في الخطبة ، مبرزين أكبر قدر ممكن من الوقائع ، لا سيما تلك الوثيقة الصلة بالموضوع ، لأنه كلما زاد ما لدى المرء من وقائع، كانت البرهنة أسهل عليه ، وكلما كانت أوثق ارتباطا بالموضوع، كانت أنسب وأقل شيوعا وتفاهة . وأقصد بالشائع التافه ×ocvὰ مثلا : مدح أخيلوس لأنه انسان ، أو أحد أنصاف الآلهة ، أو لأنه اشترك في الحملة ضد طروادة ، لأن هذا ينطبق على كثيرين غيره بالسواء ، حتى ان مثل هذا المدح لا يناسب أخيلوس أكثر مما يناسب ديوميدس[2] . وأقصد بالخاص : ما ينتسب الى أخيلوس وحده دون سائر الناس ، مثل أنه ذبح هكتور أشجع الطرواديين ، وكوكنوس الذي منع اليونانيين من النزول الى البر ، لأنه لم يكن قابلا لأن يجرح ، وأنه ذهب الى القتال وهو صغير جدا ، ودون أن يكون قد أقسم اليمين ، وأمثال هذه الأمور .

فاحدى طرق الاختيار اذن هي الطريقة التي تسلك سبيل المواضع ، وهي أولاها .

ب ــ عناصر الضمائر

ولنتكلم الآن في عناصر الضمائر (وبعنصر الضمير وموضعه أقصد شيئا واحدا) . لكن لنذكر أولا بعض الملاحظات الضرورية . هناك نوعان من الضمائر : الواحد برهاني ، وهو الذي يثبت أن شيئا يكون أو لا يكون ،

---

(١) م١ ف ١٤ .
(٢) كان ديوميدس Diomedes ملكا على ارجوس . وقد ابحر في حملة ضد طروادةوبصحبته ثماني سفن ، وكان بعد اخيلوس أشجع اليونانيين .

والآخر تفنيدى[1] ، ويختلف الواحد عن الآخر اختلاف التفنيد عن القياس في الديالكتيك (الجدل) ، والضمائر البرهانية تستخلص النتائج من مقدمات مقر بها ، والضمائر التفنيدية تستخلص نتائج ينكرها الخصم[2] • ونحن نعرف تقريبا كل رءوس الموضوعات الخاصة التي هي نافعة أو ضرورية ، لأن القضايا المتعلقة بكل واحد منها قد اختيرت ، بحيث أننا قررنا كل الموضوعات التي يمكن أن نستخلص منها الضمائر المتعلقة بموضوعات الخير أو الشر ، والحسن أو القبيح ، والعدل أو الجور ، والانفعالات ، والأخلاق ، والعادات• ولنحاول الآن أن نحد الموضوعات المتعلقة (١٣٩٧ أ) بالضمائر بوجه عام على نحو آخر ، مشيرين أثناء ذلك الى ما هو منها تفنيدي ، وما هو برهاني ، وموضوعات الضمائر الظاهرية ، التي ليست في الحقيقة كذلك ، لأنها ليست أقيسة • فاذا ما أوضحنا هذه ، فصلنا في مسألة الحلول والاعتراضات ، ومن أين تستقى لتفنيد الضمائر •

٢٣
مواضع الضمائر البرهانية

١ ــ فأحد المواضع في الضمائر البرهانية مستمد من الأضداد ، لأن من الضروري أن ننظر هل أحد الضدين يمكن حمله على الآخر ، كوسيلة لتحطيم حجة ، ان لم يمكن حمله ، أو وسيلة لبناء حجة ان أمكن حمله ، مثلا ضبط النفس خير ، لأن انعدام ضبط النفس ضار ، أو كما في الخطبة المسانية[3] : « واذا كانت الحرب هي علة الشرور الحاضرة ، فنحن في حاجة الى السلام لاصلاحها » •

---

(١) يترجمها المترجم العربي القديم : توبيخي •

(٢) الضمائر البرهانية تستخلص النتائج من وقائع يقر بها الخصم ، والضمائر التنفيذية تستخلص نتائج من وقائع يقر بها الخصم ، ولكه ينكر النتائج المستخلصة •

(٣) هي خطبة كتبها القيدامس سنة ٣٦٦ ق.م. يعارض بها خطبة ايسقراطيس المسماة باسم ارخيداموس archidamos . وخطبة القيدامس قيلت للدفاع عن أهل مسانا Messine

أو :

« ان كان من غير العدل ان نغضب
على من ارتكبوا الظلم بغير قصد ،
فلا يليق بنا أن نشعر بالجميل
نحو من أكره على أن يحسن الينا »[1]

أو :

« ان كان أناس ينالون الثقة لأقوالهم الكاذبة
فعليك أيضا أن تقر بالعكس :
وهو أن الناس غالبا ما لا يثقون بما هو حق »[2] .

٢ ـ وموضع آخر يستخرج من المشتقات المتشابهات ، لأن المشتقات بالطريقة عينها ـ لا بد أن تكون محمولة على الموضوع أو غير محمولة ، مثلا: العادل ليس خيرا تماما ، لأنه في هذه الحالة سيكون « الخير » محمولا على أي شيء يقع بالعدل ، لكن أن يعدم المرء بالعدل أمر ليس مرغوبا[3] .

٣ ـ وموضع آخر يستخرج من المضاف ، لأنه ان كان فعل أحدهما حسنا أو عدلا ، فان انفعال الآخر بهذا الفعل يكون بالمثل حسنا أو عدلا . ونفس العلاقة تقوم بين الأمر بشيء والامتثال لهذا الشيء ، مثلما قال ديوميدون العشار عن العشور (الضرائب) : « اذا كان البيع لا يشينكم ، فكذلك الشراء لا يشيننا »[4] . فان كان الأمر حسنا أو عدلا من المنفعل ، فهو من الفاعل

---

(١) ربما كان هذا الشعر لاجاتون .

(٢) يوريفيدس : « ثونستس » Thyestes (الشذرة رقم ٣٩٦ في T.G.F.)

(٣) معنى هذا الموضع الثاني أن ما يمكن أن يقال ، أو أن لا يقال ، على شكل مشتق للفظ ما ، يمكن أو لا يمكن أن يقال على آخر . مثلا : الكلمة : عادل . يمكنك أن تجادل في أن «عادل» لا يدل دائما على شيء نافع ومفيد ، وإلا لكانت تدل دائما على ما هو « نافع ومفيد » ، لكن ليس من المرغوب فيه أن يعدم المرء بالعدل . وإذن فليس كل ما هو عادل مفيدا نافعا .

(٤) أي إذا لم يكن ثم عار في بيع حق تحصيل الضرائب ، فلا عار أيضا في شراء هذا الحق .

أيضا كذلك ، واذا كان كذلك من الثاني ، كان أيضا من الاول • لكن قد يكون ها هنا موضع مغالطة : لأنه اذا انفعل انسان بالعدل ، فقد انفعل بالعدل، ولكن ربما لم يكن ذلك بفعل منك أنت • ولهذا يجب على المرء ان ينظر على حدة فيما اذا كان المنفعل يستحق أن ينفعل ، وفيما اذا كان من يفعل الانفعال هو الشخص الذي يحق له أن يفعل ذلك ، وان تستعمل الحجة في كلا الاتجاهين ، لأنه يوجد أحيانا اختلاف في مثل هذه الحالة ، ولا مانع يمنع من المنازعة فيها ، كما في مسرحية « القمايون » لثيودكتس :

« ألم يكن أحد من الفانين يبغض أمك (١) »

فأجاب القمايون : « علينا بالتقسيم قبل الفحص » • ولما سأله الفسيبويا: « كيف ؟ » ، أجاب :

« لقد كان قرارهم هو أنه يجب أن تموت ، لكن ليس من شأني أن أقتلها أنا »

ومثل آخر يمكن أن يؤخذ من محاكمة ديموسثانس ومن ذبحوا نيقانور (٢) ، لأنهم لما كانوا قد قرروا أنهم ذبحوه بالعدل ، فقد اعتقد أنه أعدم بالعدل • وكذلك في قضية الرجل الذى قتل في كيباس ، حين طالب المهتمون أن يفصل القضاة فيما اذا كان القتيل يستحق القتل ، فان من يستحق القتل يمكن أن يقتل ولا يكون قتله ظلما •

٤ ــ وموضع آخر مأخوذ من الأكثر والأقل • فانه اذا كان الآلهة أنفسهم لا يعرفون كل شيء ، فبالأحرى أن يكون الناس ، لأن معنى هذا هو أن الصفة

---

(١) كان ثيودكتيس Θεοδέκτης تلميذاً لافلاطون ولا يسوقراطيس ، وصديقا حميما لارسطو ، ومؤلفا لخمسين مسرحية تراجيدية ، كما ألف كتابا في فن الخطابة . وقد قتل القماون أمه واسمها اريفولي ، فقالت له زوجته الفيدويا Αλφεσίβοια ألم تكن أمك مكروهة ؟ فقال : نعم ، لكن هناك فارق : لقد قال الناس انها تستحق الموت ، لكن لا أن يكون قتلها على يدي أنا .

(٢) ربما كان المقصود هو ديموسثانس القائد الحربي . وعلى كل حال فليست لدينا أخبار عن هذه المحاكمـــة .

التي يحتمل كثيرا أن تتصف بها شيء لا يتصف بها ، فمن الواضح أنه لا يتصف بها شيء آخر احتمال اتصافه بها أقل . والقول ان من يضرب أباه يضرب جيرانه[1] أيضا ، هو مثل على القاعدة التي تقول : اذا وجد الأقل ، وجد الأكثر أيضا . ويمكن استخدام كلتا الحجتين، وفقا لكوننا نحتاج الى اثبات أن صفة مايمكن، أو لا يمكن ، أن يوصف بها الشيء . وأيضا ان لم يتعلق الأمر بمسألة الأكبر أو الأقل ، ومن هنا قيل :

« أبوك جدير بالشفقة لأنه فقد أبناءه ،

أو لا يستحق اونليوس هو الآخر الشفقة لفقده ذرية نابهة[2] ! »

وهاك أمثلة أخرى : « اذا كان ثيسيوس لم يرتكب ظلما[3] ، فكذلك الكساندروس ، واذا لم يرتكب طوندراوس ظلما ، فكذلك الكساندروس ، واذا لم يرتكب هكتور ظلما بذبحه فطروقلس ،كذلك لم يرتكب الكساندروس بذبحه أخيلوس ، واذا لم يكن أصحاب الصناعات الأخرون محتقرين ،فكذلك الفلاسفة ، واذا لم يحتقر قادة الحرب لأنهم هزموا مرارا ، فكذلك السوفسطائيون ، واذا كان خليقا بالمواطن الفرد أن يهتم بسمعتك ، فان من واجبك أنت أن تهتم بسمعة بلاد اليونان .

٥ ــ وموضع آخر يؤخذ من اعتبار الزمان . وهكذا يقول ايفقراطيس ، في خطبته ضد هرموديوس : « اذا كنت طلبت منك ، قبل القيام بشيء ، أن تعطيني التمثال في حال نجاحي ، كنت قد أعطيتنى اياه ، فهل ترفض الآن وقد

---

(١) معنى هذه العبارة هو أن الرجل الذي يضرب أباه يضرب أيضا جيرانه ، لان الناس عادة يضربون جيرانهم اكثر مما يضربون آباءهم .

(٢) من « ملياجر » المنسوبة الى انطيفوني ، حيث يقول ادنليوس لزوجته الثايا التي قتل ملياجر أخوتها فقتل ملياجر . راجع T. G. F., P. 885

(٣) باختطاف هيلانة مما سيكون سببا في حرب طروادة .

(٤) الكساندروس : باريس Pariss

نجحت فلا تعد وعدا اذا كنت تتوقع شيئا ، وتخل به حين تسلمه »[1] .
ولاقناع أهل ثيباس بالسماح لفيليب بالمرور عبر بلادهم وهو في طريقه الى اتيكا (١٣٩٨ أ) ، قيل لهم : « لو أنه طلب هذا الطلب قبل مساعدته اياهم ضد الفوكيين[2] Phcoians لكانوا قد وعدوه بذلك ، ولهذا فليس من المعقول أن يرفضوا طلبه الآن لأنه رمى بتلك الفرصة ووثق فيهم » .

٦ ــ وموضع آخر أن نرد على الخصم ما قيل ضدنا نحن ، وهذه طريقة ممتازة ، كما يشاهد في مسرحية « طويقروس »[3] ... كذلك استعمل ايفقراطس هذا الموضع ضد ارسطوفون ، حين سأله هل يخون الأسطول في مقابل رشوة ، فأجاب أرسطوفون بالنفي ، فقال له ايفقراطس : « اذا كنت أنت يا أرسطوفون لا تخونه ، فهل أفعل أنا ذلك ، أنا ايفقراطس ؟ » . لكن الخصم لا بد أن يكون شخصا يبدو من المحتمل جدا أن يرتكب جريمة ، والا لبدا مضحكا أن يستخدم المرء مثل هذه الحجة ضد خصم من نوع ارستيدس[4] مثلا ، ان هذا الموضع ينبغي ألا يستعمل الا من أجل سلب الثقة من المدعي . ذلك لأن المدعي عادة يريد أن يكون أفضل من المتهم ، ولهذا يجب دائما أن يبين أن الأمر ليس كذلك . وعلى العموم ، فمن المضحك أن يلوم انسان غيره على ما يفعله هو ، أو أن يشجع الغير على فعل ما لا يفعله هو .

٧ ــ وموضع آخر مأخوذ من التعريف . مثلا : « تعريف الجني » ٣٩٧ b بأنه ما هو الا اله أو من صنع اله ، لكن من يعتقد أنه من صنع

---

(١) شذرة من خطبة للوسياس Lysias فقد اقترح اقامة تمثال لايفقراطس القائد الاثيني الشهير تمجيدا لانتصاره على الاسبرطيين في سنة ٣٩٢ ق.م. وقد عارض في ذلك هرموديوس .

(٢) قائلو هذا القول هم سفراء فيليب إليهم .

(٣) مسرحية تراجيدية لسوفقليس . ولم يذكر ارسطو الشاهد إما لانه معروف للناس ، أو لان ها ها خرما في النص اليوناني . وطويقروس Τεῦκρος هو ابن طلامون من هيسونة ، وكان من ابرع ضاربي القوس عند اليونان وهم يهاجمون طروادة ، وهو الذي اسس مدينة سلاميس في قبرص .

(٤) هو ارستيدس Aristaides الملقب بـ « العادل » ، وكان من أثينة ، واشترك في معركة ماراثون سنة ٤٩٠ ق.م وصار ارخونا في سنة ٤٨٩ ق.م . وتوفي سنة ٤٦٨ ق.م فقيرا حتى بناته ثم ذريته من بعده كانوا يتعيشون من بيت المال .

اله لا بد أنه يعتقد في وجود آلهة [(١)] . وحين أراد ايقفراطس أن يثبت أن أحسن الناس هو أنبلهم قال انه لا يوجد أي نبل في هرموديوس وارسطوجيتون قبل أن يفعلا فعلا نبيلا ، و « أنا نفسي أقرب اليهما منكم أنتم ، وعلى كل حال فان أفعالي أقرب الى أفعالهم من أفعالكم أنتم » [(٢)] . ويمكن أن نجد مثالا آخر من « الاسكندر » : « كل امرىء يوافق على أن المقصود بالفاجرين : هم أولئك الذين لا يقنعون بالاستمتاع بامرأة واحدة » [(٣)] . ومثال آخر يوجد في السبب الذي قدمه سقراط تبريرا لعدم ذهابه الى بلاط ارخلاوس ، حين قال ان من الشائن أن يكون المرء في وضع لا يمكنه من أن يرد جميلا أو أن ينتقم من اهانة [(٤)] . وفي جميع الأمثلة السابقة تستخلص النتائج المتعلقة بالموضوع بناء على التعريف وعلى المعنى الجوهري الموجود فيه .

٨ ــ وموضع آخر يؤخذ من المعاني المختلفة للفظ ، كما هو مشروح في كتاب « الطوبيقا » حيث ناقشنا الاستعمال الصحيح لهذه الألفاظ [(٥)] .

٩ ــ وموضع آخر يؤخذ من التقسيم . مثلا : « ها هنا دائما ثلاثة دواع

---

(١) الاشارة هنا الى سقراط الذي كان يزعم أن ثم جنيا كان يراقب أعماله . فلما اتهم بانه لا يؤمن بوجود آلهة ، أثبت ، بتعريفه للجني أنه ليس ملحدا . راجع محاورة « الدفاع » لافلاطون ص ٢٧ د ــ هـ .

(٢) « خطب » لوسياس ، الخطبة رقم ١٨ ، الشذرة رقم ٢ .

(٣) ربما كان هذا النص فقرة من خطبة كتبها فولوقراطس دفاعا عن الكسندر (= باريس) . راجع Baiter — Sauppe, Or. Att., p. 223 . ففي وسع باريس أن يقول في الدفاع عن نفسه إنه ليس فاجرا ، بدليل أنه كان قانعا بهيلانة وحدها .

(٤) رفض سقراط تلبية دعوة من ارخلاوس ، ملك مقدونيا ، بحجة أنه لن يكون قادرا على رد الجميل الذي سيلقاه منه ، وهذا سيؤدي الى الشعور بالخجل مما يجعل الدعوة نوعا من الاهانة . راجع اكسينوفون : « الدفاع عن سقراط » : ١٧ ، ذيوجانس اللائرسي : (حياة الفلاسفة) ٢ : ٥ : ٢٥ .

(٥) قارن « الطوبيقا » م١ ف ١٥ ، م٢ ف٢ . لكن الرواية الأصلية للنص اليوناني هي : « فيما يتعلق باستعمال كلمة ὀρθῶς (= صوابا) » . لكن لا يوجد بحث في استعمال هذه الكلمة ὀρθῶς في « الطوبيقا » (م١ ف١٥) بحسب النص الوارد لنا . لهذا اقترح بعض المحققين تصحيح النص كي يصبح معناه بحسب الترجمة التي أوردناها هنا .

لارتكاب الظلم ، اثنان منها يستبعدان بوصفهما محالين ، والثالث لا يقره حتى المدعون أنفسهم » .

١٠ ــ وموضع آخر يؤخذ من الاستقراء . مثلا : من مسألة زوجة ففريثوس يحتج على أنه في أمور القرابة النسوة يميزن الحقيقة دائما . (١٣٩٨ ب) وبالمثل فانه في أثينا حين كان منتياس في نزاع مع ابنه ، أعلنت الأم الحقيقة . وفي ثيباس لما كان اسمنياس Ismenias واستلبون Stilbon يتنازعان حول ولد ، قررت دودنيس Dodonis أن اسمنياس هو أبوه ، وهكذا عد ثتيالسكوس Thetealiscus ابنا لاسمنياس . وثم مثال آخر نجده في شريعة ثيودكتس Theodectes هو : « ما دمنا لا نكل أفراسنا الى من أهملوا أفراس الآخرين ، ولا سفننا الى من جندلوا سفن الآخرين ، فينبغي علينا في جميع الأحوال ألا نكل سلامتنا الى من لم يفلحوا في الحفاظ على سلامة الآخرين » . كذلك ، حين أراد القيداماس أن يثبت أن العباقرة مكرمون في كل مكان ، قال : « ن الفاريين Πάριοι كرموا ارخيلوخس Ἀρχίλοχος على الرغم من سلاطة لسانه ، وأهل خيوس كرموا هوميروس ، على الرغم من أنه لم يسد خدمات عامة ، وأهل موتلينا Μυτιληναῖοι كرموا سافو Σαπφώ ، بالرغم من أنها امرأة ، واللاقديمونيون وهم قوم لا يحبون العلم انتخبوا خيلون Χίλων عضوا في مجلس شيوخهم ، والايطاليون Ἰταλιῶται كرموا فوتاغورس ، واللميساكيون دفنوا

---

(١) كان لمنتياس Mantias ولد شرعي واحد هو منتيثيوس Mantitheus وولدان غير شرعيين من امرأة تدعى فلنجون Plangon . وقد رفض منتياس في البداية ان يعترف بهذين الولدين الأخيرين على أنهما ولداه ، الى ان قررت الأم انهما كذلك .

(٢) أو : امرأة دودونا Dolona

(٣) وفي قراءة اخرى πολίτην : « على الرغم من انه لم يكن مواطنا لهم » . لكن يلاحظ أن جزيرة خيوس كانت من المواضع التي زعم أنها مولد هوميروس .

(٤) Λαμψακηνοί وانا كساغوراس Ἀναξαγόρας الفيلسوف اينهاني ، ولد في اقلازومان حوالي سنة ٥٠٠ ق.م. وبعد اقامة دامت ثلاثين سنة في أثينا ، اتهم بالالحاد وكاد أن يحكم عليه بالاعدام لولا فصاحة بركليس في الدفاع عنه . فلجأ الى لمبساكوس حيث توفي في سنة ٤٢٨ ق. م .

أناكساغوراس ، رغم أنه كان أجنبيا عن بلدهم ، ولا يزالون يكـرمونه (٠٠٠)[١] « ويمكن أن يحتج بأن الشعوب التي كان الفلاسفة هم مشرعيها كانت دائما مزدهرة » على أســاس أن الاثينيين ازدهروا تحت شريعة سـولون ، واللاقدامونيون تحت شريعة لوكرجس ، وفي ثيبا منذ أن صار القادة فلاسفة بدأت البلد في الازدهار والسعادة .

١١ ـ وموضع آخر يؤخذ من حكم سابق بالنسبة الى نفس المسألة أو مسألة شبيهة بها أو مضادة لها ، لا سيما اذا كان الحكم قد صدر بالاجمـاع أو كان هو هو في كل الأزمان ، والا فحين يكون حكم الأغلبية على الأقل ، أو حكم العقلاء ، كلهم أو جلهم ، أو حكم الأخيار ، أو كان حكما صادرا عن نفس القضاة ، أو عن أولئك[٣] الذين يقر بهم هؤلاء القضاة ، أو عمن لا يمكـن مناقضتهم ، مثل أولئك الذين في السلطة العليا ، أو عمن لا يليق مناقضـتهم ، مثل الآلهة ، أو الأب ، أو المعلمين ، كما قال اوطقلس[٤] في هجـومه عـلى مكسيدميدس : « اذا كانت الآلهات الرهيبة قد رضيت بالمثول للمحاكمة أمام محكمة الاريوفاغس ، أليس بالأحرى أن يحاكم أمامها مكسيدميدس » أو كما قالت سافو : « الموت شر ، هكذا قرر الآلهة ، والا لماتوا هم أيضـا » . أو كما قال ارسطيفوس[٥] ، حين ظن أن أفلاطون قد عبر عن نفسه بادعـاء

---

(١) يبدو أن ها هنا خرما في الأصل اليوناني ، إذ ما يرد بعد ذلك قصد به الى اثبات ان خيرمن يحكمون الدولة هم الفلاسفة . ولهذا يفترض البعض أن النقص هو ما اوردناه هنا بين هلالين

(٢) افامينونداس وفيلوفيداس Epaminondas, Pelopidas والنص اليوناني كما ترى ، وكان الأحرى أن تكون العبارة هكذا : « منذ أن تولى الفلاسفة مقاليد الأمور » .

(٣) مثل الأحكام الصادرة عن محكمة النقض بالنسبة الى قضاة درجات التقاضي الأدنى منها ، الآن .

(٤) كان سفيرا لأثينا لدى اسبرطة (سنة ٣٧١ ق. م.) وهاجم سياسة اسبرطة العدوانية . وخلاصة حجته هي انه اذا كان اليومنيدات Eumenides وهم آلهات الانتقام عند اسخولوس قد قبلن المثول للمحاكمة أمام الاريوفاغس Areopagus (محكمـة أثينا) كما وردعند سخولوس ، فكم بالأحرى يجب على مكسيدميدس أن يمثل أمام الاريوناغس لجريمة ارتكبها .

(٥) Aristippus مؤسس المدرسة القورنائية القائلة بمذهب اللذة ، ولد في قورينا حوالي سنة ٤٣٥ ق. م. ، وجاء في شبابه الى أثينا حيث تتلمذ على سقراط ، وبعد وفاة سقراط فى سنة ٣٩٩ ق.م. عاد الى قورينا (مدينة شحات الحالية في برقة بليبيا) . راجع عنه كتابنا « المدرسة القورينائية » بنغازي سنة ١٩٦٩ .

مفرط : « على كل حال لم يتكلم صديقنا هكذا أبدا » ، مشيرا الى سقراط . وهجاسيفوس[(١)] Ἡγησίππος بعد أن استخار الوحي في أولومبيا ، سأل الاله في دلف هل رأيه هو رأى أبيه ، ويقصد بذلك أنه سيكون من الشائن أن يناقض أباه . (١٣٩٩ أ) وهيلانة كانت امرأة فاضلة ، هكذا كتب ايسقراطيس ، لأن ثيسيوس حكم عليها كذلك ، ونفس الأمر ينطبق على الكسندر (باريس) ، الذي فضلته الآلهات على الآخرين . وأوياجورس[(٢)] Εὐαγόρας كان فاضلا ، حسبما يقول ايسقراطيس ، لأن قونون Κόνων وهو في بلائه استنجد به قبل أي انسان آخر .

١٢ ـ وموضع آخر يؤخذ من تعداد الأجزاء ، كما في كتاب «الطوبيقا»: النفس هي أي نوع من أنواع الحركة ؟ لأنها لابد أن تكون الواحد أو الآخر[(٣)] . وثم شاهد على هذا في « سقراط » تأليف ثيودكتس[(٤)] : « أي مكان مقدس دنسه وأي آلهة تؤمن بها المدينة أهمل ،في تكريمها ؟ »

١٣ ـ ولما كان الشيء الواحد ، في الأمور الانسانية ، يصحب بنتيجة سيئة أو حسنة ، فثم موضع آخر يقوم في استخدام النتيجة من أجل الحث أو النهي ، الاتهام أو الدفاع ، المدح أو الذم . مثلا التعليم مصحوب بشر

---

(١) وردت حكاية كهذه في كتاب « اليونانيات » **Hellenica** لاكسينوفون (٤ : ٧ : ٢) عن شخص يدعى اجيسبولس Agesipolis ، أحد ملوك اسبرطة .

(٢) لما انهزم قونون ، القائد الأثيني ، في معركة ايجوسبوتمي Aegospotami (سنة ٤٠٥ ق. م) خاف على حياته ، فلجا الى اوياجورس ملك قبرص . وهذا دليل ــ في رأي أرسطو على طيبة اوياجورس وكرم أخلاقه .

(٣) اذا كان الجنس يمكن أن يحمل على موضوع ما ، فان احد الانواع المتدرجة تحته يمكن ان يحمل على هذا الموضوع . فان قلنا إن النفس تتحرك ، فينبغي أن نبحث باي نوع من أنواع الحركة الاربعة (الزيادة والنقصان ، الكون والفساد النقلة ، الاستحالة) تتحرك النفس . فان لم يتيسر هذا كانت صفة الجنس غير قابلة للتطبيق ، وبهذا تفند القضية . ــ راجع « الطوبيقا » م٢ ف٤ ، م٤ ف١ .

(٤) راجع
Baiter - Sauppe : **Or. Att.**, Pt. ii, p. 247 (Theodectes Σωκράτους Ἀπολογία fragm. 1).

الحسد ، وبخير الحكمة ، ولذا ينبغي ألا تتعلم لأننا يجب أن تتجنب أن نحسد، لا بل يجب أن تتعلم ، لأنه ينبغي علينا أن نكون حكماء • وهذا الموضع هو بعينه « فن » كليفوس ، اذا أدخلت أيضا موضوع الممكن والموضوعات الأخرى التي ذكرناها •

١٤ ــ وموضوع آخر يمكن استخدامه اذا كان من الضروري الحث أو النهي فيما يتعلق بمتضادين ، وعلى المرء أن يستخدم المنهج الذي تقرر سابقا في حالة كليهما • مع هذا الفارق ، هو أنه في الحالة السابقة الأمور من أي نوع كان متقابلة ، وفي الحالة الأخيرة متضادة • مثلا : رفضت كاهنة أن تسمح لابنها بأن يخطب خطبة عامة ، وقالت : « لأنك اذا قلت ما هو عدل ، فالناس سيكرهونك ، واذا قلت ما ليس بعدل ، فالآلهة سيكرهونك » • ومن ناحية أخرى : « يجب عليك أن تخطب خطبة عامة ، لأنك اذا قلت ما هو عدل، فان الآلهة ستحبك ، واذا قلت ما ليس بعدل ، فالناس سيحبونك » • وهذا يشبه المثل الذي يقول : « يشتري المستنقع مع الملح »(١)• ورد الاحراج على صاحبه يتم اذا كان هناك أمران متقابلان ، وينتج عن كليهما خير وشر ، والخير والشر متقابلان مثل الأشياء نفسها •

١٥ ــ ثم انه لما كان الناس لا يمتدحون نفس الأشياء علانية وسرا ، وانما علانية يمتدحون خصوصا ما هو عدل وجميل ، وسرا يمتدحون بالأحرى ويرغبون فيما هو نافع ، فثم موضع آخر يقوم في محاولة استنتاج المقابل من قضية أو أخرى من هذه القضايا (٢) • وهذا الموضع هو أرجح المواضع التي

---

(١) أي السيء مع الحسن ، الشر مع الخير . والمترجم العربي القديم (ص ١٦٢ س١) يترجم هكذا : «ليشتر الأرض بما فيها » .

(٢) « كقول القائل : ينبغي أن نموت كراما دون أن نحيا حياة دنيئة ، والمسكنة مع العدل خير من الغنى مع الجور والظلم ، فقد يلفظون بما يحسن مخرجه يريدون في أنفسهم ضد ذلك فمن كان كلامه على الصعيد الخفي في النفس فلينقد الى الظاهر في القول من محمود اللفظ ، ومن كان كلامه على المحمود مما ظهر فليات الى الخفي من الضمير : فالشنعة في القول والذم قد تلزم باضطرار » («السوفسطيقا» نقل قديم ١٧٣ ا ــ ٦ ، الترجمة العربية القديمة فى كتابنا : « منطق أرسطو » حـ٢ ص ٨٦٥ ، القاهرة سنة ١٩٥٢) .

تتعلق بالمفارقات **Paradoxes** .

١٦ ــ وموضع آخر مأخوذ من التناظر بين الأشياء . مثال ذلك : حينما حاولوا ارغام ابن ايفقراطس على القيام بالخدمة العامة لأنه كان طويلا ، بالرغم من ان سنه كانت دون السن القانونية ، قال ايفقراطس : اذا اعتبرتم الصبية الطوال رجالا ، فيجب عليكم أن تعتبروا الرجال القصار صبية (١) . وبالمثل يقول ثيودكتس في « قانونه » : (١٣٩٩ ب) « انكم تجعلون من أجرائكم ، مثل استراباكا وخريديموس ، مواطنين ، نظرا لفضلهم ، أفلا تنفون من منهم ارتكبوا فواحش لا علاج لها (٢) .

١٧ ــ وموضع آخر يقوم في استنتاج الهوية في المقدمات من الهوية في النتائج وعلى هذا النحو قال اكسينوفانس (٣) . « القول بأن الآلهة مولودون فيه من الكفر مثلما في القول بأنهم يموتون، اذ النتيجة في كلتا الحالتين هي أنهم في وقت أو في آخر غير موجودين » . وبقول عام، يمكن المرء أن يعتبر النتائج الناجمة عن أحد شيئين واحدة: « أنتم بسبيل أن تحكموا، لا على ايسقراطيس وحده ، بل على التعليم بوجه عام، هل من الصواب دراسة الفلسفة » (٤) . و « واعطاء الأرض والماء عبودية » و « الدخول في السلام (٥) المشترك يتضمن اطاعة الأوامر » . فمن بين طرفي المنفصلة عليك أن تأخذ ما هو نافع .

١٨ ــ وموضع آخر مأخوذ من كون نفس الناس لا يختارون دائما نفس الشيء قبل وبعد ، وانما يختارون العكس . والضمير التالي شاهد على هذا : « اذا كنا ونحن في المنفى قاتلنا من أجل العودة الى وطننا ، فسيكون من العجيب ، الآن وقد عدنا أن نرجع الى المنفى لنتجنب القتال ! » (٦) وهذا

(١) راجع في Baiter-Sauppe : OR ATT., Pt.ii, p. 219

(٢) يقال إن هذا « القانون » كان عبارة عن خطبة تدور حول الوضع القانوني للأجراء . وقد سبق الاشارة إليه في ص ١٣٩٨ ب ٦ .

(٣) راجع ديلز : « شذرات السابقين على سقراط » حـ١ ص ٤٣ ــ ٤٤ ، ط٢ .

(٤) ايسقراطيس : antidosis ١٧٣ .

(٥) الصلح الذي انعقد بين اليونانيين وبين الاسكندر الأكبر بعد وفاة فيليب المقدوني سنة ٣٣٦ ق.م.

(٦) لوسياس : الخطبة رقم ٣٤ : ١١ .

معناه أنهم فضلوا التمسك بالوطن ولو بالقتال ، وتجنب القتال ولو بالتخلي عن الوطن •

١٩ ــ وموضع آخر يقوم في القول بأن داعيا ممكنا لحادث ما أو حالة ما هو الداعي الحقيقي ، مثلا : أن هدية أعطيت من أجل احداث الأذى بسحبها • وهذه الفكرة معبر عنها في الأبيات التالية :

« ليس من قبيل الاحسان منحت الألوهية
كثيرا من النعم لكثير من الناس ، ولكن
لتبرز المصائب (التي تقع لهم) بشكل أشد » (١)
وهذه الأبيات من « ملياجروس » لأنطيفون :

« لا من أجل ذبح الوحش ، بل ليكونوا شهودا عند اليونان على شجاعة ملياجروس » (٢)

وكذلك الملاحظة التالية المأخوذة من «أياس» لثيودكتس وهي أن ديوميدس أختار أودسيوس على الآخرين جميعا ، لا تكريما له ، ولكن ليكون صاحبه أدنى منه وأقل ، فربما كان ذلك هو السبب •

٢٠ ــ وموضع آخر مشترك بين الخطابة القضائية (المشاجرية) وبين الخطابة المشورية يقوم في الفحص عما هو حاث وما هو مانع ، والأسباب التي تجعل الناس تفعل أو لاتفعل • وهذه هي الأسباب التي تدعونا الى الفعل ، اذا وجدت ، والى عدم الفعل اذا لم توجد ، مثلا : اذا كان الأمر ممكنا ، سهلا ، أو نافعا لنا أو لأصدقائنا، أو اذا كان العقاب أقل من المكسب • فلهذه الأسباب

---

(١) لا يعرف من قائل هذه الأبيات .
(٢) الشذرة رقم ٢ راجع T.G.F. p. 792 وملياجروس هو احد الارجونوت . وكان ابنا لاوتيوس ملك قاليدون في الاساطير اليونانية . ولما اهمل أوتيوس في تقديم القرابين الى الالاهة أرتميس عاقبه بارسال دب هائل لتخريب مملكته . فجمع ابنه ملياجروس عصابة من الصيادين من كل بلاد اليونان ، وذبح هذا الوحش .
(٣) « الالياذة » ١. ٢١٨ : ، T.G.F., p. 80

نحن نحث ، وكذلك نحن نمنع من أضدادها • ولنفس الأسباب (١٤٠٠ أ) نحن نتهم وندافع لأن ما ينهي يفيد في الدفاع (١) ، وما يحث يفيد في الاتهام• وهذا الموضع ينتظم كل « فن » بامفيلوس Pamphilus وكاليبوس Callippus

٢١ ــ وموضع آخر يؤخذ من الأمور التي يفترض حدوثها ومع ذلك يبدو أنها لا تقبل التصديق •فنحتج بأن الناس ما كانوا ليعتقدوها ، اذا لم تكن صادقة أو صادقة تقريبا : بل ان من المحتمل جدا أن تكون صادقة لأنها غير قابلة للتصديق • لأن الامور التي يعتقدها الناس هي اما وقائع أو احتمالات : فاذا كان الشيء الذي يعتقد فيه فعلاوهو غيرمحتمل ولا قابل للتصديق فانه صادق لا محالة ، ما دام من المؤكد أنه لا يعتقد فيه لانه محتمل او قابل للتصديق •ومن الأمثلة على ذلك أن اندروقليس الذي من بتثوس Pitthus قال في طعنه المشهور على القانون : « ان القوانين تحتاج الى قانون لاصلاحها » فصرخ السامعون فيه ، فاستمر قائلا : « ماذا!ان السمك يحتاج الى الملح ، على الرغم مما يبدو في هذا عدم احتمال ولا اعتقاد بالنسبة الى كائنات تربت في الماء الملح، وأيضا كعك الزيتون (٣) يحتاج الى زيت، وان كان من غير المصدق أن ما ينتج الزيت يحتاج هو نفسه الى زيت » •

٢٢ ــ وموضع آخر مناسب للتفنيد (للتبكيت) يقوم في البحث عن التناقض سواء في التواريخ ، والأفعال ، والأقوال ، أولا : بالنسبة الى الخصم، مثلا : « يقول انه يحبك ، ومع ذلك فقد تآمر مع الثلاثين »، وبعد ذلك بالنسبة الى حالتك أنت : « يقول انني أحب المشاغبات امام المحاكم ، لكنه لا يستطيع أن يثبت أنني رفعت قضية ضد أحد من الناس » ، وأخيرا بالنسبة الى خصمك واليك أنت معا : « انه لم يقرض فلسا لأحد ، لكني أنا دفعت فدية لكثيرين منكم » •

---

(١) ببيان ما يحتمل ان يمنع الانسان من ارتكاب جريمة ما ، وبالعكس .

(٢) يمكن صياغة هذه الحجة هكذا : نحن نسلم بما هو كائن فعلا ، أو بما هو محتمل ، فاننا نفترض أنه ما كان ليقال لو لم يكن صادقا .

(٣) كعك مصنوع من زيتون مجفف .

٢٣ ـ وموضع آخر ، حين الأفتراء على الناس او الاشياء ، في الواقع أو في الظاهر ، يقوم في بيان السبب في الرأي الزائف ، لانه لابد ان هناك سببا لافتراض الذنب . مثلا : عانقت امرأة ابنها بشكل يدعو الى الظن أن بينهما علاقة غير مشروعة ، لكن اذا شرح السبب بطلت الفرية . وايضا في «أياس» لثيودكتس نرى أودسيوس يشرح لأياس السبب في أنه ، على الرغم من أنه في الواقع أشجع من أياس ، فانه ليس معدودا كذلك .

٢٤ ـ وموضع آخر مأخوذ من العلة : اذا وجدت العلة ، وجد المعلول ، واذا لم توجد العلة ، لم يوجد المعلول ، لأن المعلول يوجد مع العلة ، وبدون العلة لا يوجد شيء . مثلا : ليودامس Λεωδάμας ،وهو يدافع عن نفسه ضد اتهام تراسوبولس Θρασύβουλος له بأن اسمه كان منقوشا في السجل القائم على الاكروبولس لكنه محاه في عهد « الثلاثين » ، رد بأن هذا مستحيل ، لأن « الثلاثين » كانوا سيكونون آكثر ثقة به لو كان بغضه للشعب منقوشا على الحجر .[1]

٢٥ ـ وموضع آخر يقوم في الفحص عما اذا كان هناك مسلك آخر أفضل مما نصح به ، أو مما جرى أو يجري العمل به . (١٤٠٠ ب) اذ من الواضح أنه اذا لم يحدث هذا ، فان الشخص لم يرتكب الفعل[2] ، لأن الانسان لا يختار المسلك الأسوأ عمدا وعن علم . ومع ذلك ، فان هذه الحجة قد تكون فاسدة ، اذ كثيرا ما لا يتبين ما هو المسلك الأحسن الا بآخَرَةٍ ، ولا يكون الأمر واضحا بيقين في وقت سلوكه .

---

(١) كانت أسماء الخونة تنقش على عمود من البرونز قائم على تل الاكروبولس في أثينا . وكان ليودامس من المدافعين عن حكم الأقلية ، بينما ثراسوبولس كان من أنصار الحزب الديمقراطي . وقد اتهم ثراسوبولس ليودامس بانه محا اسمه من ذلك العمود لما كان حزبه في الحكم ، فاجاب ليودامس بانه لو كان اسمه منقوشا على العمود بوصفه عدوا للشعب ومبغضا للديمقراطية ، لكان قد فضل أن يبقى النقش ، لان ذلك كان من شانه أن يزيد ثقة الثلاثين به ، بالرغم من أنه يدينه بالخيانة . « والثلاثون » أو « الطغاة الثلاثون » كونوا حكومة اقلية مؤلفة من ثلاثين عضوا فرضت نفسها على أهل أثينة بعد استيلاء لوساندر على أثينا في سنة ٤٠٤ ق.م. ، وكانوا شديدي القسوة . راجع أرسطو : « دستور أثينا » ٣٥ ـ ٣٨ .

(٢) إذا كان الشخص لم يسلك المسلك الأفضل ، حين كانت لديه الفرصة لذلك ، فلا يمكن أن يكون مذنبا ، لأن الانسان لا يسلك المسلك الأسوأ بإرادته وفي علمه بوجود مسلك أحسن .

٢٦ ــ وموضع آخر اذا كان شيء مضاد لما فُعِل هو على وشك أن يُفعَل، ويقوم هذا الموضع في الفحص عن كليهما معا • مثلا : حين سأل أهل اليا اكسينوفانس هل يجب عليهم أن يذبحوا الذبائح وينشدوا المراثي للويقوثيا[١] ، أو ألا يفعلوا ذلك ، فنصحهم قائلا انهم اذا كانوا يؤمنون أنها الآلهة، فيجب عليهم أن ينشدوا المراثي ، وان اعتقدوا أنها كائن فان ، فيجب عليهم ألا يذبحوا لها الذبائح •

٢٧ ــ وموضع آخر يقوم في استخدام الأخطاء التي ارتكبت ، من أجل الاتهام أو الدفاع • مثلا : في مسرحية « ميديا » تأليف قرقينوس[٢] يتهم البعض ميديا بأنها قتلت أولادها ، وهم على كل حال قد اختفوا ، وذلك لأنها أخطأت بأن بعثت بهم بعيدا • فدافعت ميديا عن نفسها قائلة انها كانت لتذبح زوجها ، لا أولادها ، لأنها كانت ستكون غلطة منها لو أنها ذبحت أولادها ، ولم تذبح زوجها • وهذا الموضع وهذا النوع من الضمير هو موضوع كل « الفن » الأولى[٣] تأليف ثيودورس •

٢٨ ــ وموضع آخر يؤخذ من معنى الاسم العلم : مثلا : سوفقليس يقول : « أنت حقا جديد ، مثل اسمك »[٤].

وهذا الموضع كثيرا ما يستخدم في حمد الآلهة • فقونون اعتاد أن يدعو

---

(١) لويقيثيا Λευκοθεα هو اسم اينو Jno مؤلهة . وكانت بنت لقادموس ، وزوجة لأثماس Athamas ملك ثيبا . وقد أصيب هذا بالجنون ، فأرادت النجاة منه ، فالقت بنفسها فى البحر ومعها رضيعها مليكرتس . وكلاهما صار إلهاً بحريا .

(٢) شاعر مؤلف لتراجيديات ، كان معاصراً لارسطوناتس . راجع T.G.F., p. 798

(٣) يقصد النص الذي نشره أولا « لفنه » .

(٤) سوفقليس : Tyro ، الشذرة رقم ٥٩٧ في T.G.F. والكلام موجه الى سديرو sidero وهو ماخوذ من σιδηρος : حديد . وكان زوجاً لأم تورو Tyro . والاشارة هي الى قسوة امرأة أبي تورو عليه .

ثراسوبولس : « الرجل الجريء على النصيحة » . وهيروديكوس قال لتراسو ماخوس : « أنت جريء في القتال » ، ولفولس : « أنت دائما فولس Πῶλος بالاسم و Πῶλος (مهر) بالطبيعة » ، وقال عن دراكون المشرع ان قوانينه ليست قوانين انسان ، بل قوانين تنين ، لأنها كانت قاسية جدا . وهكاتيه في مسرحية بوريفيدس تقول ما يلي(٢) عن آفروديت :

« وبحق يبدأ اسم الآلهة كما تبدأ الكلمة أفروسونه ἀφροσύνη (= الجنون) » .

وخيريمون(٣) يقول عن بنثيوس :

« سمي Πενθεύς (من πένθος الحزن ، الحداد) تبعا لمستقبله الشقي »

والضمائر التي تفيد في التفنيد أكثر من تلك التي تفيد في البرهنة ، لأن الأولى تنتيجة لمتقابلات في نطاق صغير ، والأشياء الموضوع بعضها الى جنب بعض هي دائما أوضح عند السامعين . والأقيسة ، سواء منها التفنيدية أو البرهانية ، أحراها بالتقدير هي تلك التي يحزر السامعون نتائجها حالما تبدأ ، لا لأنها سطحية (لانهم حين يسمعونها يهنئون أنفسهم على استباق النتيجة) ، وأيضا تلك التي يتابعها السامعون عن قرب جدا حتى انهم يدركون المقصود حالما ينطق بآخر كلمة .

---

(١) أسماء الاعدم الواردة هنا لها معان لغوية على النحو التالي :

Θρασύβουλος = θρασυς جسور ، جريء βουλή نصيحة .

Θρασύμαχος = جرى في القتال .

Πῶλος = مهر ، فرس شاب .

Δράκων = تنين ، دراكون (حيوان خرافي) .

(٢) يوريفيدس : Troades ٩٩٠ .

(٣) شاعر مآسي من القرن الرابع (راجع كتاب « الشعر » لارسطو ١٤٤٧ ب ٤) .

٢٤
مواضع الضمـــائر الظاهرة

لكن لما كان من الممكن أ نيكون بعض الاقيسة حقيقيا ، والبعض الآخر ليس حقيقيا بل ظاهري فحسب ، فلا بد أن يكون هناك ضمائرحقيقية وأخرى ظاهرية ، اذ الضمير نوع من القياس .

١ ــ وأحد مواضع الضمائر الظاهرية هو القول (١٤٠١ أ) ، وهو على نوعين :

(أ) الأول ، كما في « الجدل » يقوم في الانتهاء الى تتيجة يعبر عنهـا بالقياس ، بالرغم من أنه لم يكن هناك عملية قياس : « اذن هو ليس هذا ولا ذاك » ، « اذن يجب أن يكون هذا أو ذاك » ، وبالمثل في الحجج الخطابية يفترض في القضية الموجزة المتضادة أنها ضمير ، لأن مثل هذا الأسلوب يبدو أنه يحتوي على ضمير حقيقي . وهذه الأغلوطة يظهر أنها نتيجة لشكل التعبير، فلاستعمال القول (λέξις) لخلق انطباع بوجود برهنة قياسية من المفيد أن نقرر رءوس كثير من الأقيسة : « أنقذ البعض ، وأنتقم لأخرين ، وحـرر اليونانين »[1] ، لأن كل قضية من هذه القضايا قد برهن عليها بغيرها ، لكن اجتماعها معا يظهر أنه يزود بنتيجة جديدة .

(ب) والثاني من نوعي مغالطة القول هو الاشتراك في معنى اللفظ ، مثلا: اذا أراد المرء أن يقول ان الفأر (μῦς) حيوان مهم ، اذ منه اشتق أجل الأعياد الدينية وهو « الأسرار » (μυστήρια) ، أو اذا أراد المرء أن يمدح الكلب في السماء (κύων) أو بأن (Πᾶν) ، لأن فندارس قال :

---

(١) ايسقراطيس : « اوياجوراس » Evagarus ٦٥ ــ ٦٩ .
(٢) وذلك باشتقاق μυστήρια (وهي μυστήριον يخلق الشفاء) من μῦς « فار » .

« أيها المبارك ، يا من يسميك الأولمبيون
كلب الأم الكبرى ، يا من تتخذ كل شكل »(١)

أو نقول ان الكلب حيوان شريف ، لأن من الشائن جدا ألا يكون عند المرء كلب • أو نقول ان هرمس أكثر الألهة معاشرة ، لأنه الوحيد الذي ينعت بأنه مشترك(٢) • أو أن الكلمات عظيمة جدا ، لأن الناس الأخيار يعتبرون جديرين لا بالثروات بل بالتقدير ، لان λόγος لها معنى مزدوج(٣)

٢ ـ ومغالطة أخرى تقوم في مزج ما هو مقسم، أو تقسيم ما هو ممزوج ذلك أن الشيء المخالف لشيء آخر كثيرا ما يبدو أنه هو هو ، ولذا يستطيع المرء أن يتخذ البديل الأنسب • مثال ذلك حجة اويثوديموس Euthydemus التي ساقها لأثبات أن المرء يعرف أنه توجد سفينة ذات ثلاثة مجاديف في ميناء بيرية ، لأنه يعرف بوجود شيئين : بيرية ، والسفينة ذات الثلاثة مجاديف ، ومثال آخر ، اذا عرف المرء الحروف ، عرف أيضا الكلمة المركبة منها ، لأن الكلمة والحروف شيء واحد • وكذلك ، لما كان الضعف لشيء غير سليم ، فيمكن المرء أن يقرر أن المقدار الأصلي ليس أيضا سليما ، اذ من غير المعقول أن يكون النصفان منفصلين شيئا حسنا ، واذا مزجا صارا شيئا قبيحا • وعلى هذا النحو يمكن استخدام الحجة للتفنيد ، وعلى نحو آخر للاثبات ، لو قال

---

(١) شذرة من Parthemia (وهي أغان تنشدها الفتيات بمصاحبة الناي) . وبان Pan يدعى « كلب قوباله Cybale » ، وقوبالة هي إلاهة الطبيعة الكبرى عند اليونان ، وذلك لانه يصحبها دائما ، وهو نفسه إله للطبيعة . فكون فندارس Pindarus يلقب بان بـ « الكلب » هو تمجيد لهذا الحيوان . ـ فندارس : الشذوة رقم ٩٦ في T. Bergk : Poetae Lyrici

(٢) العبارة κοινὸς Ἑρμῆς معناها : « النصف بالنصف » أو «مناصفة » وتقال حين العثور على مال أو كيس نقود صدفة فيقول الواحد لصاحبه : « النصف بالنصف » أي لنتقاسم اللقطة بالنصف . وكان هرمس هو إله الحظ والبخت السعيد ، واللقطة كانت تسمى ἕρμαιον (= هرمسية) . وكلمة κοινωνικός ذات معنيين : (أ) سخي على الآخرين ، أو (ب) حسن المعشر ، محب للعشرة

(٣) كلمة λόγος لها عدة معان ، منها : «ا» الكلمة ، الكلام ، «ب» الحساب ، التقدير .

المرء ان الشيء الواحد الحسن لا يصنع شيئين قبيحين . لكن الموضع كله مغالطة . ويمكن الاستشهاد بما قاله فولوقراطس عن تراسوبولس وهو أنه أسقط حكم ثلاتين طاغية[1] ، لانه هنا يجمع بينهم ، أو بمثال المغالطة في « أورسطس » تيودكتس[2] : « من العدل أن المرأة التي قتلت زوجها » تعدم ، وأن الابن ينتقم لقتل أبيه ، وهذا هو ما وقع بالفعل . لكن لو مزجت معا ، فربما لم يعد الفعل عادلا . (١٤٠١ ب) ومثل هذا يمكن أن يعد شاهدا على مغالطة الاغفال ، لأن اسم من يجب أن يقوم باعدام المرأة لم يذكر .

٣ ـ وموضع آخر هو البناء أو الهدم بالمبالغة ، وهو يحدث حين يبالغ المتكلم في الواقعة المفترضة ، دون أن يثبت أن ثمة جريمة ارتكبت فعلا ، لأن هذا يجعلها تبدو اما أن المتهم ليس مذنبا ، اذا كان هو نفسه يبالغ فيها ، أو أنه مذنب ، حين يكون المدعي هو نفسه في حالة غضب . ولهذا ليس ثم ضمير ، لأن السامع يستنتج خطأ ان المتهم مذنب أو غير مذنب ، على الرغم من أنه لم يثبت أي واحد منهما .

٤ ـ ومغالطة أخرى هي مغالطة العلامة ، لأن هذه الحجة هي الأخرى لا منطقية . مثلا : اذا كان لقائد أن يقول ان من يحبون بعضهم بعضا نافعون للدولة ، لأن حب هرموديوس وأرسطو جيتون قضي على الطاغية هبرخوس ، أو أن ديونوسيوس لص ، لأنه وغد ، فهذه الحجة أيضا غير صحيحة ، فليس كل وغد لصا ، وان كان كل لص وغدا .

٥ ـ ومغالطة أخرى تؤخذ من العرض . مثلا : حين يقول فولوقراطس عن الفئران انها أسدت خدمة عظيمة بقرضها حبال القوس[3] . أو اذا أراد

---

(١) أسقط ثراوسوبولس حكم الطغاة الثلاثين ، وأسقط حكم الطغيان الذي يقومون به مجتمعين ، وطالب بمكافاة ثلاثينية ، باعتباره أسقط ثلاثين طغيانا .

(٢) الشذرة رقم ٥ في T.G.F.

(١) الحكاية رواها هيرودوتس ٢ : ١٤١ . ومفادها انه لما غزا سنخريب مصر ، قام جيش من فئران الحقول فالتهمت الجعب وحبال الاقواس والدروع الجلدية الخاصة بالأشوريين .

الانسان أن يقول انه لا أمر أشرف من ان يدعى الى المأدبة ، لأن أخيلوس ، لما لم يدع ، غضب على أهل أخايا في جزيرة تنيدوس(١) ، بينما هو انما غضب فعلا لأنه عومل معاملة خالية من الاحترام ، لكن هذا كان عرضا راجعا الى كونه لم يدع(٢).

٦ ـ ومغالطة أخرى هي مغالطة اللزوم(٣). فمثلا في « الكسندروس » (باريس) يرد أن باريس كان خطير النفس ، لأنه كان يحتقر صحبة العامة ويسكن وحده على جبل ايدا ، ذلك أنه لما كان الخطيرو النفس هم بهذا الخلق، فباريس أيضا ربما ظن أنه خطير النفس . أو : اذا كان الشخص يهتم بملبسه ويتجول في الليل فهو فاجر ، لأن الفاجرين بهذه الصفات . كذلك : الفقراء يغنون ويرقصون في المعابد ، والمنفيون يمكنهم أن يعيشوا حيث طاب لهم ، ولما كانت هذه الأمور تنتسب الى أولئك الذين يبدون سعداء ، فان من لهم هذه الأحوال قد يظنون سعداء . لكن ها هنا فارقا في الاحوال والظروف ، ولهذا فان هذا الموضع يندرج تحت باب الاغفال .

٧ ـ وأغلوطة أخرى هي أخذ ما ليس بعلة علة ، كما يحدث حين يحدث شيء في نفس الوقت مع ، أو بعد ، شيء آخر ، اذ يظن أن ما حدث تاليا قد أحدثه السابق ، (وهي أغلوطة يقع فيها) السياسيون بخاصة . فمثلا ديماوس

---

(١) جزيرة فى بحر ايجه أمام شاطىءطروادة . وتروي الاساطير اليونانية « أن اليونانيين انسحبوا إليها بأسطولهم ، حتى يوهموا أهل طروادة أنهم رحلوا .

(٢) سوفقليس : « اجتماع اليونانيين » ، مسرحية ساخرة . راجع T.G.F., p. 161 كونه لم يدع الى العشاء كان مجرد عرض من أعراض عدم الاحترام نحوه .

(٣) هي المعروفة باسم : « ايهام عكس اللوازم » ، راجع كتابنا : « المنطق الصوري و الرياضي» ص ٢٤٦ . نحن نقع في هذه الأغلوطة حين نعتقد أن الشرط ولازمه منعكسان ، فنبرهن من اللازم الى الشرطكما أننا نبرهن من الشرط الى اللازم . مثلا : اذا زادت الحمى أصيب المريض بالهذيان ، فنعكس هذا ونقول : اذا أصيب المرء بالهذيان فإنه مصاب بحمى شديدة .

(٤) الفقير يريد ان يكسب مالا ، والغني يرقص ويغني ليسلي نفسه ، أو ليبرهن على أنه اقدر أن يفعل ما يحلو له . والمنفيون يمكنهم فعلا أن يعيشوا كما يريدون في اي بلد أجنبي ، لكنهم يفضلون أن يعيشوا في أوطانهم ، و الاغنياء، الذين ليسوا منفيين ، يسيحون فى البلاد ترويحا لأنفسهم .

أعلن أن سياسة ديموستانس كانت هي السبب في كل الشرور التي حدثت ، لأنه تلتها الحرب •

٨ ــ وأغلوطة أخرى هي اغفال المتى (الزمان) والكيف (كيف حدث) فمثلا : كان لألكسندروس (باريس) الحق في أخذ هيلانة ، لأن أباها أعطاها الحق في اختيار من تريده زوجا لها • لكن (ها هنا مغالطة) ، لأن ذلك لم يكن ، كما يمكن أن يظن ، لكل الأوقات ، بل فقط للمرة الأولى ، لأن سلطة الأب لا تتعلق الا بالمرة الأولى • (١٤٠٢ أ) أو اذا أراد أن يقول امرؤ ان ضرب رجل حر اهانة لا مبرر لها ، لأن الأمر ليس كذلك دائما ، بل فقط حين يضرب المعتدي الضربة الأولى •

٩ ــ ومثلما في المجادلات السوفسطائية ينشأ القياس الظاهري كنتيجة لاعتبار الشيء أولا مطلقا ، وبعد ذلك غير مطلق ، لكن في حالة خاصة فقط • مثلا في « الجدل » يقال ان ما ليس يكون : يكون ، لأن ما ليس يكون هو يكون ما ليس يكون ، وأيضا : غير المعلوم يمكن أن يكون معلوما ، لأنه يمكن أن يعلم عن غير المعلوم أنه غير معلوم • وبالمثل ، في « الخطابة » ، يمكن أن ينشأ ضمير ظاهري عما ليس محتملا على الاطلاق ، وانما هو محتمل في بعض الأحوال فقط • لكن هذا ينبغي ألا يفهم على وجه الاطلاق ، كما يقول أجاثون:

« ربما استطاع المرء أن يقول ان هذا الشيء نفسه محتمل ،
وأن كثيرا من الأشياء تحدث للناس وهي غير محتملة » •

لأن ما هو مضاد للاحتمال يحدث مع ذلك ، حتى ان ما هو مضاد للاحتمال هو محتمل • فان كان الأمر هكذا ، فان ما هو غير محتمل هو محتمل • لكن لا على وجه الاطلاق ، بيد أنه ــ كما في حالة المجادلات السوفسطائية ــ تصبح الحجة مغالطية حين لا يضاف ذكر الظروف والاشارة والطريقة ، كذلك هاهنا تصير الحجة مغالطية بسبب كون الاحتمال ليس محتملا على وجه الاطلاق ، وانما في أحوال خاصة فقط و « فن » كوركس يقوم على هذا الموضوع • لأنه ان كان من غير المحتمل أن يكون المرء مذنبا فيما اتهم به ، مثلا اذا كان ضعيفا

واتهم بالاعتداء والضرب ، فالدفاع عنه هو ان يقال ان الجريمة غير محتملة ، لكن ان كان من المحتمل أن يكون مذنبا ، مثلا اذا كان قويا ، فيمكن ان يحتج أيضا بأن الجريمة غير محتملة ، لأنه متأكد أن الناس سيعتقدون أن من المحتمل أن يرتكبها . وكذلك الحال بالنسبة الى أي اتهام آخر : المتهم اما معرض له أو غير معرض : وفي كلتا الحالتين يوجد مظهر براءة محتملة ، لكن بينما في الحالة الأخيرة الاحتمال صحيح ، فانه في الحالة الأولى يمكن فقط توكيده بالمعنى الخاص المذكور . وهذا الضرب من الحجاج يوضح المقصود من جعل الحجة الأسوأ تبدو هي الأحسن . ومن هنا كان الناس على حق في الاعتراض على التعليم الذي حاول بروتاجورس أن يعطيهم اياه[1] . لقد كان خداعا : فان الاحتمال الذي يقدمه لم يكن صحيحا بل زائفا ، ولا محل له في أي فن عدا الخطابة[2] والمراء .

وحسبنا هذا القدر من الكلام في الضمائر الحقيقية والظاهرية .

٢٥

في النقائض

وبعد ما قلناه ينبغي أن نتكلم في التفنيد . الحجة تفند اما بقياس مضاد[3] أو بايراد اعتراض . ومن الواضح أن نفس المواضع يمكن أن تزود بأقيسة مضادة ، لأن الأقيسة مأخوذة من مواد محتملة ، وكثير من الاحتمالات يضاد بعضها بعضا . وكما تبين في « الطوبيقا »[4] : الاعتراض يورد بأربع طرق : فاما أن يؤخذ من ذاته ، أو مما هو مشابه ، أو مما هو مضاد ، أو مما تقرر . ففي الحالة الأولى (١٤٠٢ ب) اذا أريد من الضمير مثلا أن يثبت أن الحب

---

(١) راجع محاورة « بروتاجورس » لأفلاطون ، ص ٣١٩ أ.

(٢) الخطابة الزائفة الفاسدة ، مثلما أن المراء هو صورة فاسدة للديالكتيك الصحيح . والمترجم العربي القديم (ص ١٧٥) يترجمه : المشاغبية .

(٣) أي بقياس يثبت القضية المضادة للنتيجة التي وصل اليها الخصم .

(٤) راجع « الطوبيقا » م٨ ف ١٠ ، و « التحليلات الأولى » م٢ ف ٢٦ .

حسن ، فيمكن ايراد اعتراضين : اما التقرير العام بأن كل شهوة رديئة ، أو ذكر حالة خاصة وهي أن الحب الكونوسي[١] ما كان ليضرب به المثل لو لم تكن بعض أشكال الحب قبيحة • والاعتراض المأخوذ مما هو مضاد يورد اذا كان الضمير هو أن الرجل الخير يصنع الخير لكل أصدقائه • فيعترض ويقال : لكن الرجل الشرير لا يضر (كل أصدقائه)[٢] • والاعتراض المأخوذ مما هو مشابه يورد اذا كان الضمير هو أن كل المضرورين يكرهون دائما ، فيعترض ويقال ان المحسن اليهم لا يحبون دائما • والنوع الرابع من الاعتراض مأخوذ من القرارات السابقة الصادرة عن أناس مشهورين • مثلا اذا: كان الضمير هو أن المرء ينبغي عليه أن يصفح عن السكارى لأنهم يذنبون وهم لا يعلمون ـ فيمكن الاعتراض بأن يقال ان بتاكوس اذن لا يستحق الثناء ، والا لما وضع عقوبة أشد على من ارتكب جريمة وهو سكران •

ومادة الضمائر تستمد من أربعة مصادر : (١) الاحتمالات ، (٢) الأمثلة ، (٣) العلامات الضرورية ، (٤) العلامات العادية • (١) فالضمائر المستمدة من الاحتمالات هي تلك التي تبرهن استنادا الى ما هو ، أو مايفترض أنه ، صادق دائما • (٢) والضمائر المستمدة من الأمثلة هي تلك التي تتخذ سبيل الاستقراء من حالة أو حالات مشابهة ، وتؤدي الى قضية عامة ، ثم تبرهن بعد ذلك ، بواسطة الاستنباط ، على نتيجة جزئية • (٣) والضمائر المستمدة من العلامات الضرورية هي تلك التي تبرهن استنادا الى ما هو ضروري وثابت (٤) والضمائر المستمدة من العلامات العادية هي تلك التي تبرهن استنادا الى قضية كلية أو جزئية ، صادقة أو كاذبة •

١ ـ ولما كان الاحتمال هو ما يحدث عادة ، لكن لا دائما ، فان الضمائر المستمدة من الاحتمالات يمكن ـ كما هو واضح ـ ان تفند دائما باثارة

---

(٣) نسبة الى كونوس Καῦνος وهو رجل من اهل ملطية هاجر الى كاريا ، يأسا من حبه وهناك أسس مدينة كونوس . ويقال انـه حب مع احـدى محارمه . راجـع اوفيد « التحولات » Metamorphoses ٩ : ٤٥٤

(٤) هذه القضية ضد القضية السابقة ، لكن هذا ليس صادقا دائما .

عتراض • والتفنيد ليس دائما صحيحا ، فقد يكـون زائفـا ، لأن من يورد الاعتراض يحاول أن يبين ، لا أن الحجة محتملة ، ولكن أنها ليست ضرورية• ولهذا فان المتهم ، باستعماله لهذه الأغلوطة ، له مزية دائما على المدعى ، لأنه لما كان المدعي دائما يقيم برهانه على احتمالات ، ولما كان بيان أن الحجـة ليست محتملة ليس هو بعينه بيان أنها ليست ضرورية ، ولما كان ما لا يصدق الا غالبا هو معرض دائما للاعتراض (والا لما كان محتملا، بل ثابتا ضروريا) ـ فان القاضي سيعتقد ، اذا أورد التفنيد على هذا النحو[١] ، اما أن الحجـة ليست محتملة ، أو أنه ليس له أن يفصل في الدعوى ، مادام قد خدع بهـذه الأغلوطة ، كما بينا منذ قليل ، لأن حكمه يجب ألا يقوم على حجج ضرورية فقط ، بل وأيضا على احتمالات ، لأن هذا هو المقصود من : « الحكم وفقا لحسن النية »[٢] • فلا يكفى اذن تفنيد الحجة ببيان أنها ليست ضرورية ،بل لا بد أيضا من بيان أنها ليست محتملة • وهذا يتم اذا كان الاعتراض نفسـه قائما خصوصا على ما يحدث عامة • وهذا يحدث على نحوين : اما من اعتبار الزمان واما من اعتبار الوقائع • وأقوى الاعتراضات هي تلك التى يجتمعان فبها معا ، (١٤٠٣ أ) لأن الأمر يكون أوفر حظا من الاحتمال ، كلما كبـر عدد الحالات المماثلة •

٢ ـ والعلامات العادية ، والضمائر القائمة عليها ، يمكن تفنيدها ، حتى لو كانت الوقائع صحيحة ، كما قلنا في البـداية[٣]• اذ نحـن بينـا في « التحليلات »[٤] ان العلامة العادية لا يمكن أن تكون جزءا من برهان منطقي سليم •

٣ ـ أما الضمائر المستمدة من الأمثلة فيمكن تفنيدها بنفس الطـريقة التي تفند بها الاحتمالات • لأنه اذا كانت لدينا واقعة واحدة تناقض المثـال

---

(١) أي إذا بين أن الحجة ليست « ضرورية » .

(٢) أو « بأنزه ما تستطيع » .

(٣) م١ ف٢ ص ١٣٥٧ ب ١٣ ، ١٤ .

(٤) « التحليلات الأولى » م٢ ف ٢٧ .

الذي يسوقه الخصم ، فان الحجة تفند على أساس انها ليست ضرورية ، حتى لو كانت الأمثلة الأكثر عددا وشيوعا ، هي في صالح الخصم ، لكن لو كانت غالبية الأمثلة وأكثرها شيوعا هي في صالح الخصم ، فاننا نستطيع أن نجادل بأن نقول ان المثل الحاضر لا يشبه الأمثلة التي ذكرها ، أو أن ثم فارقا •

٤ ــ اما العلامات الضرورية والضمائر المأخوذة منها فانها لا يمكن أن تفند على أساس أنها لا تزود بنتيجة منطقية ، كما هو واضح من كتاب « التحليلات »[١] ، والشيء الوحيد الباقي هو أن نبرهن على أن الأمر المدعى غير موجود • لكن اذا كان من الواضح أنه صحيح ، وأنه علامة ضرورية ، فان الحجة تصير غير قابلة للتفنيد ، اذ بواسطة البرهنة يصبح كل شيء واضحا فورا[٢] •

٢٦
الأخطار التي يجب تجنبها

فأما التكبير والتصغير فليسا عناصر للضمير (لأنني أرى أن العنصر والموضع شيء واحد) ، لأن العنصر (أو الموضع) باب يندرج تحته كثير من الضمائر ، لكنها ضمائر تفيد في بيان أن الشيء كبير أو صغير ، كما يفيد غيرها في بيان أنه خير أو شر ، عدل أو غير عدل ، أو أي شيء آخر • وكل هذه مواد للأقيسة والضمائر ، حتى انه اذا لم يكن واحد من هذه موضعا لضمير ، فلا واحد منها هو تكبير أو تصغير • والضمائر التي بها تفند الحجج ليست من نوع آخر غير الضمائر التي بها تثبت الحجج ، اذ من الواضح أن البرهنة أو ايراد الاعتراض هو وسيلة التفنيد • بالبرهنة يثبت ضد نتيجة الخصم ، مثلا : لو بين أن شيئا ما حدث ، فان خصمه يبين أنه لم يحدث ، واذا بين أنه لم يحدث ، بين الخصم أنه حدث • فهذا اذن لن يكون الفارق

---

(١) « التحليلات الأولى » م٢ ف ٢٧ •

(٢) أي حين يحول الثقمريون (العلامة الضرورية) الى قياس •

بينهما ، لأن كليهما يستخدم نفس الحجج ، ويورد ضمائر لبيان أن الشيء كائن أو غير كائن . والاعتراض ليس ضميراً ، ولكنه – كما قلت في « الطوبيقا » [1] يقرر رأياً يقصد به أن يوضح أن قياس الخصم ليس منطقياً ، أو أنه ســلم بمقدمة زائفة .

ولما كان البحث في القول يجب أن يتناول ثلاثة أقسام ، فحسبنا ما قلنا عن الأمثال ، والآراء (الأقوال الموجزة) ، والضمائر ، وبالجملة عما يتصل بالفهم بعامة ، (١٤٠٣ ب) وبالمواضع التي نجد فيها الضمائر والطرق التي بها نفندها ، ولم يبق علينا الا أن نبحث في الأسلوب والنظم [2] .

---

(١) لعل اشارة أرسطو الى « الطوبيقا » ها هنا سهو منه ، وقد وقع مثله في مواضع أخرى من هذا الكتاب (راجع ص ١٣٩٦ ب ٤) ، إذ الأولى أن تكون الإشارة هنا الى نفس الموضع من «أنالوطيقا الأولى » الذي أشار إليه في الفصل السابق ، أي $م_٢$ ف ٢٧ .

(٢) « النظم » هنا بمعنى تاليف القول ، وقد استعمل هذا اللفظ بهذا المعنى عبد القاهر الجرجاني في « دلائل الإعجاز » .

المقالة الثالثة

١
أقسام فن الخطابة ، تلخيص

ثلاثة أمور تحتاج الى اهتمام خاص فيما يتعلق بالقول : (١) الأول :هو مصادر الأدلة ، (٢) والثاني : الأسلوب ، (٣) والثالث ترتيب أجزاء القول . وقد سبق لنا أن تحدثنا عن الأدلة ، وقلنا ان عددها ثلاثة ، وحددنا طبيعتها ، ولماذا هي ثلاثة فقط ، ذلك أن الاقناع هو في جميع الأحوال ناتج اما عن القضاة أنفسهم في تأثرهم بطريقة معينة ، أو لأنهم يعدون المتكلمين ذوي خلق معين ، أو لأن شيئا ما قد تبرهن .كذلك بينا المصادر التي ينبغي أن تستمد منها الضمائر ــ وبعضها خاصة ، والبعض الآخر مواضع مشتركة عامة .

وعلينا بعد هذا أن نتكلم عن الأسلوب ، اذ لا يكفى أن يعرف المرء ما يجب عليه أن يقوله ، بل عليه أيضا أن يعرف كيف يقوله ، وهذا يسهم كثيرا في جعل الكلام يظهر ذا طابع معين . وأول ما اهتممنا به كان بالطبع ما يأتي أولا بالطبع ــ أعني كيف نحدث الاقناع استنادا الى الوقائع نفسها ، والثاني كيف نرتبها في أسلوب ، والثالث : الالقاء ، وهو في غاية الأهمية ، لكن لم يعالج موضوعه أحد من قبل . والواقع أنه لم يظهر الا بأخرة في التراجيديا والرفسوديا [١] ، لأن الشعراء كانوا في البداية هم الذين يمثلون تراجيدياتهم [٢] فمن الواضح اذن أن ثم شيئا من هذا النوع في الخطابة كما في الشعر ، وقد عالجه اغلوقون الذي من تيوس Teos وغيره . والالقاء يتعلق بالصوت وكيف

---

(١) تطلق الربسوديا على (أ) الالقاء ، (ب) القصيدة الملحمية ، في مقابل القصيدة الغنائية .

(٢) لما كان مؤلفو التراجيديات هم الذين يمثلونها ، فلم يكن ثم حاجة الى ممثلين محترفين ، ولا الى تعليم لفن الإلقاء أو التمثيل . وهذا هو الذي يفسر لماذا لم تبذل محاولات لمعالجة مسألة الإلقاء . وكذلك كان الربسوديون هم مؤلفو القصائد الملحمية ، وكانوا هم الذين ينشدونها

ينبغي تكيفه مع كل نوع من الانفعال ، ومتى يكون مرتفعا ، أو منخفضا ، أو متوسطا ، وكيفية استعمال الأنعام : ما هو منها حاد ، أو ثقيل ، أو وسط ، وأي الايقاعات يصلح لكل موضوع • اذ ينبغي النظر في ثلاث صفات : العظم ، الانسجام ، الايقاع • والذين يستعملونها استعمالا صحيحا يظفرون دائما تقريبا بالجوائز في المسابقات الدرامية • ولما كان الممثلون لهم تأثير على المسرح أكبر من الشعراء ، فالأمر كذلك أيضا في المنازعات السياسية[1] ، بسبب فساد نظم الحكم عندنا • لكن لم يؤلف بعد كتاب في (فن) الالقاء ، اذ أن مادة الأسلوب نفسه (١٤٠٤ أ) لم تلفت الانتباه الا مؤخرا ، وعن حق اعتبرت عامية • لكن لما كانت مهمة الخطابة التأثير في الرأي ، فعلينا أن نعنى بمسألة الأسلوب لا باعتبارها سليمة ، بل لأنها ضرورية ، لأنه من حيث الصواب ينبغي على المرء أن يهدف في خطبته الى تجنب اثارة الألم أو اللذة ، اذ العدالة تقتضي الا تعالج القضية الا بالوقائع وحدها ، حتى ان أي شيء آخر الى جانب البرهان يعد فضولا ونافلة ، ومع ذلك ، وكما قلنا منذ قليل ، من المهم جدا الاهتمام به ، بسبب فساد السامع • وعلى كل حال ، فان في كل نظام تعليمي بعض الضرورة للاهتمام بالأسلوب ، ذلك لأنه من أجل ايضاح أمر ما ، لا يستوي أن يتكلم المرء على هذا النحو أو ذاك ، لكن الاختلاف ليس كبيرا جدا ، لكن هذه الأمور كلها[2] هي مجرد مظهر خارجي لاجتذاب السامع وابهاجه ، ولهذا فان أحدا لا يعلم الهندسة بهذه الطريقة •

وحينما يصبح الالقاء شائعا محبوبا ، فسيكون له نفس التأثير مثل التمثيل • وبعض الكتاب قد حاولوا أن يتناولوه ببعض العبارات ، كما فعل ثراسوماخوس في كتابه[3] ἐλέους • وموهبة التمثيل موهبة طبيعية ولا تعتمد كثيرا على الفن ، كأنها مصطنعة فيما يتعلق بالأسلوب • ولهذا فان الذين

---

(١) أي في المحاكم والجمعيات العامة .
(٢) أي : الأسلوب ، والالقاء ، والتمثيل .
(٣) بحث في الانفعال الوجداني .

يبرزون فيه يظفرون بجوائز ، مثلما يظفر الخطباء الذي يبرزون في الالقاء • ذلك لأن الخطب المكتوبة تدين بتأثيرها للأسلوب أكثر من أن تدين به للمعاني •

وكما هو طبيعي كان الشعراء أول من نهضوا بالأسلوب ، ذلك لأن الكلمات محاكيات ، وكذلك الصوت كان عتيدا جاهزا ، وهو أحسن الاجزاء صلاحية للمحاكاة • وعلى هذا النحو تشكلت فنون الربسوديين والممثلين وغيرهم — • ولما كان الشعراء بدا أنهم انما نالوا شهرتهم عن طريق أسلوبهم، على الرغم من أن أقوالهم كانت خاوية من المعاني ، فان أول أسلوب وجد ، هو الأسلوب الشعري ، مثل أسلوب جورجياس[1] • وحتى في الوقت الحاضر تعتقد غالبية غير المثقفين أن أمثال هؤلاء يعبرون عن أنفسهم تعبيرا رائعا ، بينما الحال ليست كذلك ، لأن أسلوب النثر ليس هو أسلوب الشعر •والنتيجة تثبت ذلك ، ذلك أن كتاب التراجيديات لا يستخدمونه بنفس الطريقة ، لكن لما كانوا قد تحولوا من الوزن الرباعي الى الوزن الايامبو ، لأن هذا الأخير أقرب الأوزان الى النثر ، فانهم استبعدوا كل الكلمات التي تختلف عن الحديث العادي ، مما كان الشعراء الأوائل قد اعتادوا أن يزينوا بها قصائدهم ، بل لا يزال يستعملها الشعراء الذين ينظمون في البحر السداسي • ولهذا فمن المضحك محاكاة أولئك الذين لم يعودوا يستخدمون تلك الطريقة في الكتابة• ومن الواضح ، تبعا لذلك ، أننا لسنا في حاجة الى التغلغل الدقيق في كل مسائل الأسلوب ، وانما سنقتصر على تناول تلك التي تتعلق بالأسلوب الذي نبحث فيه الآن • أما النوع الآخر من الأسلوب[2] ، فقد عالجناه من قبل في كتابنا : « في الشعر » •

---

(١) سوفسطائي وعالم بالخطابة يوناني شهير ، ولد في لينوتيني في صقلية حوالي سنة ٤٨٣ ق.م. وفي سنة ٤٢٧ رأس سفارة أرسلت لالتماس النجدة من أثينا ضد سرقوسة . واستقر بعد ذلك في أثينا ، حيث أدخل فن الخطابة ، وعمل كثيراً في سبيل جعل اللهجة الاتيكية هي لغة النثر الفني . وقد تناوله أفلاطون في محاورة باسمه . وبقيت لنا شذرات من كتابه : « الطبيعة أو اللاموجود » راجع كتابنا : «ربيع الفكر اليوناني » ص ١٧٦ — ١٧٩ ، ط٤ ، القاهرة سنة ١٩٦٩ .

(٢) أي الأسلوب الشعري ، راجع « فن الشعر » ، الفصل » = ص ٦١ وما بعدها من ترجمتنا ، القاهرة سنة ١٩٥٣) .

٢

في صفات الأسلوب

أ ـ في جمال الأسلوب

(١٤٠٤ ب) وحسبنا هذا في النظر في هذه النقط . أما الأسلوب فمن أهم مزاياه ما يمكن أن يسمى باسم : الوضوح σαφῆ . ويتبين ذلك من أن الكلام اذا لم يجعل المعنى واضحا ، فانه لا يؤدي وظيفته الخاصة ، كذلك ينبغي ألا يكون وضيعا ، ولا فوق مكانة الموضوع ، بل مناسبا له ، فان الأسلوب الشعري ربما لم يكن وضيعا ، ولكنه ليس مناسبا للنثر ، والأسماء والأفعال [١] المناسبة هي التي تجعل الأسلوب واضحا . أما الأخرى التي تكلمنا عنها في « فن الشعر »[٢] فانها تسمو بالأسلوب وتزينه ، ذلك لأن البعد عما هو ممتاز من شأنه أن يجعله أرفع قدرا . وفي هذا المجال ، يشعر الناس نحو الأسلوب بما يشعرون به نحو الغرباء والمواطنين . ولهذا ينبغي أن نضفي على لغتنا طابع الغرابة [٣] ، لأن الناس تعجب بما هو بعيد ، وما يثير الاعجاب يسر ويمتع . وفي الشعر كثير من الأمور تفضي الى هذا ، وفيه يكون ذلك مناسبا ، لأن الموضوعات والأشخاص الذين يتناولهم الشعر خارجة عن المألوف . لكن أمثال هذه الطرق لا تكون في النثر مناسبة الا في أحوال قليلة ، لأن الموضوع أقل سموا ، وحتى في الشعر ، اذا استعملت اللغة الأنيقة على لسان عبد أو صبي ، أو في موضوعات تافهة جدا ، فانها لا تكون مناسبة ، لأنه ها هنا أيضا يقوم التناسب السليم في الايجاز والاطناب حسبما يقتضي الموضوع . ولهذا فان الذين يمارسون هذه الحيلة ينبغي عليهم أن يستروها ويتجنبوا الظهور بمظهر الكلام المتكلف بدلا من الكلام الطبيعي ، لأن ما هو طبيعي يقنع ، أما المتكلف فلا يقنع . ذلك لأن الناس يرتابون فيمن يظنون أنه نصب لهم فخا ،

---

(١) « الأسماء ولأفعال » = كل أجزاء القول .

(٢) الفصل ٢١ .

(٣) الغرابة = الخروج عن الالوف .

كما يرتابون في الخمور الممزوجة . وتلك كانت حال صوت ثيودورس اذاقيس بصوت باقي الممثلين ، لأن صوته كان يبدو أنه صوت الخطيب ، بينما صوت الآخرين كان يبدو صوت انسان آخر . والصنعة (التكلف) تخفى ببراعة اذا اختار الخطيب كلماته من اللغة العادية ، ووضعها معا مثل يوريفيدس ، الذي كان رائد هذا الطريق .

والأسماء والأفعال لما كانت عناصر القول ، والأسماء على أنواع عدة درسناها في « فن الشعر » ، فانه ينبغي ألا نستعمل منها الأسماء الغريبة ، أو المركبة أو المبتدعة الا نادرا وفي مواضع قليلة . وسنذكر فيما بعد[1] في أي المواضع ينبغي أن تستعمل ، وقد ذكرنا السبب في ذلك من قبل ، وهو أن في ذلك ابتعادا كبيرا جدا عن اللغة المناسبة . والكلمات السليمة والمناسبة والمجازات هي وحدها التي تستخدم في أسلوب النثر ، ويتضح هذا من كون الناس لا يستعملون غير هذه ، لأن الجميع يستعملون المجازات في الأحاديث، كما يستعملون الكلمات السليمة والمناسبة . ولهذا فمن الواضح أن الخطيب اذا أجاد فسيكون ثم شيء « غريب » في كلامه ، وربما لم تكتشف صنعته (تكلفه) ، وسيكون معناه واضحا . وهذه ــ كما قلنا ــ هي الميزة الرئيسة للغة الخطابة . [2](فيما يتعلق بالأسماء ، المشتركات مفيدة جدا للسوفسطائي، اذ بمعونتها يستعمل حججا مغالطة ، أما المترادفات فهي مفيدة للشاعر . (١٤٠٥ أ) ومن الأمثلة على الألفاظ التي هي سليمة ومترادفة : « ذاهب » و « ماش » ، لأن هذين اللفظين سليمان ولهما نفس المعنى)[2] .

وكما قلنا فاننا بينا في كتاب « فن الشعر » حقيقة كل واحد من هذه الأشياء[3] ، وكم أنواع المجاز ، وأنه مهم جدا في الشعر والنثر على السواء . لكن ينبغي على الخطيب أن يوليها أعظم انتباهه ، لأن موارد النثر أقل من

(١) في الفصلين الثالث والسابع من هذه المقالة .

(٢ .... ٢) ما بين الرقمين كأنه تعليقة معترضة ، ولكنها لأرسطو نفسه

(٣) الأنواع المختلفة للألفاظ . راجع « فن الشعر » ، فصل ٢٢ .

موارد الشعر • والمجاز — أكثر من غيره — يعطي الوضوح ، والمتعة ، والطابع الغريب ، وهو لا يمكن أن يستمد من شيء آخر [1] • لكن يجب علينا أن نستعمل المجازات والصفات الملائمة • ويتحقق هذا بالتزام المناسبه السليمة ، والا لأعوزته المناسبة ، لأنه حين توضع جنبا الى جنب تكون الاضداد أوضح • وكما أن الرداء الأحمر يليق بأنثى ، فينبغي أن ننظر ماذا يليق بالشيخ العجوز ، إذ لا يناسب كليهما نفس الرداء • واذا شئنا أن نوشي موضوعنا ، فينبغي أن نستمد مجازنا من النوع الأحسن بين أنواع الجنس الواحد ، واذا شئنا تحقيره ، فلنستمده من النوع الأخس • فمثلا : كأن نقول (لأن لدينا متقابلين ينتسبان الى نفس الجنس) ان من يتسول يتوسل ، أو من يتوسل يتسول (لأن كليهما شكل من أشكال السؤال) — هذا مثال على ذلك ، مثلما دعا ايفقراطس : قلياس[2] كاهنا متسولا بدلا من أن يدعوه : حامل مشعل ، فأجاب قلياس ان ايفقراطس نفسه لا يمكن تلقينه الأسرار والا لما دعاه كاهنا متسولا ، بل حامل مشعل : وكلتا المهنتين تتعلق بالآلهة ، لكن احداهما شريفة ، والأخرى خسيسة مشينة • وبعض الناس يدعون الممثلين : متملقي ديونوسيوس ، بينما هم يدعون أنفسهم : « فنانين » • وكلا الاسمين مجاز ، لكن أحدهما اسم للتحقير ، والآخر ليس كذلك • وبالمثل ، القرصان يدعون أنفسهم : موردين ، وكذلك من المسموح به أن يقال ان الرجل الذي ارتكب جريمة « قد أخطأ » ، وأن « من أخطأ » « قد ارتكب جريمة » ، وان « من سرق » ، اما أنه « أخذ »

---

(١) في « فن الشعر » (فصـ ٢٢) : « لأن هذا وحده لا يمكن أن يستعار من غيره » .

(٢) كان قلياس هذا من أسرة اثينية بارزة ، وكان يشغل منصب حامل المشعل في الاسرار الاليوسيسية ولكنه كان مشهوراً بالمجون ، وقد اشترك في السياسة .

(٣) كان حامل المشعل بالوراثة في المرتبة التالية لرئيس الكهنة . وكان يحمل المشعل اثناء الاحتفال ببعض مراسم التطهر وتقديم القرابين ، ويشارك في إنشاء الأناشيد وبعض المراسم . أما الكهنة المتسولون فكانوا يجمعون التبرعات الخاصة ببعض الآلهة ، خصوصا تلك الخاصة بالأم قوبالة Cybele ، وكان منهم الرجال ومنهم النساء ، وكانوا يمارسون كل ألوان الفسق والفجور .

(٤) راجع A. Nauck : Tragicorum Graecorum Fragmenta, p. 583,

أو « خرب » • والقول الوارد في مسرحية «طيلافوس» Τηλέφος ليوريفيدس وهو :

« كان ملكا على المجداف ونزل الى البر في موسيا » •

غير مناسب ، لأن الكلمة « ملك » تتجاوز جلال الموضوع ، فيمكن رؤية التكلف (الصنعة) • كذلك تكون أشكال الألفاظ غلطا ، اذا لم تعبر عن صوت لذيذ مثلا : ديونوسيوس البرنزي [1] يتحدث في ايلجياته عن الشعر بأنه مثل :

« صياح كليوفا »

وكلاهما (الشعر والصياح) صوت ، لكن المجاز قبيح ، لأن الصياح لا معنى له •

كذلك ينبغي ألا تكون المجازات معتسفة ، بل ينبغي أن نعطي أسماء للأشياء التي لا أسماء لها وذلك باشتقاق المجاز من شيء قريب الصلة ، أو من نفس النوع ، بحيث أنه اذا نطق به يبدو بوضوح أنه قريب الصلة به ، كما في اللغز [2] المشهور :

« رأيت رجلا يلصق البرنز على النار »

لم يكن هنا اسم لما حدث ، ولما كان في كلتا الحالتين تطبيق ، فانه سمي تطبيق كاسات الهواء لصقا • وعلى وجه العموم فان الألغاز البارعة تزود بمجازات جيدة ، لأن المجاز نوع من الألغاز ، حتى ان النقل (من شيء الى شيء آخر) بارع • وينبغي أيضا أن تؤخذ المجازات من الأشياء الجميلة ، اد جمال اللفظ يقوم ، كما يقول لقومنيوس Licymnius في صوته أو في

---

(1) سمي « برنزيا » لأنه نصح أهل أثينا باستعمال نقود من البزنز ، وكان شاعرا ومعلم خطابة .
راجع Athenaeus, XV. p. 669 الشندرة رقم ٧ في Bergk, 4 vol. ii, p. 264

(2) راجع cleobulina, fragm. L, Bergk 4, vol. ii, p. 62

معناه ، وقبحه كذلك يقوم في صوته أو معناه[1] • وهناك شرط ثالث ، يفند الحجة السوفسطائية التي قالها بروسون السوفسطائي وهي انه لا يوجد شيء هو هذر ، لأنك في أي كلمات وضعت الشيء فان المعنى واحد هو هو • وهذا غير صحيح • ذلك أن لفظا ما يمكن أن يضيف شيئا على نحو اصدق من غيره ، وربما أشبه به ، ويعرض حقيقته أمام ناظريك بشكل أدق • وايضا ، فان اللفظين المختلفين يعبران عن الشيء الواحد على نحوين مختلفين ، وعلى هذا الأساس أيضا ينبغي أن نعد أحدهما أصدق أو أسخف من الاخر ، لأن كلا اللفظين يعبر عما هو صحيح ، أو باطل ، وليس فقط صحتهما او بطلانهما ، وحتى لو كان كذلك فلن يكون ذلك بنفس الدرجة • ومادة المجاز ينبغي أن تكون جميلة الوقع على الأذن ، جميلة للفهم ، وللعين او لأي حس آخر • فمثلا : أن نقول : « صباح وردي الأنامل »[2] ـ فهذا أجمل من أن نقول « صباح قرمزي الأنامل » وأجمل من أن نقول « صباح أحمر الأنامل » • والصفات التي نطبقها ربما يكون لها مظهر قبيح ، مثل ان يدعى « لمنتقم لأبيه »[3] • ولما عرض الفائز في سباق البغال مبلغا صغيرا على سيمونيدس[4] رفض هذا أن ينظم فيه قصيدة ، لأنه كما قال ، من غير السار أن ينظم المرء قصائد في أنصاف حمير ، لكنه لما أجزل له المكافأة • أنشد قائلا :

« حييت يا بنات الأفراس اللواتي ينتعلن الريح » •

على الرغم من أنها أيضا بنات حمير • ـ واستعمال التصغيرات يؤدي الى نفس الغرض : فالتصغير يجعل الحسن والقبيح يبدو أقل ، كما فعل أرسطوفانس[5] في « أهل بابل » حين قال مازحا : « ذهيب » « ثويب » ،

---

(١) راجع Blass : Att. Beredsamkeit, 2 i, p. 86

(٢) هوميروس : « الالياذة » النشيد الأول ، البيب رقم ٤٧٧ .

(٣) يوريفيدس : « اورسطس » البيتان رقما ١٥٨٧ ، ١٥٨٨ .

(٤) سيمونيدس الذي من خيوس (حوالي ٥٥٦ ـ ٤٦٨ ق.م) شاعر يوناني غنائي . وأشهر ما بقي لنا من شذراته مرثية يرثي فيها الاسبرطيين الذين قتلوا في معركة ثرموفولية . والشذرة الواردة هنا هي رقم ٧ في مجموعة T. Bergk : P. L. G. 4, vol. iii. p. 390

(٥) مسرحية « أهل بابل » مسرحية هزلية مفقودة من تاليف أرسطو فانس . راجع Meineke, II 982

« سبيب » ، « مريض » بدلا من ذهب ، ثوب ، سب ، مرض • ـ لكن ينبغي أن نحرص هنا على توخي القصد (الوسط) في استعمالها كما في اســتعمال الصفات •

٣
في برود الأسلوب

فأما برود الأسلوب فيكون من أربعة أسباب : (١) أولها اســتعمال الكلمات المركبة ، مثلما فعل لوقوفرون[١] حين تكلم عن السماء « ذات الأوجه المتعددة » فوق الأرض ذات الذري العالية ، ! وعن « الشاطىء ذي الممـــر الضيق » • وكما كان جرجياس (١٤٠٦ أ) يقول عن متملق ، انه « يستجدي بفن » • والقيداماس كان يتحدث عن رجل كانت « نفسه مليئة بالغضــب ووجهه يتخذلون النار » ، وقال كذلك ان « الحمية عند بعض الناس تبـلغ هدفها » ، و « ان الاقناع الحاصل عن البلاغة يبلغ هدفه » أيضا ، وان «سهل البحر لذو لون أزرق » • فكل هذه الكلمات المركبة تبدو شعرية لأنها مركبة• ذلك اذن أحد أسباب برود الأسلوب •

(٢) والسبب الثاني هو استعمال الكلمات الغريبة : فلوقوفرون ينعت أكسركسيس[٢] بأنه « وحش من البشر » ، واسكيرون[٣] بأنه « مصيبـــة انسانية » ، والقيداماس يقول : « العوبة في الشعر » ، « جرأة الطبيعة » ، « ملدوغ بالحمية المندفعة لذهنه » •

(٣) والسبب الثالث هو استعمال الصفات الطويلة أو غير المناسبة ، أو

---

(١) سوفسطائي ، وليس هو الشاعر الذي نظم « الكسندروس » أو « كسندرا » فإنه متاخر عـــن ارسطو .

(٢) ملك فارس (٤٨٥ ــ ٤٦٥ ق. م) ولد حوالي سنة ٥١٩ ق.م ، وهو ابن داريوش الأول وامه التوسا ، بنت قورش الكبير الكبير . وقد قام بحملة على اليونان اخترقت مضيق الدردنيل على جسر من القوارب في سنة ٤٨٠. واستمر في زحفه حتى بلغ ثرموفولية وانتصر على ليونيداس . وقد قتله ارطبانس في سنة ٤٦٥ .

(٣) كان اسكيرون Skiron لصا فاتكا ، وقد ذبحه ثسيوس .

المزوجة جدا ، فمثلا من المناسب في الشعر أن تتحدث عن اللبن الأبيض ، أما في النثر فالمناسبة أقل ، واذا أفرط في استعمال الصفات ، فانهـا تكشف عن الصنعة وتجعل من الواضح أنه شعر • لكن يمكن استعمال ذلك بقدر ، لأنه يبعد الأسلوب عن المألوف ، ويبدي عن طابع الغرابة • لكن ينبغي على المرء أن يتوخى القصد ، لأن اهمال ذلك يضر أكثر مما يضر أن يرمي المرء الكلام على عواهنه ، لأن أسلوب رمي الكلام على عواهنه لا فائدة فيه ، والافراط كذلك ضار • وهذا هو السبب في أن أسلوب القيداماس يبـدو باردا ، لأنه يستعمل الصفات لا كتوابل ، بل كأنها الطعام نفسه ، وبازدحام واسـهاب وابراق • مثلا هو لا يقول : « عرق » بل « رطوبة » ، ولا يقول « الى ألعاب اسثموس » Ἴσθμια بل « الى الحشد الجليل لألعاب اسثموس » ، ولا يقول « النواميس »، بل « النواميس ، حكام المدن » ، ولا يقول «عدو»، بل « بدافع من النفس يشبه السباق » ، ولا يقول « موسيون » μουσεῖον ، بل « لما اتخذ موسيون الطبيعة » ، ويقول « قلق النفس المتقطب » ، ولا يقول « خالق النعمة » ، بل « خالق النعمة الشعبية جدا » ، ويقول : « موزع لذة السامعين » ، ويقول : « أخفي » لا « بالأغصان » ، بل «بأغصان الغابة » ، ويقول « غطي » لا جسمه ، بل « تعرى جسمه » • وينعت الشهوة بأنهـا « الابتداء المنكوس من النفس » ـــ وهو تعبير مركب وصفة في آن واحد ، حتى انه صار شعرا ، ويقول : « افراط خسته وراء كل الحدود » • ومن هنا فان الذين يستخدمون اللغة الشعرية بسبب افتقـارهم لى الذوق يجعـلون الأسلوب مضحكا باردا ، ومثل هذا الهذر يحدث الغموض ، لأنه حين تكدس الكلمات على من يعرف من قبل ، فانها تدمر الوضوح بسحاب من الثرثرة • والناس يستعملون الكلمات المركبة حين لا يكون للشيء اسم ، والكلمة يسهل

---

(١) أحد أنواع الاحتفالات الأربعة الكبرى الشاملة لكل اليونانيين ، وقد بدأت من سنة ٥٨١ ق•م• على ساحل خليج كورنثوس (اسثموس) في ربيع السنة الثانية والرابعة من كل اولمبياد . وكانت هذه الألعاب تقام احتفالا بفوسيدون Poseidon إله البحر .

(١) μουσεῖον : فى الاصل ملجا لربات الفنون ، ثم أصبح يدل فيما بعد على المدرسة في الفن أو الأدب . وعبارة أرسطو غامضة هنا حار في فهمها النقاد والمترجمون .

تركيبها ، مثل χρονοτριβεῖν = يمضي الوقت) ، لكن اذا أسيء استعمال ذلك (١٤٠٦ ب) ، يصير الأسلوب شعريا كله . وهذا هو السبب في أن الكلمات المركبة يستعملها خصوصا شعراء الديثرمبوس[1] ، الذين هم مملوؤن بالضوضاء ، وأن الكلمات الغريبة يستعملها شعراء الملاحم ، لأنها تنطوي على عزة وتوكيد للذات ، والمجاز يستعمله خصوصا الناظمون في بحر الايامبو ، كما قلنا ، وهم الآن يستعملونه .

(٤) والسبب الرابع في برود الاسلوب نعثر عليه في المجازات ، لأن المجازات هي أيضا غير مناسبة : البعض لأنها مضحكة ـ اذ شعراء الكوميديا يستعملونها أيضا ـ والبعض الآخر لأنها تبالغ في العزة والمأساة ، واذا كانت متكلفة ، فستكون غامضة ، مثلما فعل جورجياس حين قال : « شئون شاحبة لا دم فيها » ، « بذرت العار وحصدت الشقاء » ، ذلك أن هذا شديد الشبه بالشعر . وكما سمي القيدماس الفلسفة : « حصن الشرائع » ، ونعت « الاوديسا » بأنها « مرآة جميلة للحياة الانسانية » وقال : « غيرُ مُدْخِلٍ مثل هذه الألعوبة في الشعر » . فكل هذه التعبيرات تخفق في الاقناع ، للأسباب التي أوردناها . أما ما قاله جورجياس للعصفور الذي سلح وهو يطير فوق رأسه ، فكان بأحسن أسلوب تراجيدي ، لقد صاح فيه : « يا للعار يا فيلوميلا ! »[2] فهذا الفعل ليس عارا على الطائر ، ولكنه سيكون عارا على فتاة فكان التوبيخ مناسبا حيث ذكر ما قد كانت عليه لا ما هي عليه فعلا .

---

(١) الديثرمبوس : اغنية : نشد في الكورس ، أثناء تقديم الذبائح الى إله الخمر ديونوسيوس . وكانت أوزانها منوعة ، وعنيفة النبرة وحافلة بالانفعال . وأرسطو يرى أن التراجيديا نشأت عن الديثرمبوس . راجع ترجمتنا « فن الشعر » لارسطو ، القاهرة سنة ١٩٥٣ .

(٢) فيلوميلا Philomela وهي في الاصل ابنة مانديون ملك اثينا واخت فروقنية Procne . وقد تحولت الي عندليب لتفر من غضب تيرويوس Tereus . ولهذا فإن الشعراء يطلقون اسمها على البلبل .

٤

التشبيه

والتشبيه ضرب من المجاز ، اذ ثم فارق ضئيل جدا . فحين يقول الشاعر عن اخيلوس :

« لقد وثب كالأسد » .

فها هنا تشبيه ، واذا قيل « أسدا ، وثب » فهذا مجاز ، لأنه لما كان كلاهما شجاعا فقد نقل المعنى وسمي أخيلوس أسدا . والتشبيه نافع أيضا في النثر ، لكن ينبغي التقليل من استعماله في النثر لأن فيه طابعا شعريا . ويجب استعمال التشبيهات مثل المجازات ، وهما لا يفترقان الا في طريقة الصياغة . وهاك أمثلة على التشبيهات . قال اندروتيون عن ادريوس انه مثل الجراء التي حلت من الوثاق ، فان الجراء اذا كانت مشدودة هاجمت وعضت ، واذا أنطلقت من وثاقها امتشقت وأسرت . وكذلك ثيوداماس شبه ارخيداموس بأويكسنوس جاهلا بالهندسة ، وهو تشبيه بالتناسب، يتضمن أن اويكسنوس هو ارخيداموس الذي لا يعرف الهندسة [1] . وأيضا يشبه أفلاطون في « السياسة » [3] أولئك الذين يجردون الموتى : يشبههم بالجراء التي تعض الأحجار ، ويقول أيضا ان الناس كربان السفينة القوي ، لكنه أصم [4] ، وان قصائد الشعراء (١٤٠٧ أ) تشبه من هم في زهرة الصبا لكن يعوزهم الجمال [5] ، فلا الأولون بعد أن يفقدوا ازدهارهم ،ولا الأخرى بعد أن تفقد أوزانها،

---

(١) راجع : « الالياذة » لهوميروس ، النشيد ٢٢ ، البيت ١٦٤ .

(٢) يعنى أنه لا فارق بين اويكسنوس دون علم بالهندسة وبين ارخيداموس وهو عالم بالهندسة . والنسبة في المعرفة الهندسية ستظل هي هي ، حتى إن ارخيداموس يمكن أن يسمى اويكسنوس غير مهندس ، واويكسنوس يمكن أن يسمى ارخيداموس مهندسا .

(٣) « السياسة » ص ٤٦٩ د .

(٤) « السياسة » ص ٤٨٨ أ .

(٥) « السياسة » ص ٦٠١ ب .

تبدو كما كانت من قبل . وبركليس قال ان أهل شامس مثل الأطفال الذين يصرخون بينما هم يقبلون الفتات [1] . كذلك شـبه أهـل بؤتيا بالبلوط الأخضر ، فكما أن هذا يقطع ببلط أيديها مصنوعة من البلوط الأخضر ، كذلك أهل بؤتيا يمزق بعضهم بعضا بالحروب الأهليـة . وديموسثانس [2] شـبه الشعب بمسافرين في البحر أصيبوا بدوار البحر . وقال ديموقراطس Democrates ان الخطباء يشبهون بالمربيات اللواتي يلتهمن اللقمة ويمسحن شفاه الأطفال بالبصاق [3] . وأنتسثانس شبه قافيسودوتوس κηφισόδοτος النحيل — بالبخور ، لأنه يسر باستهلاكه نفسه . وكل هذه العبارات يمكن أن تستخدم تشبيهات أو مجازات ، حتى ان كل التي تعد مجازات تصلح أيضا أن تكون تشبيهات ، هي مجازات بدون تفصيلات . لكن في جميع الأحوال لابد للمجاز بالتناسب أن يكون تبادليا (منعكسا) وأن يقبل الانطباق على كلا الشيئين الداخلين تحت جنس واحد ، مثلا : اذا كانت الكأس هي ترس ديونوسوس ، فان الترس يمكن أن يسمى بحق كأس المريخ [4] .

٥

في سلامة الأسلوب

تلك هي اذن عناصر الكلام . ولكن سلامة اللغة (ἑλληνίζειν) ، وهي أساس الأسلوب الجيد ، تتوقف على خمس قواعد :

---

(١) يقصد انهم لم يقدروا النعم التي تلقوها من الاثينيين الذين فتحوا الجزر (سنة ٤٤٠ ق. م) .

(٢) هناك خلاف حول من المقصود : هل هو ديموسثانس الخطيب ، أو ديموسثانس القائد الاثيني في حرب البلوبونيز .

(٣) ارسطوفانس : « الفرسان » ٧١٥ — ٧١٨ .

(٤) الترس للمريخ (إله الحرب : آرس Ares) كالكاس لديونوسوس (باخوس ، إله الخمر) . وقد عرف ارسطو التناسب (« الاخلاق الى نيتوماخوس » م٥ ف٣) بانه « التساوي في النسب ، ويتضمن أربعة حدود على الاقل » ، والمجاز بالتناسب هو المجاز الذي فيه الحد الثاني نسبة الى الأول ، كنسبة الحد الرابع الى الثالث ، إذ بذلك يستطيع الانسان بالمجاز أو يضع الرابع مكان الثاني ، أو الثاني مكان الرابع . فإذا كان ديونوسيوس رمزه أ ، والكاس رمزها ب ، والمريخ رمزه هـ ، والترس رمزه د ، فإن نسبة الكاس الى ديونوسيوس كنسبة الترس الى المريخ . ويقوم المجاز في أن تنقل الى الكاس اسم مناظرها وهو الترس .

١ ــ الأولى هي أنه ينبغي الاتيان بأجزاء الربط وفقا لترتيبها الطبيعي ، قبل أو بعد ، بحسب المقتضى ، فان μέν و ἐγὼ μέν تقتضي أن يتلوها δέ و ὁ δέ وأيضا ينبغي أن تتناظر ، بينما السامع لايزال يتذكر ، ويجب ألا تفصل عن بعضها بمسافة طويلة جدا ، وكذلك ينبغي عدم ايراد جملة قبل التقديم لها بالرابطة الضرورية ، لأن هذا نادرا ما يكون مناسبا . مثال ذلك : « أما أنا فانني بعد أن أخبرني ــ لأن قليون Cleon جاء متوسلا ضارعا ــ مضيت ، وأخذتهم معي » . ففي هذه العبارة تداخلت كثير من الرباطات قبل الرباط الذي سيزود بالرابطة الضرورية ، فلما صارت المسافة بين : « فانني » وبين «مضيت » طويلة جدا ، نتج عن ذلك غموض . فالقاعدة الأولى اذن هي أن نستعمل الرباطات استعمالا سليما .

٢ ــ والقاعدة الثانية هي أن نستعمل ألفاظا خاصة ، لا عامة [(١)] .

٣ ــ والثالثة تقوم في تجنب الألفاظ المشتركة المعاني ، اللهم الا اذا كنت تتعمد العكس ، مثل أولئك الذين ليس لديهم ما يقولونه ، لكنهم مع ذلك يدعون أنهم يقولون شيئا ، فأمثال هؤلاء الناس انما يقومون بذلك عن طريق استعمال الشعر ، على غرار انبادقلس [(٢)] . فان الدوران في الكلام طويلا يضلل السامعين بسهولة ، فيجدون أنفسهم في حال كحال أولئك الذين يستمعون الى الكهان : فان هؤلاء حين يتفوهون بعبارتهم الغامضة ، يوافقهم السامعون ، مثال ذلك :

« كرويسوس ، بعبوره هالوس ، سيدمر ملكا عظيما » [(٣)]

---

(١) اي أن نسمي الأشياء ، بأسمائها الخاصة بها ، لا بأسماء عامة غامضة .

(٢) ولد في اجريجنتم في صقلية (حوالي ٤٩٠ ــ ٤٣٠ ق.م) وهو فيلسوف ، وشاعر ، وفزيائي . راجع عنه كتابنا : « ربيع الفكر اليوناني » ص ١٤٤ ــ ١٥٠ ط٤ القاهرة سنة ١٩٦٩ . وهو يقول بالعناصر الأربعة : الماء والهواء والنار والتراب . ويجعل الحب والكراهية قانون العالم . وله قصيدة عظيمة في « الطبيعة » .

(٣) ر ـم هيرودوتس ١ : ٥٣ : ٩١ . استشاركرويسوس ــ آخرملوك لوديا ــ وحى ولف ليعرف هل يهاجم قورش ملك الفرس أولا . وكان الوحى غامضا فتشجع بذلك ، وهاجم قورش ، لكن مني بهزيمة نكراء .

ولما كانت فرص الخطأ أقل اذا كان الكلام عاما ، فان الكهان يعبرون بعبارات عامة عن الحوادث • لأنه باللعب زوج أوفرد يكون المرء أقرب الى الصواب مما لو قال عددا محددا ، وكذلك من يقول « سيكون » أقرب الى الصواب ممن يقول : « لما كان » • (١٤٠٧ ب) وهذا هـو السبب في أن العرافين لا يحددون الوقت بالضبط • وكل ألوان الاشتراك في المعنى هذه متشابهة ، ولهذا ينبغي تجنبها ، الا لمثل هذا السبب •[(١)]

٤ ـ والقاعدة الرابعة تقـوم في تمييز الجنس : مذكرا ، أو مؤنثا ، أو محايدا (أو جمادا) ، كما وضع هذا التمييز بروتاغورس ، وينبغي ايرادها على الوجه الصحيح : « وهي لما جاءت وتحادثت معي ، ذهبت بعد ذلك »[(٢)]

٥ ـ والقاعدة الخامسة تقوم في مراعاة العدد : وفقا لكونه كثيرا ، أو قليلا ، أو واحدا : « ولما جاءوابدأوا في ضربي » •

وبالجملة ، فان ما هو مكتوب ينبغي أن يكون من السهل قراءته أوالنطق به ، وهما أمر واحد • لكن الأمر لن يكون هكذا اذا وجد عدد من الرباطات ، أو حين يكون الترقيم عسيرا ، كما في كتابات هيرقليطس[(٣)] • انه عسير ، لأنه من غير المؤكد الى أي لفظ ينتسب هذا اللفظ ، هل الى ما سبق أو الى ما يتلوه• مثال ذلك ، في مستهل كتابه يقول : « عن هذا العقل الذي يوجد أبدا الناس لا يعلمون شيئا » ـ فليس من المؤكد هل : «أبدا »تصف « وجود العقل » أو « عدم علم الناس » • كذلك ينتج غلط (لغوي) من عدم ربط لفظين ربطا سليما بلفظ مناسب لكليهما •مثـال ذلك : في الـكلام عن « الصوت » و « اللون » يجب ألا نستعمل كلمة : « يرى » ، لأنها ليست مناسبة لكليهما ،

---

(١) وهو الرغبة في التمويه والخداع .

(٢) للغة العربية ميزة على معظم اللغات الاخرى فى هذه الناحية ، إذ تظهر علامة التانيث في الأفعال بوضوح .

(٣) هيرقليطس من أفسوس(حوالي ٥٣٥ ـ ٤٧٥ ق.م.) وله كتاب عن الطبيعة . ونظرا الى خشونة لغته وأهماله في الكتابة ، فقدوصفبانه « الغامض »ὁ σκοτεινός راجـع عنه كتابنا : « ربيع الفكر اليوناني » ص ١٢٨ ـ ١٤٣ ط٣، القاهرة سنة ١٩٦٩ .

بينما : «أدرك» مناسبة لكليهما . كذلك مما يحدث الغموض ان لا تقول في البداية ماذا تقصد ، حين تضع عددا من التفاصيل في الوسط . مثال ذلك : اذا قلت : « اتنويت بعد التكلم معه هكذا وهكذا وبهذه الطريقة ان انصرف » — بدلا من أن تقول « اتنويت الانصراف بعد التكلم معه » ثم حدث هذا أو ذاك ، بهذه الطريقة أو تلك .

٦
في وسائل الإطناب

والقواعد التالية تسهم في سمو الاسلوب . من ذلك : استعمال الوصف بدلا من اسم الشيء : مثال ذلك : لا تقل « دائرة » ، بل قل : « شكل مستو. كل النقط التي عليه تبعد بمسافات متساوية عن المركز» . لكن اذا شئت الإيجاز فاستعمل العكس : استعمل الاسم بدلا من الوصف . والجأ الى نفس الوسيله ان كان الشيء قبيحا أو غير جميل : فان كان القبح في الوصف استعمل الاسم. وان كان القبح في الاسم ، استعمل الوصف . واستعمل المجازات والصفات ابتغاء الايضاح ، حريصا مع ذلك على تجنب ما هو مفـرط في الشـعرية . واستعمل الجمع للدلالة على المفرد ، على غرار الشعراء ، فانهم يقولون ، رغم أنه لا يوجد غير ميناء واحد ، « الى الموانيء الأخاياوية »

« ها هي ذي الثنايا العديدة للوح »

وتجنب التشبيه ، جاعلا لكل كلمة أداتها الخاصة بها هكذا : τῆς γυναικὸς τῆς ἡμετέρας لكن اذا رغب في الايجاز فافعل العكس هكذا : τῆς ἡμετέρας γυναικος واستعمل رابطا ، وان شئت الايجاز احذف الرابط ، لكن تجنب القضاء على

---

(١) Fragm. Adesp. 83, Nauck 2

(٢) يوريفيدس : « ايفجنيا في طوريس » ، ٧٢٧ . وتترجم ايضا : هذه هي ثنايا اللوح ذات الأبواب العديدة » . أو : « ها هي ذي ثنايا رسالتي العديدة الأوراق » .

الارتباط • (١٤٠٨ أ) مثال ذلك « لما ذهبت وتحادثت معه » ، أو « لما ذهبت، تحدثت معه » • وطريقة انطماخوس مفيدة ايضا ، وتقوم في وصف الشيء بصفات لا توجد فيه ،مثلا حين يتكلم عن تل طويماسوس يقول :

« هناك تل صغير تكتسحه الرياح »

لأن الأطناب في هذه الحالة يمكن ان يتسع الى غير نهاية • وهذه الطريقة يمكن أن تستخدم للأشياء الخيرة والشريرة ، على النحو الذي تكون به نافعة• والشعراء يلجأون اليها في اختراع الألفاظ ، مثل : نغمة « بغير أوتار »، أو « بغير كنارة » ، لأنهم يستخدمون صفات مستمدة من سلوب ، وهو مسلك مرضي في المجازات التي بالتناسب ، مثال ذلك أن نقول ان صوت البوق نغمة بدون كنارة •

٧

في تناسب الأسلوب

أ ـ في الأسلوب الموافق لمقتضى الحال

تناسب الأسلوب يتحصل بالتعبير عن الانفعال والخلق ، وبالتناسب مع الموضوع • ويكون الأسلوب مناسبا للموضوع اذا كانت الموضوعات الجليلة لا تعالج بخفة ، ولا الموضوعات التافهة تعالج بجلال ، واذا لم تزين الكلمة العادية ، والا لبدا على ذلك مظهر الكوميديا كما في شعر قليوفون [١] Κλεοφῶν ، اذ كان يستعمل تعبيرات تذكر المرء بالقول : « صاحبة الجلالة التينة ! » والأسلوب يعبر عن الانفعال ، حين يتكلم المرء بغضب : عن اهانة لا مبرر لها ، وبحنق وتحفظ : عن الامور الحمقاء أو المدنسة ، وحتى في مجرد ذكرها ، وباعجاب : عن الأمور الحميدة ، وبتواضع : عن الامور الجديرة بالرحمة ،وهكذا في سائر الأحوال • والأسلوب المناسب يجعل الواقعة تبدو

---

(١) يعده البعض هو الشاعر الماساوي الذي ذكره ارسطو في « فن الشعر »فم ، بينما يرى البعض الآخر انه خطيب .

قابلة للتصديق ، اذ ينطلي على عقل السامع فيتصور أن المتكلم يقول الصدق، لأنه في مثل هذه الظروف تكون مشاعره مثل مشاعره ، حتى انه ليظن (حتى لو لم يكن الأمر كما يذكره المتكلم) أن الأشياء هي كما يتصورها ، والسامع يتعاطف دائما مع من يتكلم بانفعال وحرارة حتى لو لم يقل شيئا في الواقع • وهذا هو السبب في أن المتكلمين كثيرا ما يؤثرون في السامعين بمجرد الضوضاء

والخلق يمكن التعبير عنه بالاستدلال من العلامات ، اذ لكل طبقة وعادة أسلوب ملائم لها • وأقصد بالطبقة : العمر : طفل ، رجل ، شيخ عجوز ، والجنس : ذكر أو أنثى ، والوطن : لا قدامونيا أو ثسالي • أقصد بالعادات الأحوال الأخلاقية التي تكون خلق الانسان في الحياة ، اذ ليست كل العادات تقوم بهذا • فاذا استعمل المرء اللغة المناسبة لكل عادة ، فانه سيصور الخلق ، لأن الرجل المتعلم لن يقول نفس الأشياء بالطريقة التي يقولها الرجل المتعلم • لكن السامعين يتأثرون أيضا على نحو ما بحيلة يستخدمها كتاب الخطب[1] الى درجة الغثيان وهي : « من ذا الذي لا يعرف هذا ؟ » « كل انسان يعرف هذا » ــ اذ يخجل السامع أن يظهر بمظهر من لا يعرف ما هو معروف للجميع•

(١٤٠٨ ب) والاستعمال المناسب أو غير المناسب لهذه الحيل ينطبق على كل أنواع الخطابة[2] • لكن اذا تجاوز المرء المقدار كثيرا ،فالعلاج يمكن أن يوجد في الحيلة المعروفة التي بها يضع المتكلم بعض النقد لذاته ، اذ يشعر الناس حينئذ بأن مبالغته صادقة ، ما دام واعيا لما يفعل ، وأيضا ينبغي أن يستعمل المرء كل أنواع التناسب[3] دفعة واحدة معا ، لأن السامع قد يخدع بهذه الطريقة • وأقصد بذلك انه اذا كانت اللغة ــ مثلا ــ خشنة ، فينبغي ألا يكون الصوت والملامح وما ارتبط بذلك خشنة أيضا ، والا لافتضحت حقيقة كل واحد منها • لكنك اذا فعلت ذلك في حالة ، وليس في حالة أخرى ، فان

---

(١) يشير الى ايسقراطيس .

(٢) أو« على كل القواعد التي ذكرناها من قبل » .

(٣) أ ى تكييف الصوت والملامح الخ مع الموضوع .

؟

الصنعة تند عن الاتباه ، على الرغم من أن النتيجة واحدة • واذا عـبر عن العواطف الرقيقة بخشونة ، أو عن العواطف الخشنة برقة ، لافتقر الكلام الى الاقناع •

ب ـ إستعمال الألفاظ المركبة والأعجمية

والالفاظ المركبة ، وعدد من الأوصاف ، والكلمات الأعجمية (الأجنبية) خصوصا ـ كل هذه مناسبة للخطيب الأنفعالي ، لأنه حين يكون المرء غاضباً فهو معذور ان وصف شراً بأنه « عال علو السماء » أو « رائع » • ويمكنه أن يفعل الشيء نفسه اذا اختلب ألباب السامعين وملأهم بالحماسة ، امـا بالمدح ، ، أو الذم ، أو الغضب ، أو المودة ، كما فعل ايسقراطيس في نهاية خطبـة مديح (١) : « آه ! الاسم والشهرة ! » و « في هـذا هم تحملـوا وصبروا » • لأن هذه هي لغة الخطباء المتحمسين ، ومن الواضح ان السامعين يقبلون ما يقولون بروح متعاطفة واياهم • ولهذا فان هذا الأسلوب مناسب للشعر • ومن ثم ينبغي استعماله اما بهذه الطريقة ، أو حين التهكم ، على غرار جورجياس ، أو أفلاطون في « فيدرس » (٢) •

٨
في الإيقاع الخطابي
١ ـ إيقاع الأسلوب

فأما شكل القول فينبغي ألا يكون ذا وزن ، ولا بدون ايقاع • فانه ان كان ذا وزن ، فانه يفتقر الى الاقناع ، لانه يبدو متكلفا ، وفي نفس الوقت يصرف انتباه السامع ، اذ يوجهه الى ترقب عودة سياق الوزن ، تماما مثلما يصيح الصبيان : « قليون » (٣) حينما ينادي المنادون العموميون : « أي

(١) راجع Isocrates : Paneg., 186

(٢) افلاطون، : « فيدرس » ص ٢٣٨ د ، ٢٤١ هـ .

(٣) كان قليون Κλέων في الأصل دباغا ، ثم شارك في الحياة السياسية ضد بركليس . فلما توفي بركليس في سنة ٤٢٩ ق.م. ، أصبح قليون محبوب الجماهير ، وظل طوال ست سنوات (٤٢٨ ـ ٤٢٢) على رأس حزب الحرب ، في الحروب البلوبونيزية . وثيوكوديدس يصفه بانه سافل لا مبادىء له وديما جوجى بغير وازع اخلاقي . وما يذكره أرسطو هنا دليل على شعبيته لدى العبيد والدهماء .

مولى يختار العبد المحرر »

واذا كان بدون ايقاع ، فانه يكون غير محدود ، بينما ينبغي أن يكون محدودا (لكن لا بالزمن) ، لأن ما هو غير محدود لا يسر ولا يمكن أن يعرف . وكل الأشياء محدودة بالعدد ، والعدد الخاص بشكل القول هو الايقاع ῥυθμός ، والأوزان (البحور) أقسام من الايقاع . ولهذا ينبغي أن يكون النثر ذا ايقاع ، لا ذا وزن ، والا لكان شعراً . كذلك ينبغي ألا يلتزم هذا الايقاع التزاما دقيقا ، بل الى حد ما فقط .

٢ ـ أنواع الإيقاع

ومن بين أنواع الايقاع : البطولي (١) ἡρῷος هو الفخم ، لكن يعوزه انسجام الأحاديث العادية ، والايامبو هو لغة الكثيرين ، ولهذا كان أكثر الأوزان (البحور) استعمالا في اللغة المعتادة ، لكن القول ينبغيأن يكون فخماً ومحسوباً لايقاظ السامع . فأما الطر وخاوس فهو أكثر شبهاً بالكورداكس ، ـ (١٤٠٩ أ) لأن الطر وخاوس هو على ايقاع الأوزان الرباعية ، التي تؤلف ايقاعاً متسارعاً . بقي الفاين الذي بدىء في استعماله من زمان ثراسوماخوس ، وان كان أهل الخطابة لم يعرفوا كيف يحدونه .

والفاين παιάν نوع ثالث من الايقاع وثيق الصلة بالأوزان التي

---

(١) الايقاع البطولي يتالف هكذا : دكتيل ∪∪ــ ، اسبوندي ــ ــ ، انفسطس ــ ∪∪ والطروخاوس يكون هكذا ∪ ــ ، وكورداكس : نوع من الرقص الشهواني الفطرى كان مشهورا عند اليونان الاقدمين ، والايامبو هكذا ــ ∪ ، الفاين παιάν هكذا ــ ∪∪∪ ، ولهذا كان وسطا بين الايامبو والطروخاوس .

ويتذكر القارىء العربي أن الوزن في الشعر اليوناني يقوم على اساس التميز بين المقاطع الطويلة والمقاطع القصيرة . والمتطع القصير يساوي زمنا واحدا ، والطويل يساوي زمنين . والزمن إما قوي أو ضعيف [وتوالي المقاطع الطويلة والقصيرة ثم توالي الأزمنة القوية والضعيفة يؤلفان إيقاع البيت من الشعر أو الوزن . والمقطع الطويل يرمز إليه بشرطة ــ ، والقصير بنصف دائرة لنا .

ذكرناها ، لأن نسبته ٢:٣ ، ونسبة الأخرى ١ : ١ ، و ٢ : ١ ، وبكليهما يرتبط الفاين ونسبته ١/١٢ : ١ • فعلينا ألا نعير التفاتاً الى سائر الأوزان للأسباب التي ذكرناها ، وأيضاً لأنها ذات وزن ، ولكن يجب علينا الاحتفاظ بالفاين لأنه الوحيد من بين الأوزان المذكورة ، الذي ليس مكيفاً مع نظام وزني ، ولهذا كان من المحتمل جداً ألا يكتشف • وفي الوقت الحاضر لا يستعمل غير نوع واحد من الفاين ، في البداية وعند النهاية ، لكن ينبغي مع ذلك أن تختلف النهاية عن البداية • ويوجد نوعان من الفاين كلاهما يقابل الآخر • أحدهما مناسب للبداية ، حيث يستعمل فيها في الواقع • ويبدأ بمقطع طويل ، وينتهي بثلاثة مقاطع قصيرة (١) :

يا من ولد في ديلوس ، أو ربما في لوقيا

Δαλογενες / εἴτε Λυκι/αν

و — ∪ ∪ ∪ | — ∪ ∪ ∪ |

يا ابن زيوس ، يا صاحب الشعر الذهبي البعيد المرمى

Χρυσεοκομ/α Ἕκατε | παῖ Διος

— ∪ ∪ ∪ / — ∪ ∪ ∪ |

والآخر : على العكس يبدأ بثلاثة مقاطع قصيرة وينتهي بمقطع طويل :

« بعد الأرض والمياه ، أرخى الليل سدوله على المحيط » •

μετα δε γᾶν / υδατα τ' ὠ/κεου ἠ/φανισε ∪∪

∪ ∪ ∪ — | ∪ ∪ ∪ — / ∪∪∪ — / ∪∪∪ —

وهذه نهاية مناسبة لأن المقطع القصير ، لما كان ناقصاً ، فانه يشوه سياق الايقاع • لكن الدور Periode يجب أن يقطع بمقطع طويل ، ويجب تحديد النهاية بوضوح ، لا بواسطة الناسخ أو بعلامة ترقيم ، ولكن بالايقاع نفسه •

---

(١) الأبيات الثلاثة الآتية منسوبة إلى سيمونيدس — راجع P.L.G., fragm. 2163

وحسبنا هذا لبيان أن الأسلوب يجب أن يكون ذا ايقاع ، وينبغي ألا يكون بدون ايقاع ، ولبيان ما هي الايقاعات ، وأي ترتيب لها يجعلها بهـذا الطابع .

٩
الأسلوب المتصل والأسلوب الدوري
١ ــ نوعا الأسلوب

والأسلوب يجب أن يكون اما متصلا متحداً بربطات ، مثل الاستهلالات الدثرومبية dithyrambic ، واما دورياً Periodique مثل الأدوار المقابلة antistrophes عند الشعراء القدماء . والأسلوب المتصل قديم ، مثال ذلك : « هذا عرض للبحث الذي تولاه هيرودوتس الذي من ثوريوي (١) Thurii » . وكان الكل يستعملون هذا الأسلوب في الزمان السالف ، أما في الوقت الحاضر فلا يستعمله الا قلة . وأقصد بالأسلوب المتصل Continuous . وكان الكل يستعملون هذا الأسلوب في الزمان السالف ، أما في الوقت الحاضر فلا يستعمله الا قلة . وأقصد بالاسلوب المتصل Continuous الأسلوب الذي ليس له نهاية في ذاته ، وانما يقف فقط حين يتم المعنى . وهو ليس بسار ، لأنه لا ينتهي ، والناس جميعا يتشوقون الى رؤية النهاية . وهذا يفسر لماذا يفقد العداؤون أنفاسهم وقواهم حين يبلغون الهدف ، بينما لا يبدون قبل ذلك عن علامات التعب ، حين تكون النهاية في مـدى النظـر . وهكذا حال الأسلوب المتصل .

٢ ــ الأسلوب الدوري

أما النوع الآخر من الأسلوب فيقوم في أدوار ، وأقصد بالدور جملة لها بداية ونهاية في ذاتها ، ولها حجم يمكن ادراكه بسهولة . وما يكتب بهـذا

---

(١) مدينة يونانية في مقاطعة لوقانيا (جنوبي ايطاليا) اسسهافي سنة ٤٤٣ ق.م مستعمرون من مختلف بلاد اليونان ، ومنهم هيرودوتس المؤرخ المشهور ، ولوسياس الخطيب ، وصارت من اهم المدن اليونانية في جنوبي إيطاليا .

الأسلوب لذيذ ، ويسهل تعلمه : هو لذيذ لأنه ضد ما لا حدود له ، اذ السامع يظن في كل لحظة انه يؤمن لنفسه شيئاً وأن ثم نتيجة وصل اليها ، كما انه لبس من اللذيذ ألا تتوقع وألا نحصل على نهاية شيء ما . وهو سهل التعلم ، لأنه يمكن الذاكرة أن تحتفظ به بسهولة . والسبب في ذلك أن للأسلوب الدوري عدداً » والعدد أسهل الأشياء في التذكر . وهذا يفسر لماذا يتعلم الناس الشعر بسهولة أكبر من النثر ، ذلك أن في الشعر عددا يقاس به ويوزن . لكن الدور يجب أن يكمل بالمعنى ولا يقف منقطعاً ، كما في ايامبوسوفقليس (١) :

هذه قاليدون ، أرض بلاد فيلوفس »

اذ بتقسيم كهذا من الممكن أن نفهم عكس الواقع ، فنفهم أن قاليدون في فلوفونيسوس . والدور يمكن أن يكون مؤلفا من أقسام ، أو بسيطاً . والأول جملة تامة ، متميزة الأجزاء ومن السهل تكرارها في نفس ، وليست مقسومة مثل دور سوفقليس المذكور من قبل ، ولكن حين تؤخذ ككل . وأقصد بالأقسام ما يتألف منه هذا الدور ، وأقصد بالدور البسيط الدور المؤلف من قسم واحد . لكن ينبغي ألا تكون الأقسام ولا الأدوار قصيرة جدا ولا طويلة جدا . اذ لو كانت قصيرة جدا ، فانها كثيراً ما تجعل السامع يعثر ، لأنه حين يهرع نحو الوزن الذي لديه عنه فكرة محددة ، فأنه اذا صدمه توقف المتكلم ، فلا بد من حدوث عثرة نتيجة للوقفة المفاجئة . واذا كانت طويلة جدا ، فانها تخلف السامع وراءها ، مثلما أن أولئك الذين لا يلفون

---

(١) هذا البيت هو في الواقع ليوريفيدس من مسرحية : « ملياجروس » (شذرة رقم ٥١٥ في T.G.F.) . وقاليدون مدينة في ايتوليا ، وايتوليا اقليم في شمال بلاد اليونان ، يحد شمالا وشرقا بهضاب جبل البرناسوس الغربية واوتا ، وغربا بنهر خيلوس ، وجنوبا بخليج كورنثوس وفيلوفس Pelops في الاساطير اليونانية هو ابن طنطالوس . وباسمه سميت فلوفونيوس . والبيت كما هو يوهم أن قاليدون في فلوفونيسوس ، وهو غير صحيح . فالمعنى هو : « هذه أرض قاليدون بسهوله الخصبة في الاقليم المواجه لفلوفونيسوس » .

يمكن ان يعتذر عن خطأ أرسطو هنا في نسبته الشعر الى سوفقليس ، لا الى يوريفيدس بأن يقال ان في مسرحية فيلوقطيط Phifoctete لسوفقليس مطلعا جغرافيا شبيها بهذا : « هذا هو الشاطئ الوعر لأرض تعضها الامواج من كل جانب » .

الا بعد اجتياز الحد العادي يخلفون وراءهم من يمشون معهم • وبالمثل فأن الادوار الطويلة تتخذ نسب الكلام ، وتشبه الاستهلالات الدثرومبية • وهذا يؤدي الى ما نعاه ديمقريطس الخيوسي [1] على ميلانيفيدس Μελανιππίδης مازحا ، وكان[2] يؤلف استهلالات دثرومبية بدلا من أدوار مقابلة :

« انما يضر المرء بنفسه اذا أضر بغيره

والاستهلال الطويل قاتل لمن يؤلفه »

لأن هذين البيتين يمكن أن ينطبقا على اولئك الذين يستخدمون أقساماً طويلة • وأيضاً ، اذا كانت الأقسام قصيرة جداً ، فانها لا تؤلف دورا ، حتى ان السامع ينهار •

وأقسام الأسلوب الدوري مقسمة أو متقابلة : مقسمة مثلما في الجملة التالية : « دهشت دائماً من اولئك الذين حشدوا الجمعيات العامة وأسسوا المباريات الرياضية » [3] • ومتقابلة : (١٤١٠ أ) حين يوضع كل ضد بقرب ضده في كل قسم من القسمين في الدور ، أو اذا ربطت نفس الكلمة بكلا الضدين ، مثال ذلك : « كانوا نافعين لكليهما : لمن بقوا ، ولمن تبعوهم ، لأنهم للأخيرين اكتسبوا مقتنيات أكبر مما كان لهم في ديارهم ، وللأولين تركوا ما كان كافياً لهم في ديارهم • » فهنا تقابل بين « من بقوا » و « من تبعوهم » ، وتقابل بين « أكبر » و « كاف » • ومثال آخر : « لمن يحتاجون لاقتناء المال، والان يريدون الاستمتاع به » ، فهنا : « الاستمتاع » ضد « الاقتناء » وأيضا : « كثيراً ما يحدث في هذه الأحوال أن العقلاء لا ينجحون ، بينما الحمقى ينجحون » • ومثال آخر : « وفي الحال اعتبروا جديرين بجائزة

---

(١) موسيقار يوناني شهير ، وهو غير ديمقريطس الفيلسوف ، وان كانا من نفس البلد ، راجع ديوجانس اللائرتي ﺣ ٢ ص ١٨٤ ترجمة فرنسية — باريس ١٩٦٥ •

(٢) من ميلوس ، وقد كتب استهلالات دثرومبية بدون أدوار مناظرة — وراجع هسيود : « الاعمال والأيام » ، البيتان ٢٦٥ ، ٢٦٦ •

(٣) هذا هو استهلال خطبة مديح Panegyricus تاليف ايسقراطيس •

الشجاعة ، وبعد ذلك بمدة غير طويلة ظفروا بالسيطرة على البحر » • ومثال آخر : « يبحر على البر ، ويسير برا عـلى البحر ، ويتقنطر عـلى مضيـق الهيلسبونت (الدردنيل) ويحفر طريقه خلال (جبل) أثوس » • ومثـال آخر : « وهؤلاء ، وان كانوا مواطنين بالطبيعة ، فقد حرموا من حقـوق المواطنة بالقانون » • ومثال آخر : « لأن بعضهم هلكوا بائسين ، والبعض الآخر نجوا على نحو شائن » • ومثال آخر : « سراً يستخدم البرابرة خدماً ، وعلناً لا يلقي بالا لكثير من الحلفاء الذين صاروا عبيداً » • ومثال آخر : « أما أن يملكه وهو حي ، أو يخلفه وراءه وهو ميت » (١) • وكذلك ما قاله أحدهم ضد فيثولاوس ولوقوفرون (٢) في المحكمة : « هذان الرجلان اعتـادا أن يبيعاكم لما كانا في بلادهما ، والآن جاءا اليكم ها هنا واشترياكم » وكل هذه العبارات لها نفس التركيب الذي وصفناه سابقا ، ومثل هذا الشكل من الكلام يبعث على الرضا ، لأن معنى الأفكار المتقابلة يدرك بسهولة ، لا سيما اذا وضعت هكذا بعضها الى جوار بعض ، وأيضاً لأن لها تأثير الحجة المنطقية ، فانك بوضعك نتيجتين متقابلتين الى جوار بعضهما بعضاً ، تبرهن عـلى أن احداهما كاذبة •

٣ ــ التقابل ، المضارعة ، السجع

تلك هي اذن طبيعة التقابل « ἀντίθεσις » • أما اذا كانت الأقسام متساوية فهذا يسمى مضارعة παρίσωσις ، وتشابه المقاطع الأخيرة في كل قسم يسمى السجع παρομοίωσις • ويجب أن يقع ذلك في بداية أو نهاية الأقسام • وفي البداية يكون التشابه ظاهراً دائماً في ألفاظ كاملة ، وفي النهاية يكون التشابه في المقاطع الأخيرة ، أو تصاريف الكلمة نفسها ، أو تكرار الكلمة نفسها • مثال ذلك في البداية : Ἀγρὸν γὰρ ἔλαβεν
ἀργὸν παρ' αὐτοῦ

---

(١) كل هذه الشواهد ماخوذة من Panegyricus تاليف ايسقراطيس : ١ ، ٣٥ ، ٤١ ، ٤٨ ، ٧٢ ، ٨٩ ، ١٠٥ ، ١٤٩ ، ١٨١ ، ١٨٦ ــ مع اختلاف طفيف .

« حقلا أخذه قحلا من يديه » (١)

ومثال آخر :

δωρητοὶ τ' ἐπέλοντο παράρρητοὶ τ' ἐπέεσσιν

« كانوا مستعدين لقبول المنح والاقتناع بالمدح » (٢)

ومثاله في النهايات (٣) :

⟨οὐκ⟩ ᾠήθησαν αὐτὸν παιδίον τετοκέναι, ἀλλ' αὐτοῦ αἴτιον γεγονέναι

« زعموه لا والده بل علة مولده »

ἄξιος δὲ σταθῆναι χαλκοῦς, οὐκ ἄξιος ὢν χαλκοῦ

وأيضا :

« في وسط هموم وفيرة وآمال ضئيلة » (٤)

ومثال التصريف في نفس الكلمة :

ἐν πλείσταις δὲ φροντίσι καὶ ἐν ἐλαχίσταις ἐλπίσιν

=(٢) هما قاتلا الكسندروس ، طاغية فيرا بتحريض من اختهما وكانت زوجة لاكسندروس والمعنى أنهما حينما كانا فى فيرا اعتادا أن يبيعاكم كعبيد ، أما الآن فقد جاءا لشرائكم ، مشيرا الى رشوة القضاة .

وبعض المترجمين يفهم الفعل ὠνεῖσθαι على أنه في حالة ما وقع عليه الفعل passive ويكون المعنى هو : فلما جاءا إلينا بيعا ، أي عليهما أن يبيعا نفسيهما لكم . والمترجم العربي القديم (ص ٢١١ ، س١) قد فهم الفعل هو الآخر .

(١) أرسطوفانس ، الشذرة رقم ٦٤٩ Kock, Com. Att. Frag. i, 1880

(٢) هوميروس : « الالياذة » النشيد التاسع ، البيت رقم ٥٢٦ .

وفي المثال الاول الجناس تام تقريبا بين ἀργὸν ἀγρὸν . وفي المثال الثاني الجناس جزئي في آخر الكلمتين δωρητοί παράρρητοι وقد حاولنا التزام ذلك في الترجمة العربية : حقل ، قحل — منح — مدح .

(٣) مجهول المؤلف ، وربما كان قولا متهكما فى قضية تتعلق بالابوة .

(٤) مجهول المؤلف .

« أيستحق أن يكون له تمثال برنزي ، وهو لا يساوي برنزية ؟ ! »[1]

ومثال تكرار نفس الكلمة :

σὺ δ' αὐτὸν καὶ ζῶντα ἔλεγες κακῶς καὶ νῦν γράφεις κακῶς

« لما كان حيا تكلمتم عنه بالسوء ، والآن تكتبون عنه بالسوء »[2]

ومثال المقطع الواحد (١٤١٠ ب) :

τί δ' ἂν ἔπαθες δεινόν, εἰ ἄνδρ' εἶδες ἀργόν

« أكان مما يزعجكم فعلا لو كنتم رأيتموه متبطلا »[3]

وكل هذه الأشكال يمكن أن توجد في نفس الجملة الواحدة معا : التقابل، المضارعة ، تشابه النهايات (السجع) . وقد ذكرنا في ثيودكتيا[4] بدايات الأدوار[5] تقريبا . وتوجد أيضا تقابلات زائفة ، مثلما في بيت شعر افيخارمس :

τόκα μὲν ἐν τήνων ἐγὼν ἦν, τόκα δὲ παρὰ τήνοις ἐγών[6]

« في مرة كنت في دارهم ، وفي مرة أخرى كنت معهم » .

١٠

في الأقوال الأنيقة الأخاذة

وبعد أن فرغنا من حل هذه المسائل ، علينا تقرير مصادر العبارات الأنيقة

---

(١) مجهول المؤلف . التصديف هنا؛ χαλκοῦν ، χαλκοῦ تمثال من البرنز ، وقطعة نقود برنزية . فالكلمة الأولى = برنزي (صفة من : برنز) ، والكلمة الثانية اسم مضاف من الكلمة χαλκός = شيء مصنوع من البرنز مثل العملة أو الآنية .

(٢) تكررت كلمة κακῶς : بالسوء .

(٣) السجع هنا بين : فعلا ، متبطلا .

(٤) ἐν τοῖς Θεοδεκτείοις كتاب ألفه أرسطو في فن الخطابة وسمي باسم تلميذه وصديقه كيودكتس ، أو أهداه إليه .

(٥) في النص اليوناني الذي حققه ريمر Roemer يوجد : ἀρεταί (فضائل) .

(٦) لا يوجد ها هنا تقابل حقيقي ، لأن معنى العبارتين واحد .

والأخاذة . انها تنتج اما عن موهبة طبيعية ، أو بالتمرين ، ومهمة هذا البحث هي بيان ما هي . فلنبدأ اذن بايراد تبت كامل بها ، ولتكن نقطة البدء هي التالية : ان التعلم السهل لذيذ بطبعه للجميع والكلمات تعني أشياء ، ولهـذا فان الكلمات التي تمكننا من تعلم شيء هي سارة جدا . ونحن لا نعلم معاني الكلمات الغريبة ، لكننا نعرف الكلمات السليمة . ولهذا فان المجاز هو الذي يحدث ــ قبل غيره ــ هذا التأثير ، فهوميروس[1] حين يسمي الشيخوخة : قصبة ، يعلمنا ويخبرنا بواسط الجنس ،لأن كليهما فقد ازدهاره .وتشبيهات الشعراء لها أيضا نفس التأثير ، ولهذا فانها اذا أحكم بناؤها تحدث انطبـاع الأناقة . ذلك أن التشبيه ــ كما قلنا ــ هو مجاز يختلف باضافة كلمـة[2] ، ولذا كان أقل امتاعا لأنه أطول ، انه لا يقول ان هذا هو ذاك ، حتى ان العقل لا يفحص هذا . ولهذا فان كل أسلوب وكل ضمائر تعطينا معلومات هي أنيقة . وهذا هو السبب في أن الضمائر السطحية ، أعني تلك الواضحةللجميع ولا تحتاج الى أي مجهود عقلي ، وكذلك تلك التي اذا قيلت لا تفهم ، ليست محبوبة ، وانما المحبوب تلك التي تفهم بمجرد التلفظ بها ، أو تلك التي وان لم يكن معناها واضحا للوهلة الأولى فانها تفهم بعد قليل ، لأنه من الأخـيرة يتحصل نوع من المعرفة ، أما من الأولى فلا يتحصل هذا ولا ذاك[3] .

ففيما يتعلق بمعنى ما قيل فان مثل هذه الضمائر محبوبة . أما الأسلوب فترجع جاذبية صورته الى التقابل ــ مثال ذلك : « مقدرا أن السلام الذي شارك فيه الجميع هو حرب ضد مصالحهم الخاصة »[4] ، فهنا « الحرب » في مقابل « السلام » ، أما الكلمات فتكون جذ بة ، اذا احتوت على مجاز ،بشرط

---

(١) هوميروس : « الاوديسا » ١٤ : ٢١٣ . والكلام لاوديسيوس ــ وقد حولته اثينا الى شحاذ عجوز ــ مخاطبا يومايوس ، راعي خنازيره الامين ، وكان قد اقام في بيته تخفيا . والقصبة : ما يبقى من ساق القمح بعد الحصاد .

(٢) هي أداة التشبيه : الكاف .

(٣) أي أن كلا النوعين الاخيرين من الضمائر يزود بمعلومات ، بينما الضمائر السطحية لا تعلمنا شيئا لا فيالحال ولا بعد قليل من التامل .

(٤) ايسقراطيس : فيليوس Philippus ، ٧٣ .

ألا يكون غريبا ، اذ يصعب حينئذ ادراكه من أول نظرة ، وبشرط ألا يكـــون سطحيا ، اذ في هذه الحالة لا يجتذب السامع • كذلك اذا وضعت الكلمـــات الأشياء « أمام العيون » ، لأنه ينبغي علينا أن نشاهد ما حدث أولى مـــن أن نشاهد ما سيحدث • ولذا ينبغي أن نستهدف ثلاثة أشياء : المجاز ، والتقابل ، والحضور •

وأشد أنواع المجاز اجتذابا (١٤١١ أ) ــ وعدتها أربعة[1] ــ هي تلك القائمة على التناسب • مثل ذلك ما قاله بركليس عن الشباب الذين هلـــكوا أثناء الحرب انهم اختفوا من الدولة كما لو كانت السنة قد فقدت ربيعهـــا • ولفتيناس Λεπτίνης وهو يتكلم عن اللاقدامونيين ، قال انه لن يســـمح للأثينيين أن يجعلوا بلاد اليونان تفقد احدى عينيها • وحينما كان خـــارس Χάρης متلهفا على أن يفحصوا دوره في الحرب الألونثوسية Ὀλυνθιακὸν صاح قفيسودوتس Κηφισόδοτος غاضبا : انه يريد فحص حسابه الآن « بينما أصابعه تمسك بخناق الشعب »[2] • وفي مناسبة أخرى حث الأثينيين على السير الى يوبويا بدون ابطاء ، « وأن يكون عطـــاؤهم هو مرســـوم ملتيادس »[3] • وبعد أن عقد الأثينيون الصلح مع أفيدوروس والمدن البحرية ، صاح ايفقراطيس غاضبا : لقد حرموا أنفسهم من زاد الحرب • وفيثولاوس Phitholaus سمى فارالس Paralus[4] : « هـــراوة الشـــعب » ، ونعت سيستوس بأنها « غربال (ميناء) بيريه » • ونصح بركليس بازالة يجينا ، « قذى (ميناء) بيريه » ومويروكليس وهو يذكر بالاسم شخصا محترما

---

(١) راجع م١ ف٧ ص ١٣٦٥ أ ٣٢ ، ٣٣ .

(٢) أي وهو لا يزال قائداً للمرتزقة ، وبذا يستطيع إرغام الشعب للحصول على ما يريد . وكان قفيسودوتس وخارس قائدين أثينيين . والونثوس Olunthos مدينة في خقلديقي ، بالقرب من عنق شبه جزيرة فالين Pallene

(٣) البعض يترجم هكذا : « وأن يتزودوا هناك ، مثل مرسوم ملتيادس » وربما كان في ذلك إشارة الى مرسوم أصدره ملتيادس (قائد اليونانيين في انتصارهم على الفرس في موقعة سهل ماراثون) ونفذ بسرعة ، حتى ضرب به المثل فيما بعد . والحملة المشار إليها هنا قصد بها الى مساعدة يوبويا ضد ثيبا .

(٤) اسم سفينة كانت تنقل مساجين الدولة .

جدا ، قال عنه انه وغد مثله ، لأنه بينما ذلك الرجل « الشريف » يمثل الوغد بنسبة ٣٣ ٪ ، فانه هو[1] نفسه قنع بمقدار ١٠ ٪ • كذلك ايامبو انكسندريدس[2] عن البنات اللواتي تأخر زواجهن :

« بناتي تجاوزن أوان الزواج » •

وكذلك قول فوليوقتس[3] Polyeuctus عن مشلول اسمه اسبيوسيفوس : « انه لم يكن يستطيع التزام الهدوء ، بالرغم من أن القدر قد شده في وثاق من المرض ذي خمسة ثقوب » • ونعت قفيسودونس السفن ذات المجاذيف الثلاثة بأنها « طواحين مدهونة « ، و « ذيوجانس » الكلبي اعتاد أن يقول ان الحانات هي « مطاعم » أتيكا • وأيسيون[4] Aesion اعتاد أن يقول انهم « صرفوا » الدولة الى صقلية[5]، وهذا مجاز يجعل الأمر ماثلا أمام الأعين • وكلماته : « وهكذا أطلقت اليونان صرخة » هي أيضا ــ الى حد ما ــ مجاز حي • وأيضا ، لما طلب قفيسودوتس من الأثينيين أن يحذروا من عقد « اجتماعاتهم » مرارا عديدة جدا ، وبالمثل ، لما تكلم ايسقراطيس[6] عن أولئك « الذين يتدافعون » في الاجتماعات • وكما يقول لوسياس في « خطبة الرثاء » انه كان من الصواب ان تجز اليونان شعرها على قبر أولئك الذين قتلوا في سلاميس ، لأن حريتها دفنت مع شجاعتهم • ولو قال المتكلم

---

(١) كان مويروكليس معاصراً لديموسثانس ، ومعارضاً للحزب المقدوني ، ويظهر أنه كان محبا لاكتناز المال ، وحوكم مرة بسبب الابتزاز . وهو يقيس درجة احتياله بمقدار ما ناله بالنسبة الى ما ناله ذلك الرجل المزعوم أنه محترم جداً وشريف !

(٢) Anaxandtides شاعر من شعراء الكوميديا الوسطى . الشذرة رقم ٦٨ فى : Kock Com. Att. Fragm. ii والمجاز في قوله ὑπερήμεροι وهم الذين لم يسددوا الدين عند حلول موعد الوفاء ؟ كان بناته لم يسددن دين الزواج حين حل ميعاده !

(٣) خطيب أثيني كان خصما لديموسثانس .

(٤) خطيب أثيني كان خصما لديموسثانس .

(٥) صرفوا : بمعنى صرف الماء في الري والزراعة . وهو هنا يشير الى الحملة البائسة التي وجهت ضد صقلية .

(٦) ايسقراطيس : « فيليفوس » Philippus ، ١٢ . والكلام هنا عن حشد جماهير الدهماء في حالة هياج .

أنه كان يليق باليونان أن تبكي ، اذ دفنت شجاعتها معهم ، لكان ذلك مجازا ومجازا حيا ، (١٤١١ ب) بينما « حرية » الى جوار « شجاعة » تحدث نوعا من التقابل • وكما قال ايفقراطس : « ان طريق كلماتي يقود خلال مركز أفعال خارس » ، وهنا المجاز بالتناسب ، والعبارة : « خلال مركز » تضفي حيوية على التعبير • كذلك أن نقول انه « يدعو الأخطار ليعين ضد الأخطار » ـ هذا مجاز حي • وقد قال لوقليون Lycoleon عن خبريوس Chabrios « انه لا يحترم ولا الموقف الضارع لتمثاله البرنزي[1] ـ وهذا مجاز وان كان يعبر عن لحظة ، لا عن كل الأوقات ، فانه مع ذلك حي ، لأنه حين يكون خبرياس في خطر ، فانالتمثال يشفع له ، وهكذا يصبح الجماد حيا ، ذكرى لما صنعه للدولة • ومثال آخر : « دارسا فقر الروح بكل طريقة »[2] ـ اذ « دراسة» الشيء تتضمن زيادته ونموه[3] • ومثال آخر : « العقل نور أشعله الله في النفس » ، لأن العقل والنور يجعلان الشيء جليا • ومثال آخر : « لأننا لم نضع نهاية للحروب ، بل أجلناها »[4] ـ لأن كلتا الفكرتين تشير الى المستقبل : التأجيل ، هذا النوع من السلام • وأيضا من المجاز أن نقول ان مثل هذه المعاهدة « تمنحه أفخم من الغنائم التي كسبناها في الحرب » ، لأن هذه تذكار لمزايا ضئيلة ونعمة واحدة من نعم الحظ ، أما الأولى (المعاهدة) فتذكار لنهاية الحرب كلها « [5] ، ذلك لأن المعاهدة والغنيمة كلتيهما علامة على الانتصار • وأيضا : ان المدن أيضا تدفع الحساب لرقابة الناس ، لأن دفع الحساب نوع من العقاب العادل •

---

(١) اقيم لخبرياس تمثال بعد احد انتصاراته ، يمثله راكعا على الارض ، وهذا الموقف هو الذي امر جنوده باتخاذه انتظارا لمقدم العدو . وكان هذا التمثال في الأجورا ويمكن رؤيته من المحكمة

(٢) ايسقراطيس Panegyricus ، ١٥١ .

(٣) مجاز من النوع الى الجنس ، إذ « الدراسة » نوع من « الزيادة » والإنما . واعتاد أن « يدرس » الانسان ابتغاء تنمية صنعة حسنة فيه ، لا سيئة .

(٤) ايسقراطيس Panegyricus ، ١٧٢ .

(٥) الخطبة نفسها ، ١٨٠ .

١١

وسائل تجميل الأسلوب

قلنا ان الأقوال الأنيقة تؤخذ من المجاز المتناسب ومن التعبيرات التي تجعل الأشياء تمثل أمام العيون . وعلينا الآن أن نشرح معنى « أمام العيون »، وماذا ينبغي أن نعمل لاحداث هذا التأثير . وانما أعني أن توضع الأشياء أمام العيون بواسطة الكلمات التي تدل على الحضور الفعال . مثال ذلك أن نقول عن رجل طيب انه « مربع »[١] ، فهذا مجاز لأن كليهما كامل ، لكن العبارة لا تعبر عن حضور فعال ، بينا العبارة : «مطلع حياته في ازدهار كامل» فيها حضور فعال . وبالمثل : « أنت مثل الحيوان المقدس الذي يتجول كما يشاء » ـ هذا تعبير ينطوي على حضور فعال . وفي البيت :[٢]

« وفي الاثر وثب اليونانيون »

فان كلمة « وثب » [illegible] تتضمن الحضور الفعال والمجاز . كذلك حين يستخدم هوميروس المجاز بجعل الجماد يتكلم وكأنه حيوان ، وجاذبيته هي في خلق هذا الحضور الفعال في مثل هذه الأحوال ، كما في الأمثلة التالية :

« وعادت الصخرة التي لا ترحم تنحدر الى السهل »[٣]

« طار السهم »[٤]

« (والسهم) متعطش للطيران (نحو الحشد) »[٥]

---

(١) قول لسيمونيدس ، الشذرة رقم ٥ في P.L.G. ii والرجل الطيب كامل مثل المربع ، ولكن هذا يخلو من الحضور الفعال .

(٢) يوريفيدس : « افيجنيا في أوليس » ، ٩٠ .

(٣) هوميروس : « الاوديسا » ١١ : ٥٩٨ .

(٤) هوميروس : « الاوديسا » ١٣ : ٥٨٧ .

(٥) هوميروس : « الاوديسا » ٤ : ١٢٦ .

(١٤١٢ أ) « (والرماح) دفنت في التراب ، وهي تتشوق الى كفايتها من اللحم »[1]

« وأسرع سن الرمح بشغف في حنايا صدره »[2]

ذلك لأن في كل هذه الشواهد مظهرا على الحضور الفعال ، لأن الأشياء تصور على أنها حية : « الصخرة التي لا ترحم » ، « سن الرمح الشغوف » ، وسائرها • وهوميروس ربط هذه الصنات بواسطة استعمال المجاز بالتناسب: فنسبة الصخرة الى سيسوفوس ، كنسبة الصخرة التي لا ترحم الى من يعامل بغير رحمة • وفي تشبيهاته المحبوبة يسلك نفس المسلك مع الأشياء غير الحية :

« ذات اقواس ، وأعرافها من الزبد ، البعض في المقدمة ، والأخرى في المؤخرة » اذ هو يضفي الحركة والحياة على كل الأشياء ، والحضور الفعال حركة •

وكما قلنا من قبل ، ينبغي استمداد المجازات من الموضوعات الملائمة للموضوع ، ولكن دون الافراط في الوضوح ، مثلما في الفلسفة لا بد من حصافة لادراك التشابه بين الأشياء المنفصل بعضها عن بعض • مثال ذلك أن أرخوطاس Archytas قال انه لا فارق بين الحكم والمذبح ، لأن المظلوم يلجأ الى أحدهما • كذلك لو أراد الانسان أن يقول ان المرساة والكلاب المعلق شيء واحد ، لأن كليهما كالآخر ، لكنهما يختلفان في كون أحدهما معلق فوق، والآخر مغروز تحت • واذا كان على الانسان أن يقول ان « المدن سويت الى نفس المستوى » فهذا يؤدي نفس المعنى في حالة الأشياء المنفصلة بعضها عن بعض : فان المساواة تتعلق بالمساحة وبموارد المواطنين •

---

(١) هوميروس : « الاوديسا » ١١ : ٥٧٤ .

(٢) هوميروس : « الاوديسا » ١٥ — ٥٤١ .

(٣) هوميروس : « الاوديسا » ١٣ : ٧٩٩ . والكلام هنا عن « الأمواج التي يغلي بها البحر الصاخب » .

ومعظم التعبيرات الرشيقة تنشأ عن المجاز ، وعن نوع من التمويه يدركه السمع فيما بعد ، ويزداد ادراكا كلما ازداد علما ، وكلما كان الموضوع معايرا لما كان يتوقعه ، وكان النفس تقول : « هذا حـق ، وأنا التي أخطـات » . واللطيف الرشيق من الأمثال هو ما يوحي بمعنى اكثر مما يتضمنه اللفظ ، مثل قول استاسخورس[1] : « لهم (أي للوكريين) تعني الزنابير من الارض » . وللسبب عينه كانت الألغاز لذيذة ، انها تعلمنا أمورا على سبيل المجاز . وكما قال ثيودورس[2] : « التعبيرات الجديدة تبعث على الرضا » . وتبلغ هـذه الغاية اذا كان الفكر خارجا عن المألوف ، غير متفق مع الآراء الجاريه ، كمـا لاحظ ثيودورس هذا نفسه ، على غرار ما يفعله واضعو المحاكيات الهزلية في مساخرهم . والتورية تؤدي الى نفس الأثر ، أعني الى اثارة الدهشة . وهذه الحيلة نجدها في الشعر حينما لا يجيء حسبما يتوقعه السمع ، ومثاله :

سار والأقدام يكسوها ارتعاد

فان السامع كان يتوقع من الشاعر أن يقول : « حذاء » . لكن لابد أن يتضح المعنى لدى سماع الجملة . أما التورية فقيمتها ناشئة من كونها تدل ، لا على ما يبدو في الظاهر منها ، بل على معنى الكلمة في صورتها المغيرة . فمثلا قول ثيودورس لنيقون العازف على القيثارة θράττεις σύ ـ يخيـل الى سامعه أنه يريد أن يقول : « أنت متضايق » ، وقد خدع السامع ، لأنه يريد أن يقول شيئا آخر (هو : أنت من تراقيا) . فالكلمة تلذ من يفهمهـا ، (١٤١٢ ب) أما اذا كان لا يعرف أن نيقون Nicon من تراقيا ، فلن يستشعر في الكلمة لذة . وهذا ينطبق كذلك على العبارة :

أتريد تضييعه[3] βούλει αὐτὸν πέρσαι

(١) استاسخورس Stesichoras في : « اللوكريون والزنابير » ، المقالة الثانية ، الفصل ٢١ ، بند ٨ .

(٢) ثيودورس Theodorus القوريناني ، فيلسوف يوناني عاش في نهاية القرن الرابع قبل الميلاد ومن أتباع ارسطيفوس . راجع عنه كتابا : « الفلسفة القوريناية » ، بنغازي سنة ١٩٦٩ .

(٣) كلمة πέρσαι لها معنيان : « تضييعه » و « الفرس » .

ويجب كذلك أن يكون المعنيان مقبولين . وكذلك الحال في تكـرار الألفاظ ، مثلما نقول ان « سيادة » ἀρχή الأثينيين على البحار ليست « الأصل» ἀρχή فيما أصابهم من ويلات ، لأنهم أفادوا منها . أو مثلما قال ايسقراطيس : « ان سيادة البحار كانت للأثينيين أصل المتاعب » . ففي كلا المقامين كان الكلام صحيحا ، ولكن ليس مما ينتظره السامع ، لأن القول بأن ال ἀρχή هو ال ἀρχή (المبدأ هو المبدأ) لا ينم عن أية براعة . لكن التعبير لم يكن كذلك ، وكلمة ἀρχή في الحالة الثانية ليس لها نفس المعنى الذي كان في الأولى .

وفي جميع هذه الأحوال ، اذا كان الاشتراك اللفظي أو المجاز هو الذي يأتي بالكلمة المناسبة ، فان النجاح مؤكد . فمثلا في قولنا :

Ανάσχετος οὐκ· ἀνάσχετος.

أنسخطوس مدعاة للسخط

ليس هنا اشتراك لفظي بالمعنى الدقيق ، لكن التعبير مناسب اذا كان الشخص فعلا كذلك . ومثال آخر :

لئن كنت غريبا ، فلا تكن غريبا أكثر مما ينبغي[2]

أو : لا تكن غريبا — والكلمة هي هي عينها

أو : « لا يليق بالغريب أن يكون غريبا » — فالكلمة هنا أخذت بمعنين مختلفين . ونفس هذه الحيلة نجدها في بيت الشعر المشهور لأنكسندريدس[3] :

---

(١) ايسقراطيس : « خطاب الي فيلبس » ٦١ ، « في السلام » ، ١٠١

(٢) من الغربة (أي أجنبي) والغرابة (غرابة الأطوار) .

(٣) Anaxandrides شاعر من شعراء الكوميديا الوسطى ، عاش في القرن الرابع قبل الميلاد ، قدم من رودس أو قولوفون الى أثينا ، وقد كسب عشر جوائز على ٦٥ كوميدية . ولم يبق لنا سوى أسماء اثنتين وأربعين منها . راجع شذراته في A. Meinke : Fragmenta Comicorum graecorum (1839-57) حـ٣ ص ١٦١ وما يليها ، T. Rock : Comicorum Atticorum fragmenta (1880-8) ص ١٣٥ وما يليها .

« ما أجمل الموت قبل ارتكاب ما يستحق الموت ! »

وهذا مثلما نقول : « ما أجمل أن يموت المرء دون أن يستحق الموت » ، أو « من الجدير أن يموت المرء وهو بالموت غير جدير » ، أو : « من الجدير أن يموت المرء دون ارتكاب ما يجعله بالموت جديرا » .

في هذه العبارات صورة الأسلوب واحدة بعينها . وكلما كانت أوجز ، كانت أشد تقابلا وألذ وقعا . والسبب في هذا أن التقابل يزيد من فهم الفكرة ، والايجاز يجعلنا أسرع الى فهمها .

ولابد من توافر عدة شروط ، منها : النظر فيمن يتوجه اليه الكلام ، ومراعاة حسن الانطباق اذا شاء المرء أن يبدو كلامه صادقا دون أن يكون مبتذلا . وقد يحدث ألا يجتمع هذان الشرطان ، فمثلا حينما نقول :

« ينبغي الموت قبل ارتكاب أي خطأ »

فليس في هذا التعبير روعة .

وحينما نقول : « المرأة الكفء لا بد لها من زوج كفء » .

هذا أيضا ليس فيه روعة . وانما يكون المعنى رائعا حينما نقول :

« الموت الجدير (بالتمجيد) موت من بالموت غير جدير » .

وكلما تضمنت العبارة معاني ، ازدادت روعة : مثل أن تكون الألفاظ مجازية ، والاستعارة مقبولة ، وثم تقابل أو طباق παρίσωσις ثم فعل .

أما الصور فانها ، كما قلنا من قبل ، مجازات مرموقة جدا . وتتألف دائما من حدين ، مثل الاستعارة التمثيلية . فمثلا حينما نقول : (١٤١٣ أ) « الدرع كأس الاله آرس (= المريخ) » [١] ، و «القوس قيثارة بغير أوتار [٢] »

---

(١) Bergk 4 : Timotheus, fragm. 16 راجع م٣ ف٤ .

(٢) نسبها ديمتريوس De- Eloc. 85 الى ثيوجنيس مؤلف المآسي .

وفي هذا نستخدم مجازا بسيطا • أما اذا قلنا : القوس فيثارة ، أو الدرع كأس ، فهنا مجاز بسيط •

ومن نوع هذه الصور تشبيه عازف الناي بقرد ، وتشبيه ضعيف النظر بمصباح مبتل الذبالة ، اذ في كليهما انقباض للملامح •

والصور تجمل اذا تضمنت مجازا ، كأن تشبه الدرع بـ « كأس آرس » ، أو الأطلال بأنها « أسمال الدار » ، أو أن نقول عن نكاراتوس انه «فيلوكتاتس وقد عضه فراتوس »[1] — وهذه الصورة هي التي استخدمها ثراسوماخوس لما رأى نكاراتوس وقد انتصر عليه فراتوس في مسابقة انشاد • ومن ذلك الحين أرسل شعره قذرا • وفي هذا النوع من الصور يخفق الشعراء حينما لا ينعقد التشبيه • أما ان صدق التشبيه فانه يكون عذب المشرب • ومن أمثلة النوع الأول :

« ساقاه معوجتان كغصون البقدونس »

وكذلك :

« مثل فيلامون[2] وهو يصارع كرة التمرين »

وكل هذه التعبيرات صور ، والصور — كما قلنا — مجازات •

والأمثال هي الأخرى مجازات تنقلنا من نوع الى آخر • فاذا أذن شخص لآخر بالدخول عليه وكان يتوقع منه الخير ، لكنه لم ينل منه الا المساءة ، قيل: « هذا هو الكرباثي[3] وأرنبه البري » • فالمصيبة التي تجري للأول مثل

---

(1) نكاراتوس Niceratus وفراتوس Pratys منشدان جوالان كانا متنافسين . وفيلوكتاتاس Philoctetes كان قواسا شهيرا في الأساطير اليونانية أوصى له هرقل باسهمه المسمومة . وقد أصيب بجرح بالغ إما من عضة ثعبان أو من أحد سهامه . وأحدث الجرح قيحا كريها جدا لدرجة أن أهله تركوه على ساحل لمنوس الموحش ، وبقي هناك حتى السنة العاشرة من حرب طروادة حين جاء أودسيوش وديوميدس للبحث عنه لان الوحي قال إن طروادة لن تؤخذ إلا باسهم هرقل .

(2) Philammon : مصارع شهير في القرن الرابع قبل الميلاد .

(3) الكرباثي ϰαρπάθιος أي من سكان جزيرة كوباثوس . وأصل المثل أن كرباثيا أحضر زوجا من الأرانب البرية فتوالدت توالدا كثيرا جدا ، حتى إنها التهمت كل المحاصيل وخربت أرزاق الفلاحين (مثل الأرانب في استراليا) .

التي جرت لهذا الأخير • ــ وبهذا نكون قد بينا كل الوسائل تقريبا وكل الطرق لجعل الأسلوب جليا مليحا •

وصيغ المبالغة الأشد امتاعا هي الأخرى مجازات ــ كان يقال عن رجل برحت بوجهه اللكمات : « وكأنه سلة من التوت » • ذلك أن للكمات لونا ضاربا الى الحمرة ، ولكن في هذا مبالغة غالبا • وحينما تبـدأ العبارة بأداة التشبيه (الكاف ، الخ) تكون تحت صيغة مبالغة لا تختلف الا في الشـكل • فاذا قلنا :

« مثل فيلامون وهو يصارع كرة التمرين »

يخيل الى المرء في هذه العبارة أن فيلامون هو بنفسه الذي يصـارع كرة التمرين • ــ واذا قلنا :

« ساقاه معوجتان كغصون البقدونس »[1]

يخيل الى المرء أن له أغصان بقدونس معوجة ، لا سيقانا •

وبعض صيغ المبالغة صبيانية لأنها تنبيء عن عنف ، ولهذا فان الذين يستشيطون غضبا هم الذين كثيرا ما يستخدمونها • مثاله :

« كلا ! لن أتزوج بنت أغاممنون بن أثريوس ، حتى لو كانت مواهبها عدد الرمل والحصي والتراب وكان جمالها يجاذب جمال أفروديت الذهبيـة الشعور ، وأعمالها تطاول أعمال أثيناي »[2]

وخطباء أثينا يلجأون خصوصا الى صيغ المبالغة • (١٤١٣ ب) وبسبب أنها صبيانية ، فليس يخلق بالشيوخ استخدامها •

---

(١) راجـع Kock : Com. Att. Fragm iii, fr. adesp. 270, p. 448

(٢) أثيناى Ἀθηνᾶ' الإلاهة . وهذا الشاهد من « الإلياذة » ، ٩ : ٣٨٥ ، ٣٨٨ — ٣٩٠ •

١٢
في الأسلوب الخاص بكل نوع

يجب ألا ننسي أن لكل نوع خطابي أسلوبا خاصا يليق به ، فالأسلوب في الكتابة غيره في المناقشات ، والأسلوب في الجماعات غيره في المحاكم • ولا بد من معرفة كليهما ، وأحدهما يفترض معرفة تامة باللغة اليونانية ، أما الآخر فلا يضطر المرء معه الى التزام الصمت اذا كان يريد الافضاء بما في فكره الى الآخرين ، وهذا أمر لا مفر منه عند من لا يعرفون الكتابة.وأسلوب الكتابة أدق ، وأسلوب الحديث أشد حركة وتنازعا • وهذا النوع الأخير يتضمن ضربين : أحدهما يعبر عن الأخلاق ، والآخر عن الانفعالات • وهذا هو السبب في أن الممثلين يسعون وراء الانفعالات ، والشعراء يبحثون عن الممثلين الذين تتوافر فيهم هذه الملكة • وانا لنجد بين أيدي الناس جميعا الشعراء الذين يمتعون لدى القراءة ، مثل خيرمون [1] ، الذي كان دقيقا كصناع الخطب λογογραφοι ومثل ليقومنيوس [2] من بين شعراء الديثرمبوس • واذا أجرينا المقارنة ، بدت لنا الأقوال المكتوبة ضيقة في المناقشات ، أما خطب الخطباء ، حتى لو كانت قد أحدثت أثرا جميلا لدى القائها ، فانها تبدو بين الأيدي (أي : عند القراءة) هزيلة ، ذلك لأن مكانها الحقيقي هو في المناقشات• ولهذا السبب عينه فان الأقوال الموضوعة للتأثير الخطابي اذا انتزع هذا منها لا تحدث نفس الأثر وتبدو ساذجة • فمثلا حذف أدوات الوصل ، وكثرة تكرار الكلمة الواحدة : كلاهما معيب في الأقوال المكتوبة ، وان كان الخطباء في المحافل يلجأون اليهما ، ذلك أنهما انما يناسبان التأثير (الخطابي) •

فمن اللازم اذن تغيير التعبير للترجمة عن نفس الفكرة • وهذه طريقة

---

(١) = Chaeremon شاعر تراجيدي عاش في أثينا حوالي السنة المائة الأولمبية ، كان اسلوبه قوي العبارة ، متفنن الألوان ، يشحذ الخاطر ، ولهذا كان أصلح للقراءة منه للتمثيل ، وكان حافلا بالاستعارات والمجازات الشائعة . ـ راجع أيضا ترجمتنا « فن الشعر » لأرسطو طاليس ص٧ تعليق ١ ، القاهرة سنة ١٩٥٣ .

(٢) = Licymnius : شاعر غنائي من خيوس ، عاش حوالي سنة ٤٣٠ ق.م .

تفتح السبيل للفعل : « انه هو الذي نهبكم وهو الذي خدعكم ، وهو الذي حاول أن يسلمكم » . وعلى هذا النهج دن يسير الممثل فيلامون[1] في مسرحية « جنون الشيوخ » لأنكسندريدس حينما ينطق باسمي « هردمنثوس Rhadamanthus وفلماداس Palamedes » وكذلك في استهلال مسرحية « الأتقياء » حينما يكرر : « أنا ! » فمثل هذه المواضع اذا لم يضف عليها تأثير الممثل فيصدق عليها أن يقال : « الرجل الذي يحمل جذعا »[2] .

والأمر كذلك فيما يتصل بحذف أدوات الوصل : « أتيت ، غدوت للقائه ، سألته » . فلا بد من بث العمل ، وعدم الظهور بمظهر من ينطق جملة واحدة بشعور واحد وعلى وتيرة واحدة . يضاف الى هذا أن في حذف أدوات الوصل ميزة : اذ في نفس الوقت يبدو المرء كأنه يقول عدة أشياء ، ذلك لأن الوصل يضم عديدا من الأشياء في وحدة واحدة ، فاذا حذفنا الوصل ، حدث الأثر العكسي : أي تتجزأ الوحدة . وهكذا يحدث حذف أدوات الوصل (١٤١٤ أ) تأثير التضخيم : « أتيت ، تحدثت معه ، توسلت اليه » . فهذه الطريقة تضخم الأشياء : « أما هو فيبدو أنه يهزأ بما أقول ، بما أؤكد » . والى هذا التأثير قصد هوميروس[3] في الأبيات التالية :

وكذلك نيريوس Nireus الذي من سوما

نيريوس بن اجلايا

نيريوس الرائع الجمال

لأن من الضروري كثرة ترديد من قيل عنه الكثير ، فان كثر ترديد الاسم ، يبدو كأنه قيل عنه الكثير . وهكذا استطاع هوميروس بهذه الوسيلة أن

---

(١) كان فيلامون Philemon ممثلا شهيرا في أيام أفلاطون ،وهو غير فيلامون Philammon أحد مؤلفي الكوميديا الحديثة ، الذي كان معاصرا ومنافسا لميناندر .

(٢) تعبير يطلق على الخطيب الفث المنطق الثقيل الظل .

(٣) هوميروس : « الالياذة » ، النشيد الثاني ، الأبيات ٦٧١ وما يليها .

يضخم في شهرة نيريوس ، و ان كان في الواقع لم يذكره الا في موضع واحد ، لقد خلد ذكراه ، وان كان لن يتحدث عنه مرة أخرى •

والأسلوب المناسب للمحافل الشعبية يشبه تمام المشابهة رسم المنظور ، فكلما زاد عدد المشاهدين ، بعدت النقطة التي منها يكون النظر • ولهذا فان دقة التفاصيل لا داعي لها ، وسيكون أثرها في الرسم كما في الخطبة رديئا • بيد أن الفصاحة في ساحة القضاء تقتضي زيادة في التدقيق ، خصوصا اذا كان المرء أمام قاض واحد ، ففي هذه الحالة لا يملك المرء الاستعانة الا بعدد قليل جدا من وسائل الخطابة • فالقاضي يسهل عليه التمييز بين ما يمس القضية وما لا يتصل بها ، كذلك ليس ثم مناقشة ولا يستطيع أي عامل أن يغير في الحكم • والنتيجة لهذا أن الخطيب الواحد لا يظفر بنفس النجاح في كل المواقف ، وحيثما كان الداعي الى الفعل أقوى ، كانت الدقة أقل ضرورة • والفعل ضروري حيثما يراد التأثير بالصوت ، لا سيما ان أريد تأثير قوى جدا • وأسلوب النوع البرهاني هو أنسب الأساليب في الكتابة ، لأن غرضه الحقيقي هو أن يقرأ ، ويتلوه الأسلوب القضائي •

ولا داعي لاضافة تمييزات أخرى للدلالة على أن الأسلوب يجب أن يكون ممتعا نبيلا • ولماذا نطلب منه هذه الصفات بدلا من الدقة ، وكرامة المواطن الحر وسائر الصفات الأخلاقية ؟ من البين أن الملاحظات التي أبديناها ستجعله ممتعا ، ان كنا قد حددنا بالدقة مزايا الأسلوب [1] ،ولماذا الالتزام الذي اقتضيناه : بضرورة جعله واضحا دون تسفل ، ومناسبا للموضوع ؟ لأنه ان كان مسهبا لم يعد واضحا ، وكذلك اذا كان شديد الايجاز • فالأنسب من غير شك هو الموقف الوسط • أما المتعة فستحدث كما قلنا ، من التناسب الحسن بين الألفاظ الشائعة والألفاظ الغريبة ، ومن الايقاع ، ومن الحجج المقنعة المتفقة مع مقتضيات الموضوع •

---

(١) راجع م٢ فـ٢ في مستهله .

هذا ما كان علينا أن نقوله عن الأسلوب ، سواء عن الأسلوب [1] عـامة بكل أنواعه ، وعن نوع نوع منه بخاصة [2]. وبقي علينا الكلام في الترتيب .

١٣
في أجزاء الكلام

الكلام يتضمن جزئين : اذ لا بد من ذكر الموضوع الذي نبحث فيه ، ثم بعد ذلك نقوم بالبرهنة . ولهذا فمن المستحيل ، بعد ذكر الموضوع ، أن تتجنب البرهنة ، اذ أنا نقوم بالبرهنة قبل ذكر الموضوع أولا ، ذلك أنه حين نبرهن انما نبرهن على شيء ، ولا نذكر الشيء الا من أجل البرهنة عليه .

وأولى هذه العمليات هي : العرض ، والثانية : الدليل . وهذا يفضي الى وضع تفرقة بين المسألة وبين البرهان .

بيد أن خطباء هذه الأيام يضعون تقسيمات مضحكة : أولا لأن القص διήγησις يظهر أنه خاص بالخطب القضائية : فكيف يمكن النوع البرهاني والخطبة أن تقبل القص كما يفهمونه ، ويقصد منه اما الى (١٤١٤ ب) تفنيد الخصم أو التلخيص النهائي لما أثبتناه ؟ أما الاستهلال والمناقشة بالتسـاجل والتكرار بايجاز لما قيل ، فانها لا توجد في خطب المحافل الا اذا كان ثمة مناظرة. فكثيرا ما يقع في هذه الخطب اتهام ودفاع ، لكن لا يمكن أن نسمي هذا بعد محفلا خطابيا . أما الخاتمة فلا تدخل في كل نوع من أنواع الخطب القضائية، فهي مثلا بغير فائدة اذا كان العرض قصيرا ، أو كانت تفاصيل القضية سـهلة الحفظ ، ففي هذه الحالة يحدث أن يحذفه المرء تجنبا للاطناب .

وهكذا ليس ثم من ضرورة الا للقضية والدليل . فهذا هو الملائم حقـا للكلام . وقصارانا السماح بـ : الاستهلال ، والعرض ، والدليل ، والخاتمة . أما التفنيد فمن شأن الأدلة . والمساجلة ἀντιπαραβολή ليست الا توسـعا

---

(١) م٣ فصول ٢ — ١١ .
(٢) م٣ ف ١٢ .

في أدلة الخطيب ، ومعنى هذا أنها ليست الا جزءا من الأدلة ، بينما الخطيب بهذه الوسيلة كأنه يبرهن على ما لا يدخل في موضوع الاستهلال ولا الخاتمة ، ولا غاية من وراء هذين الا التخفيف على الذاكرة .

ووضع أمثال هذه التقسيمات فيه تقليد لتلاميذ ثيودورس ، الذين يميزون بين القص الاضافي ἐπιδιήγησις والقص التمهيدي προδιήγησιν كما فعلوا بالنسبة الى التفنيد ، والتفنيد الاضافي ἐπεξέλεγχος لكن ينبغي تعيين نوع جديد واختلاف حقيقي لاضافة اسم جديد اليها ، والا كان التقسيم عبثا وهراء ، وهذا شبيه بصنيع ليقومنيوس Λικύμνιος الذي استخدم في « فنه » الكلمات : ἐπούρωσις (الريح في المؤخرة) ἀποπλάνησις (الشرود) ، ὄζοι (غصون) .

١٤

في الاستهلال

الاستهلال προοίμιον هو اذن بدء الكلام ، ويناظره في الشعر : المطلع πρόλογος ، وفي فن العزف على الناي : الافتتاحية προαύλιον فتلك كلها بدايات كأنها تفتح السبيل الى ما يتلو . والافتتاحية شبيهة بالاستهلال في النوع البرهاني ، ذلك أن عازفي الناي ، اذا عرفوا لحنا جميلا ، وضعوه في افتتاح المعزوفة كأنه لحنه . وينبغي في الأقوال البرهانية أن يجري التأليف هكذا : نبدأ بالتعبير عما نقصد اليه ، ثم نسترسل . وكل الخطباء يلتزمون هذه القاعدة . ويكفينا مثلا على ذلك استهلال «هيلانة» لايسقراطيس ،

---

(١) راجع افلاطون : « فيدرس » ص ٢٦٦ د ، ولكنه لا يذكر الانواع الاضافية للقص ، ويذكر مكانها πίστωσις (الدليل) و ἐπιπίστωσις (تأييد الدليل) .

لأن أصحاب المراء لا شأن لهم بهيلانة [١] • وحتى اذا استطرد الخطيب ، فلا بأس من قطع رتوب الخطبة •

واستهلالات النوع البرهاني تؤخذ من المدح ، أو الذم • وجورجياس [٢] في « خطبته الأوليمبية » يقدم لنا المثل : « أيها الهلينيون ! هـؤلاء رجال جديرون باعجاب الجميع ، ••• » — بهذا استهل مدح أولئك الذين أنشأوا المدائح • أما ايسقراطيس فقد ذمهم لأنهم كرموا الصفات البدنية بالجوائز ، دون أن ينشئوا أية مكافأة لأهل الحكمة والفضيلة • [٣]

وأحيانا يتخذ الاستهلال صورة النصح : كأن يقول الخطيب انه : لا بد من تكريم أهل الخير ، ولهذا هو يمدح ارستيدس ، أو يقول : ان التكـريم يجب أن يكون ، لا لأولئك الذين ينعمون بالجاه بين الناس ولكنهم خليقـون بالازدراء ، بل لأولئك الذين تظل فضائلهم مستورة ، كما هو شأن الاسكندر ابن فرياموس ، (١٤١٥ أ) فاذا فعل الخطيب هذا ، أسدى نصحا •

وأحيانا أخرى تستلهم استهلالات الخطب القضائية • وفي هذه الحـالة يستند الاستهلال الى اعتبارات تتعلق بالسامع ، وهذا يقع اذا كانت الخطبة تتعلق بموضوع يصطدم بالرأي العام ، أو صعب الادراك ، أو طرق كثيرا • وأثر هذه الطريقة هو اجتذاب عطف القاضي • وهذا مثل من خويريلوس. [٤]

---

(١) كان موضوع هذه الخطبة هو مدح هيلانة ، لكن ايسقراطيس استغل هذه المناسبة ليهاجم السوفسطائيين . وهذا شاهد على براعته في إيراد أمور لا تتصل بالموضوع اتصالا مباشراً وثيقاً لقد كان الموضوع الاساسي هو هيلانة ، لكن الاستهلال عبارة عن هجومه على السنسطة والمراء ، كما يتمثلان خصوصاً عند الكلبيين والميغاريين . راجع : ايسقراطيس : Helena — ١٣ .

(٢) راجع Baiter-Sauppe, op. Cit., p. 129

(٣) ايسقراطيس : Paneyyricus ١ ٢ .

(٤) خويريلوس Χοιρίλος من شامس Samos ، شاعر ملاحم (: ٤٦ — ٤٣١ ق.م) له قصيدة في الحرب مع الفرس .. وهو في الشاهد الوارد ها هنا يشكو من أن الشعراء القدماء كان مجال القول أمامهم فسيحاً إذ كان الميدان لا يزال بكراً ، أما هو ، آخر الشعراء ، فقد ترك عاجزاً عن « إيجاد عربة جديدة لشوط سباق شعره » — تماما كما في قول عنترة بن شداد في مطلع معلقته : « هل غادر الشعراء من متردم ؟ » .

أي : الآن وقد توزع الشعراء السابقون كل ما يمكن قوله ..

« الآن وقد تمّ توزيع كل شيء »

تلك اذن مصادر الاستهلالات البرهانية : المدح ، الذم ، الحث ، النهي ، والاهابات بالسامع . وهذه الاستهلالات اما أن تكون غريبة عن الخطبة أو وثيقة الصلة بها .

أما استهلالات الخطب القضائية فينبغي أن يلاحظ بشأنها أنها تحدث نفس الأثر مثل المطالع الدرامية والمطالع الملحمية ، لأن مطالع الدثرمبوس تشبه الاستهلالات البرهانية :

« من أجلك ومن أجل هداياك أو غنائمك »

لكن في الخطب القضائية والقصائد الملحمية تهيء الاستهلالات نموذجا من الموضوع ، كيما يعرف السامعون مقدما شيئا عنه ، وحتى لا يكون الذهن في حال تعلق ، لأن ما ليس محددا يؤدي الى الشرود ، وهكذا فان من يضع البداية في يد السامع ، ان صح هذا التعبير ، يمكن السامع ، ان أمسك بها ، من متابعة الحكاية . ومن هنا جاءت المطالع التالية :

« تغني ، أيتها الموسا ، بغضب ... »(1)

« خبريني ، أيتها الموسا ، عن الرجل ... »(2)

« الهميني بموضوع آخر : كيف من بلاد آسيا عبرت حرب عظيمة الى أوربا »(3)

وبالمثل يقوم الشعراء التراجيديون بايضاح موضوعات مسرحياتهم ، ان لم يكن في البداية مثلما فعل يوريفيدس ، فعلى الأقل في مكان ما في المطلع ، مثلما كان يفعل سوفقليس(4) :

---

(1) هوميروس : « الالياذة » ، النشيد الأول ، البيت الأول . والموسا Μοῦσα ربة الشعر والفن .

(2) هوميروس : « الاوديسا » ، النشيد الأول ، البيت الأول .

(3) من شعر خويريلوس ؟ راجع Kinkel : Ep. Gr. Frag., p. 267

(4) سوفقليس : « أوديب طاغية » ، ٧٧٤ .

« كان أبي فولوبوس Polybus »

والأمر كذلك في الكوميديا . وهكذا فان الوظيفة الخاصة والجوهرية للاستهلال هي أن يبين ما هي الغاية أو الغرض من الخطبة . ولهذا ينبغي ألا يستخدم ، اذا كان الموضوع واضحا تماما أو غير مهم . وسائر أشكال الاستهلالات المستعملة هي أدوية فقط [1] ، ومشتركة بين كل فروع الخطابة . وتستمد من الخطيب ، والسامع ، والموضوع ، والخصم . فمن الخطيب والخصم يستمد كل ما يساعد على القضاء على الوشاية أو يساعد على خلقها . لكن ينبغي ألا يتم ذلك بنفس الطريقة ، اذ المتهم ينبغي عليه أن يفعل ذلك عند البداية ، أما المدعي فيفعله في الخاتمة . والعلة في ذلك واضحة . فان المتهم حين يكون بسبيل تقديم نفسه ، ينبغي عليه أن يزيل كل العقبات ، ولهذا يجب عليه أن يزيل كل الوشايات ، بينما المدعي يجب عليه أن يخلق الوشايات في الخاتمة ، حتى تكون أكثر حضورا في ذاكرة السامعين .

والغرض من الاهابة بالسامع هو أن نجعله أحسن استعدادا نحونا أو أن نثير حفيظته ، وأحيانا لجذب انتباهه أو لصرفه ، اذ ليس من المفيد دائما جذب انتباهه ، وهذا هو السبب في أن كثيرا من الخطباء يحاولون أن يجعلوا السامعين يضحكون . اما اجتذاب السامعين ، فان كل شيء يمكن أن يسهم فيه اذا شاء المرء ، بما في ذلك مظهر الاحترام ، لأن الأشخاص المحترمين أدعى الى اجتذاب الانتباه . (١٤١٥ ب) والسامعون يزدادون التفاتا الى الأمور المهمة ، والتي تتناول مصالحهم ، والتي تثير الدهشة ، والتي هي لذيذة ، ومن هنا ينبغي أن نقرر في أذهانهم أن الخطبة تتناول مثل هذه الموضوعات . أما اذا أراد الخطيب أن يصرف انتباه السامعين ، فعليه أن يقنعهم بأن الموضوع غير مهم ، وأن الأمر لا يعنيهم ، وأنه أليم .

لكن ينبغي ألا يغيب عن نظرنا أن أمثال هذه الأمور كلها هى خارجة عن الموضوع ، لأنها موجهة فقط الى السامع الضعيف الحكم ، المستعدلسماع

---

(١) اي ادوية خاصة لعلاج السامعين فى حالة عدم انتباههم أو سوء استعدادهم .

ما هو خارج القضية ، لأنه اذا لم يكن رجلا من هذا النوع ، فلا حاجة الى استهلال ، اللهم الا لتلخيص الموضوع ، حتى يكون له رأس ، مثلما للجسم رأس • وأيضا فان جذب انتباه السامعين أمر مشترك بين كل أجزاء الكلام ، عند الاقتضاء ، لأن الانتباه يتراخى في سائر المواضع أكثر منه في الاستهلال • ولهذا فمن المضحك أن نقتضي ذلك [1] في البداية ، حيث الجميع يصغون بانتباه شديد • ولهذا فانه حين تجيء اللحظة المناسبة ، ينبغي على الخطيب أن يقول : « أعيروني انتباهكم ، لأن الأمر يهمكم بقدر ما يهمني » ، وكذلك : « سأخبركم بشيء لم تسمعوا بمثله أبدا ، شيء عجيب غريب » • وهذا ما اعتاد بروديكوس Prodicus - أن يفعله : فكلما بدأ السامعون في الاسترخاء والنعاس ، كان يدس دفقة من محاضرته ذات الخمسين درهما • ومن الواضح أن أمثال هذه المداخل ليست موجهة الى سامعين مثاليين ، بل الى السامعين كما نجدهم في الواقع • واستعمال الاستهلالات لاثارة الوشاية أو لازالة المخاوف أمر شائع جدا •

« مولاي ، لن أقول ذلك باندفاع [2] ••• »

أو : « لماذا كل هذه المقدمة ؟ » [3]

ويميل الى الاستهلالات أولئك الذين تكون قضيتهم ضعيفة ، أو تبدو خاسرة ، اذ من الأفضل التوكيد حينئذ على أي شيء بخلاف القضية نفسها • وهذا هو السبب في أن العبيد لا يجيبون أبدا على الأسئلة مباشرة ، بل يدورون ويلفون حولها ، ويستغرقون في مقدمات • وقد بينا [4] كيف يمكن ضمان حسن نية السامع وسائر الأحوال النفسية المشابهة • وقد صدق الشاعر الذي قال •

---

(١) اي اجتذاب انتباه السامع .

(٢) سوفقليس : « انتيجونا » ، ٢٢٣ .

(٣) يوريفيدس : « ايفجينيا في توريس » ، ١١٦٢ .

(٤) م٢ ف ١ وما يتلوه .

« ليتني حين أصل الى الفياقيين Φαίηχας [1] اجد موده او عطفا » [2]

وعلى الخطيب أن يهدف الى اثارة هذين اللونين من المشاعر •

وفي الاستهلالات البرهانية ينبغي أن نجعل السامع يعتقد أنه يشارك في المدح ، اما هو نفسه ، أو أسرته ، أو طريقته في الحياة أو أي شيء من هـذا القبيل • وقد صدق سقراط حين قال في « خطبته التأبينية » [3] ان من السهل مدح الأثينيين في حضرة الأثينيين ، لا في حضرة اللاقادمونيين » •

والخطابة المشورية تستمد استهلالاتها من النوع القضائي ، لكنها بطبعها تجعلها نادرة الاستعمال • ذلك لأن السامعين على علم بالموضوع ، فلا يحتاج الأمر الى استهلال ، الا بشأن الخطيب نفسه ، أو بشأن الخصوم ، أو اذا كان السامعون يولون اهتماما كبيرا جدا أو ضئيلا جـدا للمسألة بحسـب رأيه وتصوره • ولهذا يجب عليه اما أن يثير المعنى السابق أو أن يزيله ، وأن يمجد أو يهون من أهمية الموضوع •

تلك هي الدواعي الى الاستهلالات • والا فانها لا تفيد الا في التزيين ، لأن الخلو منها يجعل الخطبة تبدو مرتجلة ، مثل مديح الأيليين الذي ألقـاه جورجياس (١٤١٦ أ) دون أية تمهيدات أو حركات مناوشة [4] ، فبدأ هكذا : « أيليس المدينة السعيدة ! »

١٥

وسائل نقض الاتهام

واحدى وسائل ازالة المعنى السابق هي استخدام الحجج التي بها يبدد المرء عن نفسه مظنه الاتهام المؤذي ، اذ يستوي أن يكون الاتهام قد عبر عنه

(١) شعب خرافي في جزيرة اسخريا Scheria ، خلدت ذكره « الاوديسا » (النشيد السادس) وكانوا يعيشون في هدوء وسعادة ، لكنهم أصبحوا نموذجا للشرة والفجور .

(٢) هوميروس : « الاوديسا » النشيد السادس ، ٣٢٧ .

(٣) راجع محاورة : « منكسانس » لأفلاطون ، ص ٢٣٥ د .

(٤) تشبيه بحركات الرياضي ، وبخاصة الملاكم ، حين يبدأ المباراة بحركات تمهيدية بالسواعد والأيدي . والمقصود أنه بدأ خطبته بدون تقديم أو استهلال ، ودخل في الموضوع مباشرة .

صراحة ، أو لم يعبر ، وتلك يمكن أن تكون قاعدة عامة • وثم وسيلة أخرى تقوم في المنازعة في النقط محل التنازع ، وذلك اما بانكار حدوث الواقعة ، أو بانكار أن فيها ضررا ، على الأقل بالنسبة للشاكي ، أو بتوكيد أن أهميتها مبالغ فيها ، أو بأنها ليست ظالمة أبدا، أو أن الظلم فيها طفيف ، أو أن الموضوع ليس شائنـا ولا مهما • تلك هي النقط الممكنة للمنـازعة : مثـال ذلك أن ايفقراطس ، في جوابه عن نوسقراطس ، أقر بأنه فعل ما ادعاه المدعي وأحدث ضررا ، لكنه أنكر أنه ارتكب ظلما • كذلك يستطيع المرء أن يدفع الاتهام ، اذا ارتكب ظلما ، بأن يقول انه على الرغم من أن الفعل كان مؤذيا ، فانه كان شريفا ، كان مؤلما ولكنه كان مفيدا ، أو أي شيء من هذا القبيل •

ووسيلة أخرى تقوم في أن يقول المرء ان الأمر كان غلطا ، أو سوء حظ ، أو كرها وقسرا ، مثال ذلك قول سوفقليس[1] انه ارتجف ، لا ليبدو عجوزا كما يقول المدعي، بل قسرا وكرها ، لأن كون عمره الثمانين سنة أمـر ليس برغبته وارادته .كما يمكن المرء أن يحل دافعا محل دافع آخر ، فيقول انه لم يقصد الضرر ، بل شيئا آخر ، غير ذلك الذي يتهم به ، وأن الظلم حـدث عرضا واتفاقا : « كنت سأستحق كراهيتكم ، لو كنت قصدت احداث هذا الضرر » •

وثم وسيلة أخرى يمكن استخدامها اذا كان المدعي، هو نفسه أو شخص وثيق الصلة به ، قد تورط في تهمة مماثلة ، اما الآن أو في سالف الايام، أو تورط في هذا الأمر من لم يوجه اليهم مثل هذه التهمة ، مثال ذلك : ان قيل ان فلانا زان ، لأنه متأنق في ملبسه ، فلا بد أن فلانا هو أيضا كذلك •

---

(١) كان لسوفقليس ولدان ، ايوفون وأرسطو ، من زوجتين مختلفتين . وكان لأرسطون ولد اسمه سوفقليس مثل جده . فلما أحس ايوفون بالغيرة لايثار سوفقليس الجد لسوفقليس الحفيد ، استدعاه الى محكمة الأسر Phratores على أساس أن كبر سنه جعله عاجزا عن حسن إدارة أعماله وأمواله . فأجاب سوفقليس الجد عن هذا الاتهام بأن قرأ قصيدة عن أتيكا في مسرحية « أوديب في كولونا » مطلعها Εὐίππου, ξένε (البيت رقم ٦٦٨ وما يليه) ، فبرئت ساحته .

وكذلك اذا كان المدعي قد اتهم آخرين بتهمة مماثلة ، أو اتهمه آخرون بنفس التهمة ، أو اذا كان اخرون قد اشتبه فيهم مثل ما اشتبه المدعي الان ، دون أن يتهموا رسميا ، وثبتت براءتهم •

وسيلة أخرى تقوم في شن هجوم مضاد على المدعي ، اذ ليس من المعقول تصديق كلام من ليس خليقا بالتصديق •

وسيلة أخرى هي الاهابة بحكم سبق اصداره ، كما فعل يوريفيدس في القضية المتعلقة بتبادل المتلكات [1] ، فحينما اتهمه هو جيانيون Hugiainon بالكفر لأنه دعا الى حنث اليمين في شعره الذي يقول فيه :

« أقسم لساني ، ولم يقسم عقلي » [2]

أجاب يوريفيدس ان صاحب الاتهام ارتكب ظلما بنقله قرارات بلاط ديونوسوس الى المحاكم : « اذا لم أكن أجبت عن كلماتي هنـاك ، [3] فأنا مستعد لهذا اذا اخترت أن تقاضيني هناك » •

ووسيلة أخرى تقوم في مهاجمة الوشاية ببيان كم فيها من شر ، [4] لأنها تغير طبيعة الأحكام ، ولا تعتمد على وقائع حقيقية •

(١٤١٦ ب) ويشترك كلا الطرفين المتنازعين في موضوع العلامات الدالة (σύμβολα) ، ونجد مثالا على ذلك في مسرحية « طويقروس » [5] حيث اوديسوس يوبخ طويقروس قائلا انه قريب لفرياموس ، التي كانت أخته أما لهسيون Hsion ، فأجابه طويقروس بأن أباه طلامون

(١) اذا طلب من مواطن اداء طقس أو خدمة عامة (مثل تجهيز كورس) فإنه إذا ظن أن مواطنا اغنى منه قد أعفى من ذلك فإن في استطاعته استدعاءه أمام المحكمة وارغامه على تبادل الممتلكات معه .

(٢) يوريفيدس : « هبولوتس » Hippolytus ، ٦١٢

(٣) أي في مسرح ديونوسوس .

(٤) أو بترجمة أخرى : « لانها تثير مشاكل زائفة » .

(٥) تاليف سوفقليس .

Telamon كان عدوا لفرياموس Ptiamos ، وأنه هو نفسه لم يخبر عن الجواسيس [1] .

ووسيلة أخرى مناسبة للمدعي هي أن يطنب في ازجاء المديح بشيء غير مهم ، ويدين شيئا مهما بايجاز ، أو بابراز أمور كثيرة جديرة بالثناء يتحلى بها الخصم ، وادانة شيء واحد ذي أهمية كبيرة في القضية . ومثل هذه الوسائل شديدة التحايل وغير عادلة اذ باستعمالها يحاول الناس أن يجعلوا ما هو خير في شخص مضرا بهم ، وذلك بمزجه بما هو شر .

ووسيلة أخرى مشتركة بين المدعي والمتهم وهي : لما كان الشيء الواحد قد فعل لدوافع عديدة، فان المدعي يجب عليه أن يحقره بأخذه بالمعنى الأخَسّ، بينما المتهم لا بد أن يأخذه بالمعنى الأحسن. مثال ذلك: حينما اختار ديوميدس أوديسوس رفيقا له ، فيمكن أن يقال ، من ناحية ، انه فعل ذلك لأنه اعتبره أشجع الناس ، أو من ناحية أخرى لأن أوديسوس كان الرجل الوحيد الذي لم يكن منافسا ممكنا له ، لأنه كان جبانا .

وحسبنا هذا فيما يتصل بمسألة الوشاية .

١٦
في القص

وأما القص (διήγησις) في الأسلوب البرهـاني فيجب أن يكون منفصلا ، لا متصلا ، اذ من الواجب الخوض في الأفعال التي تؤلف موضوع الخطبة ، ذلك لأن الخطبة تتألف من قسم بلا صناعة (اذ المتكلم ليس هو فاعل الأحداث التي يرويها) ، ومن قسم اخر يعتمد على الصناعة (الفن) . والقسم

---

(١) الذين أرسلهم اليونانيون الى طروادة للتجسس عليها . ويبدو انه اتهم بعد ذلك بالخيانة ، وكانت « العلامة الدالة » على ذلك هي أن طويقروس كان قريبا لفيرياموس ، فرد على ذلك بـ « علامة دالة » أخرى وهي أن أباه كان عدوا لفرياموس ، وأنه لما كان الجواسيس اليونانيون في طروادة لم يكشف عنهم .

الأخير يقوم في بيان أن الفعل وقع ، ان كان قابلا للتصديق ، او أنه من نوع خاص ، أو ذو أهمية خاصة ، أو بهذه الصفات الثلاث معا ، اذ البرهان الذي من هذا القبيل[1] يصعب تذكره • فيمكن من بعض الوقائع بيان أن الشخص شجاع ، ومن وقائع أخرى أنه حكيم أو عادل • وأيضا ، فان الخطبة التي من هذا النوع أبسط ، بينما الأخرى معقـدة وليست بسيطة • ولا ضرورة الا لذكر الأفعال الشهيرة ، ولهذا فان معظم الناس ليسوا في حاجة الى القص — مثلا اذا أردت أن تمدح أخيلوس ، لأن كل امرىء يعلم ما فعاله ، ومن الواجب استعمال ذلك • لكن اذا أردت أن تمدح اقرطياس Critias ، فان القص يكون ضروريا ، لأنه لا يعلم كثير من الناس ماذا فعل ••• ••• •••[2]

لكن في هذه الأيام يقرر البعض خطأ أن القص ينبغي أن يكون سريعا ، وكما قال الرجل للخباز لما سأله اذا كان يريد العجين قاسيا أو رخوا ، فقال : ماذا ؟ ألا يمكن عجنه عجنا حسنا ؟ وكذلك الحال هنا ، لأن القص ينبغي ألا يكون طويلا ، وكذلك الاستهلال وعرض البراهين ينبغي ألا يكونا مطولين • ذلك أن المناسب في هذه الحالة أيضا ليس هو السرعة ، ولا الايجاز ، بل ما هو وسط بينهما ، أي : يجب على الانسان أن يقول كل ما يجعل الحقائق واضحة، (١٤١٧ أ) أو أن يخلق الاعتقاد أنها حدثت ، أو تسببت في الضرر أو الظلم ، أو انها من الاهمية بالقدر الذى نريده لها . والخصـــم ينبغي عليـــه ان يفعل العكس • وعليك أن تقص استطرادا أي شيء يريغ الى بيان فضيلتك أنت ، مثال ذلك : « أنا أوصيه دائما بأن يفعل الصواب ، وألا يهمل أولاده » ، أو بيان سفالة خصمك ، مثال ذلك : « لكنه أجاب بأنه أينما يكن ، فسيجد دائما أولاد آخرين » ، وهو جواب نسبه هيرودوتس[3] الى المصريين المتمردين ،

---

(١) لانه يتالف من سلسلة متصلة من الادلة .

(٢) لا بد أن ها هنا نقصا في المخطوطات اليونانية كلها ، كما يتجلى في الانتقال من الخطابة البرهانية الى الخطابة القضائية . وبعض المخطوطات تملأ النقص بفقرة سبق ورودها من قبل في المقالة الأولى ، الفصل التاسع ، ص ١٣٦٧ ب ٢٧ — ١٣٦٨ أ ٩ .

(٣) راجع تاريخ هيرودوتس ٢ : ٣٠ . وأصل الحكاية أن بعض الجنود المصريين تمردوا ورحلوا جميعا الى الحبشة . فرجاهم الملك ابسماتيك الا يتركوا زوجاتهم وأولادهم ، فاجابه أحدهـم قائلا : « أينما نكن ، نجد دائما أولادا وزوجات آخرين » .

أو أي شيء يمكن أن يسر القضاة .

وفي الدفاع ينبغي ألا يكون القص طويلا ، لأن محل التنازع هو اما أن الواقعة لم تحدث ، أو أنها لم تكن مضرة ولا ظالمة ولا بالأهمية التي تقال ، حتى انه يجب على المرء ألا يضيع الوقت فيما يتفق فيه الجميع ، اللهم الا اذا كان ثم شيء يريغ الى اثبات أن الفعل ، مع التسليم به ، فانه ليس ظالما . كذلك ينبغي على المرء الا يذكر الا تلك الأمور التي تثير الشفقة أو الغضب ، اذا وصفت كما حدثت فعلا . مثال ذلك قصة القينوس Alcinous ، لأنها في حضرة فانلوفا Penelope اختزلت الى ستين بيتا [1] ، وكذلك الطريقة التي بها عالج Phoyllus الدورة الملحمية ، واستهلال مسرحية « أوينيوس » (٢) .

كذلك ينبغي أن يكون القص ذا طابع أخلاقي ، وسيكون الفعل كذلك لو عرفنا ما يأتي بهذا الاثر . وأول ذلك أن نوضح غرضنا الأخلاقي ، لأنه مثلما يكون الغرض الاخلاقي يكون الخلق ، ومثلما تكون الغاية يكون الغرض الأخلاقي . ولهذا السبب فان الرسائل الرياضية ليس لها طابع أخلاقي ، لأنه ليس لها غرض أخلاقي ، اذ ليست لها غاية أخلاقية . أما المحاورات السقراطية فلها ذلك ، لأنها تناقش مثل هذه الأمور . والاشارات الاخلاقية الاخرى هي الخصائص المصاحبة لكل خلق فردي . مثال ذلك : « لقد كان يتكلم ويمشي في نفس الوقت » ، فهذا يدل على الوقاحة وقلة التهذيب . وينبغي ألا تتكلم كما لو كان ذلك صادرا عن العقل ، مثلما يفعل خطباء هذه الأيام ، بل ينبغي أن تتكلم كما لو كان كلامنا صادرا عن غرض أخلاقي : « أنا أردت هذا ، وأنا فضلت هذا ، وحتى لو لم أستفد شيئا ، فانه أفضل » . فالعبارة الأولى تدل على الفطنة ، والثانية تدل على الفضيلة ، لأن الفطنة تقوم في السعي نحو ما

---

(١) هوميروس : « الاوديسا » النشيد الثالث والعشرون ، ٢٦٤ — ٢٨٤ ، ٣١٠ — ٣٤٣ . وعدد الأبيات في الحقيقة ٥٥ ، لا ٦٠ .

(٢) مسرحية ليوربفيدس . وكان اوينيوس ملكا على قاليدون في ايتوليا ، ووالد ملياجروس .

هو نافع ، أما الفضيلة فتقوم في السعي نحو ما هو مشرف . واذا ظهر أن ذلك غير قابل للتصديق، فينبغي أن نضيف ذكر الأسباب. وعن هذا قدم سوفقليس شاهدا حيث تقول أنتيجونا انها اهتمت بأخيها أكثر من اهتمامها بزوجها أو أولادها ، لأن هؤلاء الآخرين يمكن الاستبدال بهم اذا ذهبوا :

« لكن حين يكون الوالد والوالدة في القبر

فلا يمكن أبدا أن يولد أخ »[(1)]

واذا لم يكن لديك أسباب ، فينبغي على الأقل أن تقول انك واثق بأن ما تقرره غير قابل للتصديق ، لكن هذه طبيعتك ، اذ لا يعتقد انسان أن شخصا يفعل شيئا بأرادته الحرة الا اذا كان ذلك بدافع المصلحة الذاتية .

وأيضا فان القص يجب أن يستفيد مما هو انفعالي ، وذلك بايراد ما من مصاحباته معروف جيدا ، وما هو مميز لك بخاصة ، أو لخصمك : « ومضى ينظر الى عابسا » ، وكما قال اسخينيس Aeschines عن اقراطولوس Cratylus انه صفر بشدة وهز قبضته بعنف . ومثل هذه التفاصيل تحدث الاقناع ، لأنها وهي معلومة للسامع تصبح علامات دالة على ما لا يعـرفه . ويمكن أن نجد شواهد كثيرة على هذا عند هوميروس :

« هكذا تكلمت ، والظئر العجوز غطت وجهها بيديها »[(3)]

لأن الذين ينشئون في البكاء يضعون أيديهم على عيونهم . وعليك أن تقدم نفسك وخصمك معا على أن لكل منهما خلقا خاصا ، حتى يتطلع اليك أو اليه السامعون على هذا الأساس ، لكن لا تجعل ذلك يظهر جليا . أما أن هذا

---

(1) سوفقليس : « أنتيجونا » ، ٩١١ ــ ٩١٢ مع اختلاف في كلمة بين نص أرسطو ومخطوطـات المسرحية χεχυ θόταν (في أرسطو) βεβηχότων (مختبئين) في نص المسرحية .

(٢) اسخينيس المدعو بالسقراطي ، لأنه كان صديقا حميما لسقراط ، وكان فيلسوفا ومؤلف خطب للإلقاء أمام المحاكم ، واشتهر خطيبا عظيما .

(٣) هوميروس : « الاوديسا » النشيد التاسع عشر ، البيت رقم ٣٦١ .

ميسور ، فهو واضح جدا من مثال الرسل الوافدين : فنحن لا نعلم بعد ماذا سيقولون ، ومع ذلك فاننا نحزر شيئا من ذلك •

كذلك ينبغي ايراد القص في مواضع عديدة وأحيانا الامتناع من ايراده في البداية • وفي الخطابة المشورية يكون القص نادرا جدا ، لأنه لا يستطيع انسان أن يقص الأمور التي ستأتي ، لكن ان كان ثم قص ، فيجب أن يكون ذلك للأمور الماضية، حتى يتذكر السامعون فيحسنوا المشورة بشأن المستقبل• ويمكن أن يتم هذا بروح الذم ، أو بروح المدح ، لكن في تلك الحالة لا يؤدي الخطيب وظيفة الخطيب المشوري • واذا كان ثم شيء غير قابل للتصديق فعليك فورا أن تعد بيان السبب لذلك ، وباخضاع الأمر لحكم من يوافق عليه السامعون • مثال ذلك أن يوكاستا Jocasta في مسرحية « أوديب » لقرقينوس تبذل الموعد دائما ،بينما الرجل الذي يبحث عن ابنها يتفحصها هي ، وبالمثل ، هيمون Haemon في (مسرحية « أنتيجونا ») لسوفقليس •

١٧
الحجج
١ — في الحجة

فأما الحجج فينبغي أن تكون برهانية (ἀποδεικτικὰς) • لما كانت مواضع النزاع أربعة ، فانه يجب أن يتعلق بالموضوع المتنازع فيه ، مثلا : اذا كان النزاع في الواقعة ، فيجب ايراد الحجة على ذلك ، قبل أي شيء آخر ، أمام المحكمة ، أو اذا تمسك المرء بأنه لم يحدث ضرر ، أو أن الفعل ليس بالأهمية التي زعمت ، أو كان عادلا ، لأن هذا ينبغي اثباته ، بينما المسائل الثلاث الاخيرة هي أمور متنازع عليها مثل مسألة الواقعة • لكن لا تنس أنه فقط في حالة التنازع حول مسألة الواقعة هذه فان أحد الخصمين هو لا محالة

---

(١) سوفقليس : « أنتيجونا » ، ٦٨٣ — ٧٢٣ . ويرى Cope أن النص الحالي للمسرحية ليس فيه ما يمكن أن يفسر على النحو المقصود ها هنا .

لئيم خبيث ، لأن الجهل ليس هو السبب ، كما سيكون الأمر لو أن مسـألة الصواب أو الظلم هي محل النزاع ، لهذا ينبغي على المرء أن ينفق وقتا في هذا الموضوع ، لا في الموضوعات الأخرى .

وفي الخطب البرهانية يستخدم التكبير ، بوجه عام ، لاثبات أن الأمور مشرفة أو مفيدة ، اذ يجب أن تقوم الوقائع على الثقة ، اذ الحجج عليها نادرا ما تعطي ، وفقط حين تكون غير قابلة للتصديق ، أو حين تنسب المسئولية عنها الى الغير [1] .

وفي الخطابة المشورية اما أن يقرر أن بعض النتائج لن تحدث ، أو أن ما يوصي به الخصم سيحدث، لكنه سيكون ظلما ، أو غير نافع، أو ليس بالأهمية المفترضة . لكن ينبغي على المرء أن يسعى ليرى هل هو يقرر أموراً زائفة عن أشياء خارج محل النزاع ، لأن هذه تبدو كما لو كانت دليلا على أنه يقـرر أشياء تتعلق بمحل النزاع نفسه .

(١٤١٨ أ) والأمثلة مناسبة جدا للخطابة المشـورية ، بينما الضمائر مناسبة جدا للخطابة القضائية . والأولى تتعلق بالمستقبل ، ولهذا فان أمثلتها ينبغي أن تؤخذ من الماضي ، والثانية تتعلق بمسألة حدوث أو عدم حدوث الوقائع ، ولهذا تكون الحجج البرهانية والضرورية فيها أنسب ، لأن الماضي ينطوي على نوع من الضرورة . وينبغي على المرء ألا يورد سلسلة من الضمائر بعضها في اثر بعض ، بل يمزجها كلها بعضها ببعض ، والا لحطم بعضها بعضا، ذلك أن للكمية حدودا ، مثال ذلك :

« يا صديقي ، ما دمت قد قلت بقدر ما يقول الرجل العاقل » [2]

حيث لا يقول هوميروس τοιαῦτα (أمثال الأشياء التي) بل يقول

---

(١) أو تترجم : أو إذا كان ثم سبب آخر .

(٢) هوميروس : « الاوديسا » ٤ : ٢٠٤ .

٢٥٥ α ٢٥ (بقدر الأشياء التي) • كذلك يجب عليك الا تحاول العثور على ضمائر عن كل شيء ، والا كنت محاكيا لبعض الفلاسفة ، الذين يستخرجون نتائج معروفة أحسن ومقبولة أكثر من المقدمات التي استخرجوها منها [١] • وكلما أردت اثارة انفعال ، فلا تستخدم الضمير ، لانه اما أن يطرد الانفعال أو سيكون عديم الفائدة ، ذلك لأن الحركات التي تحدث معا يطرد بعضها بعضا ، وتكون النتيجة أن يدمر أو يضعف بعضها بعضا • كذلك يجب عليك الا تبحث عن ضمير في الوقت الذي تريد فيه أن تضفي على الخطبة طابعا أخلاقيا ، لأن البرهان لا ينطوي على طابع أخلاقي ولا على غرض أخلاقي •

والحكم الأخلاقية ، من ناحية أخرى ، ينبغي أن تستخدم في القص وفي الحجة على السواء • لأنها تنبيء عن طابع أخلاقي . مثال ذلك : « أعطيته النقود ، وهذا على الرغم من علمي أن المرء ينبغي آلا يثق » • أو لاثارة الانفعال : « لست آسفا على ذلك ، على الرغم من أنني ظلمت ، هو نال الربح ، وأنا نلت الحق » •

والكلام المشوري أصعب من الكلام القضائي ، وهذا طبيعي ، لأن الأول يتعلق بالمستقبل ، بينما الكلام القضائي يتعلق بالماضي ، وهو معروف فعلا ، حتى بواسطة الكهان ، كما قال ابمنيدس الكريتي Epimenidis ، لأنه اعتاد أن يتكهن لا بالمستقبل ، بل فقط بالأمور الماضية ولكنها غامضة [٢] • ثم ان القانون هو موضوع الكلام القضائي، واذا كانت لدى المرء نقطة ابتداء، فمن الأسهل عليه أن يجد الحجة البرهانية • والكلام القضائي لا يهييء فرصا كثيرة للتمهل والتلبث : مثال ذلك ، الهجمات على الخصم ، الملاحظات الخاصة بالمتكلم ، أو محاولات اثارة الانفعال • وفي هذا النوع من الخطابة المجال

---

(١) يقصد إنه من السخيف أن يبرهن المرء على شيء يعلمه جميع الناس .

(٢) بعض المحققين يظنون أن ملاحظة ابمينيدس الكريتي هذا قصد هو بها التهكم على الكهان . ويرى البعض الآخر أن أرسطو يريد أن يقول ها هنا إن ابمينيدس كان يمارس نوعاً آخر من التكهن ، يتناول الظواهر الغامضة التي حدثت في الماضي .

لهذه أقل انفساحا مما هو في سائر الفــروع ، اللهم الا اذا شــرد الخطيب عن الموضوع • ولهذا اذا أعوز المرء المواضع ، فعليه أن يفعل مثل الخطباء في أثينا، ومنهم ايسقراطيس ، فانه حتى أثنــاء المشــاورة فانه يورد اتهــامات ضــد اللاقدامونيين ، مثال ذلك في « خطبة المديح » (١) ، وضد خاريس في « سوماخيكوس » (« في السلام » (٢)) •

والخطب البرهانية ينبغي تنويعها بايراد نوادر حميدة على غرار ما يفعل ايسقراطيس الذي يورد منها دائما • وهذا ما عناه جورجياس حين قال انه لم يعدم أبدا شيئا يقوله ، لأنه اذا كان يتكلم عن فليوس Peleus فانه يمدح أخيلوس ثم أياكوس Aeacus ثم الاله ، ثم الشجاعة ، التي تفعل هذا وذاك ، أو هي من هذا النوع أو ذاك • واذا كانت لديك حجج (١٤١٨ ب) ، فيجب أن تكون لغتك أخلاقية وبرهانية معا ، واذا لم تكن لديك ضمائر ، فينبغي أن تكون لغتك أخلاقية فقط • والواقع أن من الأنسب أن يبدو الرجل الفاضل خيرا أكثر من أن تكون خطبته دقيقة بعناء •

٢ ــ في النقض

والضمائر التفنيدية محبوبة أكثر من البرهانية ، لأنه في جميع حالات التفنيد يكون واضحا أنه توصل الى نتيجة منطقية ، ذلك لأن الأضداد تتميز أكثر اذا وضع بعضها الى جوار بعض • وتفنيد الخصم ليس نوعا خاصا من الحجج ،وحججه ينبغي أن تفند بالاعتراض من ناحية ، وبالأقيسة من ناحية أخرى • وفي الخطابة المشورية والقضائية من يتكلم أولا ينبغي عليه أن يقرر حججه ، وعليه بعد ذلك أن يواجه ججج الخصم متنوعة (٣) ، فينبغي البدء

---

(١) Panegyricus ، ١١٠ ــ ١١٤ .

(٢) « في السلام » ، ٢٧ Isocrates : De Pace

(٣) أي عديدة وقوية ، بسبب تنوع النقط المعالجة .

بتناول هذه الحجج أولا ، كما صنع كليستراتوس[1] Kallistratos في مجمع مسينا ، والواقع أنه فقط بعد أن فند أولا ما يحتمل أن يقوله خصومه، فانه ساق بعد ذلك حججه • ومن يقوم بالرد عليه أن يسوق أولا الحجج ضد كلام الخصم ، وأن يفندها ويجيب عنها بالأقيسة ،لا سيما اذا كانت حجج الخصم قد لقيت استحسانا • لأنه لما كانت النفس سيئة المزاج ضد من أثيرت ضده الوشايات (التهم الباطلة) ، كذلك الأمر يكون ضد الخطبة اذا ظن السامعون أن الخصم قد تكلم كلاما عظيما • لهذا ينبغي على الخطيب أن يخلي المجال في ذهن السامع للخطبة التي يريد أن يلقيها ، ولهذا الغرض ، يجب عليك أن تبدد الانطباع الذي أحدثه الخصم • وفقط بعد أن تهاجم كل حجج الخصم ، أو أهمها ، أو المقبول منها ، أو الأسهل في التفنيد ـ نقول فقط بعد هذا ينبغي عليك أن تعرض قضيتك أنت :

« سأدافع أولا عن الآلهات ، لأنني (لا أظن) أن هيرا •••[2] »
في هذه الفقرة أمسك الشاعر بالحجة الأضعف •

وحسبنا ما قلناه عن الحجج • أما فيما يتصل بالطابع الأخلاقي ، فاننا ما دمنا أحيانا ونحن نتكلم عن أنفسنا ، نجعل أنفسنا معرضين للحسد ، أو تهمة الاسهاب ، أو التناقض ، أو ، ونحن نتكلم عن الأخرين ، يمكن أن نتهم بالقذف أو سوء الأدب ، فيجب علينا أن نجعل الغير يتكلم بدلا منا ، كما فعل ايسقراطيس في خطبتي « فيلفوس »[3] و « أنتيدوسس »[4] • وأرخيلوخس

---

(١) قائد وخطيب اثيني عاش في القرن الرابع ق.م وفى سنة ٣٦١ حكم عليه بالإعدام لانه نصح بالسماح لأهل ثيبا باحتلال اوروفس Orapus موقتا ، لكن اهل ثيبا رفضوا بعد ذلك إخلائها . ففر الى مثونا في مقدونيا ، ولكنه حين عاد الى اثينا في سنة ٣٥٥ نفذ فيه حكم الاعدام . وكان دفاعه اثناء محاكمته هو الذي حث ديموسثانس على دراسة الخطابة .

(٢) يوريفيدس : « الطروادیات » ، ٩٦٩ ـ ٩٧١ . وكانت هكوبا قد نصحت منلاوس بقتل هيلانة ، فدافعت هذه عن نفسها طويلا ، فردت عليها هكوبا برد منه هذه الكلمات .

(٣) Philippus ، ٤ ـ ٧ . يقول ايسقراطيس فيها إن أصدقاءه أشادوا كثيراً بإحدى خطبه ، على أساس أن من شانه أن يجلب السلام .

(٤) Antidosis ، ١٣٢ ـ ١٣٩ ، ١٤١ ـ ١٤٩ . وهنا ياتي ايسقراطيس بثناء على تاليفه ، وذلك على لسان صديق متخيَّل .

Ἀρχίλοχος يستخدم نفس الحيلة في التوبيخ ، لأنه في شعر ايامبو الوزن يورد الوالد وهو يتكلم عن بنته هكذا :

« لا شيء يفوق التوقع ، لا شيء يمكن أن نقسم أنه مستحيل »(1)

وخارون Charon النجار في شعر ايامبو الوزن يبدأ هكذا :

« أنا (لا أهتم بثروة) جوجس »(2)

وسوفقليس يأتي بهيمون Haemon - وهو يدافع عن أنتيجونا ضد أبيه، وكأنه يذكر رأي الآخرين • ويجب على المرء أحيانا أن يغير الضمائر الى حكم أخلاقية ، مثال ذلك : « العقلاء ينبغي أن يتصالحوا اذا كانوا في نعمة ، فعن هذا الطريق يبلغون المنافع » ـــ وهذا يساوي الضمير : « اذا كان على الناس أن يتصالحوا كلما كان ذلك مفيدا ونافعا ، فينبغي عليهم أن يتصالحوا في وقت النعمة » •

١٨

في المسئلة والهزل

١ ـــ في المسئلة

فأما المسألة(3) فتصلح أن تستعمل على الأخص (١٤١٩ أ) حين يكون الخصم قد فرغ من تقرير العكس ، بحيث تجعل اضافة سؤال النتيجة غير

---

(١) أرخيلوخس الـــذي من فاروس Paros كان مخطوبـــا لنيوبولا Neobule بنـــت لوقامبس Lycambes . ولكن أباها فسخ الخطبة ، فرفع أخيلوخس دعوى على الأب والبنت متهما إياهما بالقذف الشائن . وهنا يقول إنه بدلا من مهاجمة البنت مباشرة ، مثلها على أن أباها يهاجمها .

(٢) كان جوجس Gyges راعيا تروي الاسطورة أنه كان يملك خاتما سحريا يستطيع به الاختفاء عن الناس ويظل مستوراً لا يرى . وقد ذهب الى بلاط الملك قندول وصار رئيس وزرائـــه ثم اغتاله ليحكم مكانه .

(٣) المسالة : مصدر ميمي بمعنى توجيه السؤال . interrogation

معقولة، مثال ذلك : حين سأل بركليس لامفون[1] Lampon عن الاطلاع على الطقوس المقدسة لاله الخلاص . فلما أجاب لامفون انه ليس من الممكن لمن لم يطلع عليها أن يتحدث معه بشأنها ، سأله بركليس هل هو نفسه على علم بها ، فلما قال نعم ، سأله بركليس : « وكيف كان ذلك ، وأنت لم تطلع عليها ؟ » وأيضا ينبغي استخدام المسئلة اذا كانت احدى القضيتين بينة ، ومن الواضح أن الخصم سيقر بالأخرى لو سألته . لكن السائل وقد حصل المقدمة الأخرى بتوجيه سؤال ، ينبغي عليه ألا يوجه سؤالا اضافيا عما هو بين ، بل عليه أن يقرر النتيجة . مثال ذلك :سقراط ، لما اتهمه مليتوس Meletos بأنه لايؤمن بالآلهة ، سأل عما اذا لم يكن قد قال ان ثم شيئا الهيا ، فلما أجاب مليتوس بالايجاب ، استأنف سقراط الكلام ليسأل عما اذا كانت الكائنات الالهية اما أبناء الآلهة أو شيئا شبيها بالآلهة . فلما أجاب مليتوس بالايجاب مرة أخرى ، سأله سقراط : « هل هناك انسان اذن يقر بأن أبناء الآلهة موجودون ! » ــ وثالثا : حين يراد بيان أن الخصم اما أنه يناقض نفسه أو يسوق قولا عجيبا Paradoxe . وكذلك حين لا يملك الخصم أن يفعل شيئا آخر غير أن يجيب عن السؤال بحل سفسطائي ، لأنه لو أجاب : « جزئيا نعم ، وجزئيا لا » ــ « البعض هم كذلك ، والبعض الآخر ليسوا كذلك » ــ « بمعنى ما هو كذا ، وبمعنى آخر هو ليس كذا » ــ فان السامعين سيصيحون في وجهه قائلين انه وقع في حيص بيص . وفي أحوال أخرى ينبغي ألا نحاول المسألة : لأنه اذا أثار الخصم اعتراضا ، فان السائل يبدو أنه مهزوم ، اذ من المستحيل سوق عدة أسئلة ، بسبب ضعف السامع ، ولهذا ينبغي أن نضغط ضمائرنا قدر المستطاع .

٢ ــ وسائل الجواب عن مسئلة

أما المسائل المشتبهة $\alpha\lambda\alpha\beta$، $\phi\mu\alpha'$ فينبغي أن يجاب عنها بتحديد بواسطة تفسير سليم ، ولكن بغير ايجاز مفرط ، وتلك التي يبدو من المحتمل

(١) لامفون (من القرن الخامس) كان عضوا في جماعة المفسرين الثلاثة الذين كانت الدولة تستشيرهم أو الأفراد ، فيما يتصل بتفسير معاني العجائب ومعنى الوحي .

أنها تجعلنا نناقض أنفسنا ينبغي أن تحل فورا في الجواب ، قبل أن يكون لدى الخصم متسع من الوقت لتوجيه سؤال آخر أو لاستخراج نتيجة ، اذ ليس من الصعب ادراك اتجاه حجته . وكلا النوعين ، ووسائل الجواب عن المسئلة ستتضح بجلاء في كتاب « الطوبيقا » [1] . واذا وضعت نتيجة على شكل سؤال ، فينبغي أن يقرر السبب في جوابنا . مثال ذلك أنه لما سأل فيساندروس[2]

سوفقليس : ألم يوافق على تشكيل لجنة الأربعمائة ، مثله مثل أعضاء لجنة العشرة ، فأقر سوفقليس بذلك . (فقال له فيساندروس :) « اذن لقد ارتكبت أمرا شريرا ؟ » (فأجاب سوفقليس :) : « نعم ، لأنه لم يكن من الممكن فعل شيء أحسن من هذا » . وكالذي كان من أمر اللاقداموني الذي استدعى لتقديم حساب عن عمله بوصفه أحد الأيفوريين[3] . وسئل : أفلا يعتقد أن سائر زملائه قد أعدموا عن عدل ؟ فأجاب « نعم » . فسأله خصمه : « حسنا اذن ، وأنت ألم تقترح نفس الاجراءات التي أقترحوها ؟ » فأجاب : « نعم » . فسأله الخصم : « حسنا اذن ، وأنت أيضا أليس من العدل اذن أن تعدم » فأجاب : « كلا أبدا : فانهم قد ارتشوا من أجل فعل ذلك أما أنا فقد فعلته عن اقتناع » . ولهذا يجب عليك (١٤١٩ ب) ألا توجه أسئلة أخرى بعد استخلاص النتيجة ، وألا تضع النتيجة نفسها في شكل سؤال آخر ، (١٤١٩ ب) اللهم الا اذا رجحت الحقيقة كثيرا في جانبك .

٣ — في الهزل

أما الدعابات فانها كانت مفيدة أحيانا في المساجلات ، فان النصيحة التي

---

(١) م٨ ف ٤ .

(٢) Peisandros : أرستقراطي أثيني ساهم في القضاء على الحكم الديمقراطي في ثورة سنة ٤٤١ ق.م التي انتهت بنقص مجموع الناخبين الى خمسة آلاف مواطن ، وأعطت الحكم الى أربعمائة ، فلما اخفقت هذه المحاولة ، التجا الى اسبرطة .

(٣) الايفوريون ephores الخمسة كان ينتخبهم المواطنون لمدة عام ، وكانوا رؤساء الحكومة الحقيقيين في اسبرطة ، حتى كانت قراراتهم تستطيع أحيانا أن تغير القوانين القديمة غير المسطورة . وكان اسم أقدمهم يطلق على السنة . راجع A. H. J. Greenidge : Greek Constitutional History, 1896

أسداها جورجياس نصيحة صادقة ــ وهي أن نغير جـد الخصوم بالهـزل ، وهزلهم بالجد . وقد ذكرنا في كتاب « الشعر » [1] كم هي أنواع الدعابات ، وبعضها تليق بالانسان الكريم ، وبعضها الآخر لا تليق به . فينبغي عليك اذن أن تختار النوع الذي يليق بك. أما التهكم فأليق بالكريم من التهريج والمجون لأن الأول (التهكم) يقصدبه المرء الى امتاع نفسه ، أما الثـاني (التهـريج والمجون) فيهدف الى امتاع الآخرين .

١٩
في خاتمة الكلام

لخاتمة الكلام اربعة أجزاء . اذ يجب عليك (أ)أن تجعل السامعين مائلين اليك ومستائين من خصمك(ب)وأن تكبر أو تصغر الوقائع الأساسية ، (حـ) وأن تثير الانفعال المطلوب في نفوس سامعيك ،(د) وأن تنعش ذاكرتهم .

ــ فبعد أن تبين صدقك وعدم صدق خصمك ، فان الشيء الطبيعي هو أن تثني على نفسك ، وتذم خصمك ، وتكيف السامعين لمشيئتك. ويجب عليك أن تهدف الى أحد غرضين : أن تبرز أنك رجل فاضل وأن خصمك شرير، اما بالنسبة الى نفسك ، أو بالنسبة الى سامعيك . كيف يتحقق هذا ــ وبأي حجج تثبت أن شخصا خير أو شرير ــ هذا هو ما شرحناه من قبل [2] .

ب ــ وبعد اثبات الوقائع ، فان الأمر الطبيعي أن نفعله بعد ذلك هو أن نضخم أو نقلل من شأنها . ويجب الاقرار بالوقائع قبل المناقشـة في مقـدار أهميتها ، كما أن الجسم لا يمكن أن ينمو الا من شيء موجود فعلا من قبل . وقد بينا من قبل ما هي الحجج المواتية لتحقيق هذا الغـرض من التضخيم والتهوين [3] .

---

(١) الاشارة هنا الى القسم المفقود منكتاب « الشعر » لأرسطو .

(٢) في المقالة الأولى ، الفصل التاسع .

(٣) في المقالة الثانية ، الفصل التاسع عشر .

٣ ــ وبعد أن تفهم الوقائع وأهميتها بوضوح ، فيجب عليك أن تثير مشاعر سامعيك • وهذه المشاعر هي : الشفقة ، الغضب ، الحفيظة ، البغض ، الحسد ، المنافسة ، المقاتلة • وقد بينا من قبل ما هي الحجج المواتية لتحقيق هذه الأغراض [1] •

٤ ــ وعليك أخيرا أن تلقي نظرة على ما قلته • وهنا تستطيع بحق ما يوصي البعض خطأ بصنعه في الاستهلال : كرر النقط التي قلتها مرارا حتى تجعلها مفهومة بسهولة • وما ينبغي عليك أن تصنعه في الاستهلال هو أن تعرض موضوعك ، حتى تكون النقطة المطلوب الحكم عليها واضحة تماما ، وينبغي عليك في الخاتمة أن تلخص الحجج التي بها أثبت صحة دعواك • والخطوة الأولى في عملية المراجعة هذه هي أن تلاحظ أنك فعلت ما سعيت الى فعله • وعليك بعد ذلك ، أن تقرر ما قلت ولماذا قلته • ويمكن منهجك أن يكون هو المقارنة بين دعواك ودعوى خصمك ، كما يمكنك أن تقارن بين طريقتك في معالجة الأمر وطريقة خصمك ، أو أن تجعل مقارنتك أقل مباشرة: « قال خصمي كذا وكذا عن هذه النقطة ، وأنا قلت كذا وكذا ، وهذه هي اسبابي »• (١٤٢٠ أ) أو تقول بتهكم متواضع: « من المؤكد أنه قال كذا وكذا أما أنا فقلت كذا وكذا » • أو : « كم كان سيكون عابثا لو أنه أثبت هذا بدلا من ذاك ! » أو على شكل سؤال : « أي شيء لم أثبته أنا ؟ » أو : « ماذا أثبت خصمي » ويمكنك ، بعد ذلك اما أن تسلك هذا السبيل بوضع نقطة في مقابل نقطة ، أو باتخاذ الترتيب الطبيعي للحجج (١٤١٠ ب) ، ساردا أولا حججك أنت ، وبعد ذلك ، وعلى حدة ان شئت ، حجج خصمك •

وبالنسبة الى الخاتمة فالاسلوب اللغوي المتقطع هو الأنسب ، وسيحدد الفارق بين القول λόγος وخاتمة القول ἐπίλογος • «لقد تكلمت ، وأنتم قد استمعتم ، والحقائق ماثلة أمامكم •فأصدروا الآن حكمكم» [2] •

---

(١) في المقالة الثانية ، الفصول ١ ــ ١١ •

(٢) يعتقد عامة أن هذا المثال لخاتمة مناسبة هو صدى لخاتمة خطبة لوسياس « ضد اراتوسثانس » Eratosthenes •

فهارس

معجم بالمصطلحات البلاغية اليونانية*

ἀγωνιστικός [م ١ ف ص ١٣٦١ ب] : = مناسب للمباريات الرياضية ، [م ٣ ف ١٢ ص ١٤١٣ ب] : فيما يتعلق بالأسلوب : مناسب للمجادلة ἀγῶνα ، ويشمل الخطابة الشفوية ويقابله وهو يقابل γραφική = أسلوب الخطب المكتوبة المعدّة والمنمّقة.

ἀκρίβεια [م ٣ ف ١٢] ἀκριβολογία [م ١ ف ٥] ، ἀκριβής [م ٣ ف ١٧] : فيما يتعلق بالأسلوب ، "دقيق" ، "لطيفة" ، "سليم جداً" ، فيما يتعلق بالتفكير : "سليمة ، كاملة".

ἀποπλάνησις (م ٣ ف ١٣) : ذر الرماد في عيون القاضي وصرف انتباهه عما ليس في صالح الخطيب (الشانع) ، وأيضاً بمعنى : "الاستطراد" ، "الخروج عن الموضوع".

ἀντίμοιος (م ٣ ف ١ ص ١٤٠٣ ب) حرفياً : الرابط ، في هذا الموضع ، نبرة ، كلمة بصوت.

ἀρχή ... αἴτιον (م ١ ف ٧) : المبدأ ... العلة ، بالنسبة إلى اعتبار البذور هي المبدأ وقوة الإنبات هي العلة.

ἄτεχνος (م ١ ف ٢ ، ف ١٥) : فيما يتعلق بالحجج : هي التي هي مستقلة عن الصناعة أو الفن ، لأنها موجودة من قبل ، ويقابله المستعملة ἔντεχνος : هي التي على الخطيب أن يخترعها من عنده.

αὔξησις (م ١ ف ٩ ص ١٣٦٨ أ) ، αὐξητικά [م ١ ف ٩] ، αὔξειν (م ٢ ، ف ١٩) : التكبير ، ويقصد به تنمية التأثير الخطابي من ناحية القول بإبراز الظروف المفيدة في تخفيف من التقصير.

αὐτοκάβδαλος [م ٣ ف ٧ ص ١٤٠٨ أ] = ارتجالي ، αὐτοκαβδάλως (م ٣ ف ١٤ ص ١٤١٥ ب) (سفينة صغيرة) يحلم " ، قُد (طعام أو وجبة طعام).

ἀφελής (م ٣ ف ٩ ص ١٤٠٩ ب) : بسيط (فيما يتعلق بالدور في الأسلوب الدوري).

βλακώδεις [م ٢ ف ٢٣ ص ١٣٩٩ أ] : ارتداد قياس الاحتجاج مع قائله

γλῶτται [م ٣ ف ٣ ص ١٤٠٦ أ] : كلمة مهجورة ، أو أعجمية ، أو عامية ، وبالجملة تحتاج إلى شرح

---

* اعتمدنا في المعجم الذي وضعه J. H. Freese في ترجمة كتاب الخطابة: Aristotle: "Art" of Rhetoric, translated by J. H. Freese. Loeb Classical Library, London, Heinemann 1967.

γνώμη [م ٣ ف ٢١ ص ١٣٩٤ أ] كلمة قصيرة، حكمة في البيان.

γραφική (م ٣ ف ١٢) : مناسب للكتابة، في مقابل ἀγωνιστική،

δεῖγμα [م ٣ ف ١٤ ص ١٤١٥ أ] : نموذج، عيّنة، ويطلق على استهلال أو مطلع المقدمة الخطبية أو المسرحية، لأنه نموذج لما سيأتي بعد في صلبها ويمهد ذهن القارئ لما سيتلو.

δεικτικὰ ἐνθυμήματα (م ٢ ف ٢٢ ص ١٣٩٧ أ] : حجج مباشرة، في مقابل البراهين بالخلف. والإضمار البرهاني أو الشرحي. وهي تقابل ἐλεγκτικά التي ترمي إلى التفنيد.

δεῖξις (م ٣ ف ٧) : منهج البرهان.

δείνωσις [م ٢ ف ٢١ ص ١٣١٥ أ] : المبالغة.

διαίρεσις [م ٢ ف ٢٣ ص ١٣٩٨ أ] : التقسيم إلى أجزاء.

διαλεκτική [م ١ ف ١ ص ١٣٥٤ أ ١] : الجدل المنطقي، عن طريق السؤال والجواب، وعند أرسطو: منطق الاحتمالات، في مقابل البرهان، يعني المنطق أو البرهان العلمي ἀπόδειξις. ومقدمات الدياليكتيك احتمالية، ولذلك كانت النتائج احتمالية، أما البرهان اليقيني فمقدماته يقينية، ولذلك كانت نتائجه يقينية. والدياليكتيك يسير على طريقة السؤال والجواب، أما الخطابة فالقول فيها مرسل، متصل، موجه إلى جماعة مختلطة من أجل إقناعها.

διάνοια (م ١ ف ١٣ ص ١٣٧٤ ب] = مقصد، معنى؛ [م ٢ ف ٢٦ ص ١٤٠٣ أ ٣٦، م ٣ ف ١ ص ١٤٠٤ أ] = فكر، وهو الجانب الإبداعي في الخطابة؛ [م ٣ ف ١٦ ص ١٤١٧ أ] = قدرة عقلية، في مقابل القصد أو الغاية الأخلاقية.

διατριβή [م ٣ ف ١٧] : فرصة للتوقف طويلاً عند مسألة، فرصة للاستطراد.

διῃρημένη [م ٣ ف ٩ ص ١٤١٠ أ] (أسلوب) متقطع، فواصله ترتبط بحروف عطف.

δύναμις : قوة ذهنية أو سلطة، ملكة طبيعية، مهارة؛ الوجود بالقوة في مقابل الوجود بالفعل ἐνέργεια.

ἐγκώμιον [م ١ ف ٩ ص ١٣٦٧ ب] مدح الأفعال الفعلية أو البدنية، وبينه وبين ἔπαινος وهو مدح الصفات المعنوية والخلقية.

εἶδος : (١) شكل، نمط؛ (٢) نوع في مقابل جنس؛ (٣) موضوعات خاصة.

εἰκός [م ١ ف ٢ ص ١٣٦٧ أ] الاحتمال (في الفضائل)، القضية الصحيحة

في أغلب الأحوال

εἰκών [م ٣ ف ٤ ص ١٤٠٦ ب] مجاز مع إضمار أداة التشبيه: كـ.

εἰρομένη λέξις [م ٣ ف ٩ ص ١٤٠٩ أ] أسلوب مرسل، متصل، شبيه بالخط المستقيم.

ἐνδόσιμον [م ٣ ف ١٤ ص ١٤١٤ ب ١٤١٤ أ] مفتاح النغمات في الموسيقى؛ [م ٣ ف ١٤ ص ١٤١٥ أ] النغمة الساذجة في خطبة، وأحيانًا بمعنى الاستهلال προοίμιον

ἐνέργεια [م ٣ ف ١١ ص ١٤١١ ب] الوجود بالفعل، الأداء؛ تصوير الأشياء كما لو كان حيًّا.

ἐνθύμημα [م ١ ف ٢ ١٣٥٦ أ] الضمير: قياس خطابي، أي مقدماته محتملة، ولهذا لا يكون برهانًا يقينيًا. راجع كتابنا في "المنطق الصوري والرياضي" (ص ٢٢٢ – ص ٢٢٥).

ἔνστασις [م ٢ ف ٢٥ ص ١٤٠٢ أ]: في المنطق: الاعتراض وهو ضد القضية التي سيرتها الخصم، لا ضد النتيجة التي يستخلصها. ولما كانت القضية التي يسوقها الخصم إما كلية أو جزئية، فإن الاعتراض إما أن يكون كليًا، أو جزئيًا. ويكفي تقرير أو إثبات نفي جزئية واحدة للقضاء على الكلية.

ἕξις [م ٢ ف ١٠ ص ١٣٦٨ ب] ملكة راسخة، عادة مكتسبة للعقل، ناتجة عن الممارسة πρᾶξις، ومن شأنها أن تنتج أفعالًا معينة.

ἐπεισοδιοῦν [م ٣ ف ١٧ ص ١٤١٨ أ] ادخال ἐπεισόδιον أي جزء استطرادي.

ἐπιείκεια, ἐπιεικής [م ١ ف ٢ ص ١٣٦٦ أ] طيبة؛ [م ١ ف ١٣ ص ١٣٧٤ أ] معاملة عادلة

ἐπίθετον [م ٣ ف ٢ ص ١٤٠٥ ب؛ م ٣ ف ٣ ص ١٤٠٦ أ] صفات، إضافات وصفية أو استعارية، أو للتحلية

ἐπίλογος [م ٣ ف ١٩ ص ١٤١٩ ب ٢٠ -] خاتمة الخطبة

ἐπιστήμη [م ١ ف ١ ص ١٣٥٤ أ]؛ ἐπιστητός [م ٢ ف ٢٤ ص ١٤٠٢ أ]

العلم، في مقابل الصناعة أو الفن τέχνη، أو في مقابل التجربة والممارسة ἐμπειρία

ἐποικοδομεῖν [م ١ ف ٧ ص ١٣٦٥ أ] تركيب جملة مع جملة شيئًا درجة درجة

ἐρώτησις [م ٣ ف ١٨ ص ١٤١٩ أ] سؤال موجه إلى الخصم ويطلب أن يجيب "بنعم" أو "لا" – في مقابل πύσμα أو πεῦσις وهو الذي يحتاج في جوابه إلى شرح وتبيان.

εὐήθης (م٢ ف١٤ ص١٣٨٩ أ) حسن الخلق، في مقابل κακοήθης سيّئ الخلق؛ (م٣ ف٤ ص١٤٠٤ أ؛ ف١٤ ص١٤١٣ ب] فيما يتعلق بالأسلوب: أبله، أحمق، خاوٍ، عبث.

εὔογκος (م٣ ف٧ ص١٤٠٨ أ) فيما يتعلق بالأسلوب: ثقيل الوزن، رصين، في مقابل εὐτελής أي رخيص، هزيل، غث.

εὐφυής (م٢ ف١٦ ص١٣٦٣ أ] ذو مواهب طبيعية عظيمة، في مقابل ذي المقدرة الناتجة عن الدراسة والتمرس والممارسة.

ἦθος : سجية طبيعية في الإنسان، خُلق، استعداد طبيعي.

ἰατρεύματα [م٣ ف١٤ ص١٤١٥ أ] عقاقير مضادة لعدم انتباه السامع وانصراف ذهنه، مشوّقات، منبّهات مما يعين على الفهم وتشد انتباههم.

ἴδια ὀνόματα (م٣ ف٥ ص١٤٠٧ أ) "ألفاظ خاصة"، في مقابل الأوصاف العامة أو الكلية - περιέχοντα.

κατασκευάζειν (م٢ ف٢٤ ص١٤٠١ أ) : يعقد حجة، في مقابل: كل حجة ἀνασκευάζειν, ἀναιρεῖν ؛ (م٢ ف١ ص١٣٨٠ أ؛ م٣ ف١٩ ص١٤١٩ ب] يضع في حالة نفسية معينة، يكيف حالته النفسية.

κατεστραμμένη λέξις [م٣ ف٩ ص١٤٠٩ ب] الأسلوب الدوري الذي يشبه الخط الدائري الذي يعود وينتهي عند نقطة معلومة.

κύριος (م١ ف١ ص١٣٥٥ أ؛ م١ ف٨ ١٣٦٥ ب؛ ف١٥ ص١٣٧٥ ب]: ذو سيادة، فعال؛ [م١ ف٣ ص١٣٥٨ ب] مناسب، ملائم؛ (م٣ ف٢ ص١٤٠٤ ب) فيما يتصل بالكلمات: مستقرة، ثابتة، مستعملة بمعناها الطبيعي، في مقابل: أجنبية، مصورة، مستعملة مجازية.

κῶλον [م٣ ف٩ ص١٤٠٩ ب] : قسم من الدور في الأسلوب.

λεκτικός [م٣ ف٨ ص١٤٠٨ ب] ينتسب إلى لغة الحياة الجارية، ولهجة التخاطب.

λιτός [م٣ ف١٦ ص١٤١٦ ب] (أسلوب) سهل، غير منمق.

λόγος : قول، خطبة؛ [م٣ ف٦ ص١٤٠٧ ب] وصف، تحديد، تعريف، في مقابل ὄνομα اسم؛ [م٣ ف٢ ص١٤٠٤ ب] نثر؛ [م٢ ف٢ ص١٣٩٣ أ] قصة، حكاية؛ [م٢ ف٢ ص١٣٧٩ ب] اعتبار، نظر، تقدير، حساب.

μαλακός [م١ ف ١٠ ص ١٣٦٨ ب] مخنث ؛ [م٣ ف ١٧ ص ١٣٩١ أ] رقيق، خالٍ من الحدة والانفعال ؛ [م٢ ف ٢٢ ص ١٢٩٦ ب] (تعكيه) متراخٍ، غير محكم.

μέγεθος [م١ ف ٥ ص ١٣٦١ ب] قوام ؛ [م٣ ف ١ ص ١٤٠٣ ب] عظمة، فخامة (الأسلوب).

μειοῦν [م٢ ف ١٨ ص ١٣٩١ ب] يصغر، يحقر، يهون من شأنه، في مقابل αὔξειν

μείουρος ، μύουρος [م٣ ف ٩ ص ١٤٠٩ ب] بتور (دور أو جملة يبدو أنها انتهت بغتة أنها بترت).

μειρακιώδης [م٣ ف ١١ ص ١٤١٣ أ] (أسلوب) يتصف بالفتوة والتدفق وبالتالي لا يلائم الشيوخ.

μείωσις [م٢ ف ١٨ ص ١٣٩١ ب، م٣ ص ١٤٠٣ أ] تصغير، تحقير، تهوين من شأن، في مقابل αὔξησις

μετανάστης [م٢ ف ٢ ص ١٣٧٨ ب] مهاجر، شارد، غير مقيم

μεταφορά [م٣ ف ١٠ ص ١٤١١ أ، ب] نقل، مجاز.

μέτρον : بحر أو وزن من أوزان الشعر

μονόκωλος [م٣ ف ٩ ص ١٤٠٩ ب] دور مؤلف من عضو أو جزء واحد

νόμος : ناموس، قانون، ويستعمل أيضاً بمعنى عُرف في مقابل طبيعة φύσις

ὄγκος [م٣ ف ٦ ص ١٤٠٧ ب] رزانة، أُهبة، فخامة

οἰκεῖος [م١ ف ٥ ص ١٣٦١ أ] خاص بالشيء، بعيد التصرف فيه كالشيء. (م١ ف ٤ ص ١٣٦٠ أ] خاص بشيء ما، شيء خاص بالشيء بعينه أكثر ؛ [م٣ ف ٢ ص ١٤٠٤ ب، ف ٧ ص ١٤٠٨ أ] فيما يتعلق بالأسلوب واستعمال الكلمات : مناسب، ملائم.

ὁμωνυμία [م٢ ف ٤ ص ١٤٠١ أ، ب؛ م٣ ف ٤ ص ١٤٠٥ أ] استعمال الكلمات بمعنى مشترك، كلمات مشتركة أي تتفق في الصوت وتختلف في المعنى.

ὀνόματα : الأسماء والصفات والأدوات والظروف، وتستعمل مضروباً "كلام" في مقابل "الفعل"

πάθος [م٢ ف ١٦ ص ١٣٩١ أ] حالة عقلية أو انفعال ؛ [م١ ف٢] صفة،

παραβολή [م٣ ف١٩ ص١٤١٩ ب] الوضع جنباً إلى جنب ، المقارنة ؛ [م٣ ف٢] التوضيح بالمثال.

παράδειγμα [م٢ ف٢٠ ص١٣٩٣ أ] : مثل ، شاهد ؛ [م١ ف٢] البرهان بسرد شواهد ، الاستقراء الخطابي في مقابل القياس ἐνθύμημα

παράλογος [م١ ف١٣ ص١٣٧٤ ب] غير متوقع ؛ παραλογίζεσθαι [م١ ف٤ ص١٣٧٤ ب] يخدع ، يغش ؛ [م٢ ف٢٤ ص١٤٠١ ب] يبرهن برهاناً زائفاً ، يغالط في الاستدلال ؛ παραλογιστικός [م١ ف٩ ص١٣٦٧ أ] سفسطائي ، مغالطي ؛

παραλογισμός [م٣ ف١٢ ص١٣١٣ ب] : الأغلوطة ، مغالطة ، سفسطة.

παρίσωσις [م٣ ف٩ ص١٤١٠ أ] وزن الفواصل ؛ πάρισος (جملتان) متوازنتان تماماً.

παρομοίωσις [م٣ ف٩ ص١٤١٠ أ] تشابه الأصوات في بدايات أو نهايات الجمل.

πεποιημένον ὄνομα [م٣ ف٢ ص١٤٠٦ أ] : كلمة مخترعة للمناسبة.

περίοδος [م٣ ف٩ ص١٤٠٩ ب] جملة تامة ، مؤلفة من عدة فواصل ، من نقطة وقوف إلى نقطة وقوف أخرى.

περιπέτεια [م١ ف١١ ص١٣٧١ ب] تغير مفاجئ في الحظ أو الحالة.

πίστις [م١ ف١٤] تصديق ، وسيلة إقناع ، حجة في مقابل برهان.

πρακτικός [م١ ف٦ ص١٣٦٢ ب] قادر على فعل كذا

πρόθεσις [م٣ ف١٣ ص١٤١٣ أ] عرض المسألة

προοίμιον [م١ ف١ ؛ م٣ ف١٤] استهلال ، مطلع ، افتتاح

πρότασις [م١ ف٣ ص١٣٥٩ أ] قضية ، مقدمة في قياس

πτῶσις [م١ ف٧ ص١٣٦٤ ب] لفظ عام لتصاريف الأسماء والأفعال وأسماء الأوصاف.

ῥῆμα (١) عامة : ما ينطق ؛ (٢) خاصة في النحو : "الفعل" في مقابل "الاسم" ὄνομα

ῥυθμός [م٣ ف١] حركة منتظمة متسقة ، إيقاع.

σαφὴς λέξις [م٣ ف٢] واضح ، بارز

σεμνὴ λέξις [م٣ ف٢] نبيل، فخم، رائع، حافل.

σημεῖον [م١ ف٤٦] العلامة، برهان احتمالي. والعلامة لها نوعان: نوع له منزلة الجزئي إلى الكلي، والآخر له منزلة الكلي إلى الجزئي. أما τεκμήριον فعرّفوه: فهي علامة ضرورية أو واجبة، ويمكن استخدامها في قياس برهاني، ولا يمكن تفنيده. فالعلامة إذاً عامة، أو خاصة. فالاصطلاح الأول يشمل التعريفين، والاصطلاح الخاص، يشمل نوعي العلامة، وما يمكن تفنيده.

σόλοικος [م٢ ف٦ ص١٣٩١أ] من يخالف النحو والتهذيب والأدب، من يتكلم كلاماً غير سليم.

σεμνός [م٣ ف١٢ ص١٤١٣ب] (أسلوب) جزل، فخم.

στοιχεῖον [م٢ ف٢٢، ف٢٦] عنصر في القياس، موضع.

στρογγύλος [م٢ ف٢١ ص١٣٩٤ب] مستدير، (أسلوب) جزل، محكم، موجز.

συκοφαντία [م٢ ف٢٤ ص١٤٠٠أ] اتهام كاذب، مغالطة، سفسطة.

σύμβολον [م٣ ف١٥] علامة دالة.

συνάγειν [م١ ف٢، م٢ ف٢٢] يستنتج، [م٣ ف١١] إعلان، جمع معاً.

σύνδεσμος [م٣ ف٥ ص١٤٠٧أ] رابطة، رباط، وتشمل: حروف الجر، حروف العطف، وبعض الحروف الأخرى.

σύστοιχα [م١ ف٧] متناسقات، احداثيات.

σχετλιασμός [م٢ ف٢١ ص١٣٩٥أ] شكاية منفعلة من الظلم أو سوء الحظ؛ جزء من الخاتمة، فيه يحاول استجلاب عطف السامع، بوضعه في حالة نفسية تتعاطف مع دعوانا.

σχῆμα [م٢ ف٢٤ ص١٤٠١أ؛ م٣ ف٨ ص١٤٠٨ب] شكل الكلام الناتج عن طريقة الإلقاء أو القراءة.

τάξις [م٣ ف١٣-١٩]: النظم (في البلاغة)، الترتيب أو توزيع الأجزاء في الخطبة.

ταπεινὴ λέξις [م٣ ف٢ ص١٤٠٤ب] وضيع، حقير، زريّ، سافل.

τεκμήριον [م١ ف٤] ← σημεῖον

τέχνη [م١ ف١] مجموعة قواعد، كتاب مدرسي في الخطابة، حيل يلجأ إليها الخطيب.

شاهد، السامعين

τόπος [م ٢ ف ٢٦] رءوس المسائل التي تقتبس منها حجج خطابية من نفس النوع = موضع. والمواضع نوعان: (١) مواضع مشتركة κοινοὶ τόποι، وهي المواضع المشتركة بين أنواع الخطابة الثلاثة [م ١ ف ٢، م ٢ ف ١٨]، (٢) مواضع خاصة ἴδια أو εἴδη [م ١ ف ٢] وهي قضايا محدودة التطبيق، مستمدة خصوصاً من الأخلاق والسياسة.

ὑπόκρισις [م ٣ ف ١] الإلقاء الخطابي، ويدخل فيه: الإنشاد، والصوت، والحركات، والتعبير، وكل ما هو متصل بالتمثيل المسرحي؛ ويطلق أيضاً على التمثيل المسرحي بوجه عام، فن التمثيل.

χώρα [م ٣ ف ١٧ ١٤١٨ب] إفساح مجال في نفس السامع للحجج التي سأأتي بها، سواء أكان السامع هو الخصم أم القضاة أم السامعين بعامة.

ψιλός [م ٣ ف ٣ ١٤٠٤ب] "عارٍ"، "أصلع" في وصف النثر في مقابل الشعر = بدون وزن.

ψυχρός [م ٣ ف ٣ ١٤٠٥ب] "بارد"، "تافه".

فهرس الأعلام(*)

54 a — 99 b = 1354 a — 1399 b

0 a — 20 b = 1400 a — 1420 b

Achille : 59 a 2 ; 63 a 19 ; 78 b 31 ; 80 b 29 ; 96 a 26 ; 96 b 12, 15, 16 ; 1 b 18 ; 6 b 21, 24 ; 16 b 27 ; 18 a 36 — أخيلوس

Aegina, Aeginetans, 96 a 20 ; 11 a 15 — الآجيناتين

Aenesidemus, 73 a 22 — أناسيدموس

Aeschines (Socraticus) 17 b 1 — اسخينى

Aesion, 11 a 25 — آسيون

Aesop, 93 a 31 ; 93 b 10, 23 — هيسوفوس

Agathon, 92 b 7 ; 2 a 9 — أغاثون

Ajax of Theodectes, 99 b 28 ; 0 a 28 — « آآس » لثيودكتس

Alcaeus, 67 a 9 — ألقاووس

Alcidamas 73 b 18 ; 98 b 10 ff ; 6 a 1 ff, 18 ff ; 6 b 11 ff — ألقيدامس

Alcinous 17 a 14 — ألقينوس

Alcmaeon 97 b 3 — ألقميون

Alexander (Paris), 63 a 19 ; 97 b 21 ; 98 a 22 ; 99 a 3 ; 1 b 21, 36 ; 15 a 1 — الاكسندروس

Alphesiboea, 97 b 6 — ألفاسيبيه

Amasis, 86 a 20 — أماسيس

(*) هذا الفهرس مرتب حسب كتابة الأسماء باللغة الإنجليزية ، والأرقام تشير إلى ترقيم نشرة بكر Bekker الذى وضعناه فى الهامش ، فالرقم الأول مع الحرف الأبجدى (a, b) يشير إلى رقم الصفحة والرقم الذى يتلوه هو رقم السطر .

Amphiaraus, 89 a 16 أمفياراوس
Anaschetos, 12 b 12 أنسخطوس
Anaxagoras, 98 b 16 أناكساغورس
Anaxandrides, 11 a 19 ; 12 b 17 ; 13 b 26 انكسندريدس
Androtion, 6 b 27 أندروقليس
Androcles, 0 a 10 أندروطيون
Antigone of Sophocles, 73 b 9; 75 a 34 ; 15 b 20 ; 17 a 30 ; 18 b 33 أنتيجونا = أنطيغونى
Antimachus, 8 a 2 أنطيماخوس
Antiphon (الشاعر) 79 b 15 ; 85 a 9 ; 99 b 25 أنطيفون
Antisthenes, 7 a 9 أنطستانس
Aphrodite, 0 b 23, 13 a 34 أفروديت
Apollo, 98 b 34 ابولو
Archelaus, 98 a 24 آركيلاوس
Archibius, 76 a 11 آرخيبيوس
Archidamus, 6 b 30 آرخيدامس
Archilochus, 98 b 12 ; 18 b 27 ff آرخيلاوس (= آرخيلوخس)
Archytas, 12 a 12 آرخوطيس
Areopagus (محكمة) 54 a 23; 98 b 27 الأريوس فاغوس
Ares 7a 17 ; 13 a 1, 6 آآرس
Argus, 75 a 5 أرغوس
Artsteides (العادل) 98a 9 ; 14 b 37 أرسطيدس ، أرستيدس
Aristippus, 98b 30 أرسطيفوس
Aristogeiton أنظر Harmodius
Aristophon, 98 a 5 أوسطوفون
Aristophanes , 5 b 30 أرسطوفانس
Aristotle (إشارات إلى كتبه) : « التحليلات » 56 b 9 ; 57 a 30 ;
57 a 30 ; 57 b 23 ; 3 a 3 ; 8 a 13 ; — « المناهج » 56 b 19 ;
— « الشعر » 72 a 2 ; 4a 39 ; 4 b 7, 28 ; 5 a, 6 ; « السياسة » —
66 a 22 ; — « الطوبيقا » 56 b 12 ; 58 a 28 ; 96 b 4 ;
98 a 28 ; 99 a7 ; 2 a 35 ; 3a 32 ; 19 a 24.
Artaxerxes (الثالث) 93 b 2 ارتكسركسس

Athens and Epidaurus, 11 a 12 — ا ثينه وأفيدورس
Athens and Salamis 75 b 30 — آ ثينيه واسلمينه
Attic 95 a 21 (الجار الاتيكى) — (جار) أتيكى
Autocles, 98 b 26 — أوطوقلوس

B

Beotians, 7 a 3, 5 — أهل بووطية
Bryson, 5 b 9 — بررسون

C

Callias زيد س الثاس 56 b 31, 82 a 5 — قلياس
Calliope, 5a 33 — قاليوفيس
Callippus, 99 a 16 ; 0 a 5 — قاليفوس
Callisthenes, 80 b 12, 13 — قليثانيس
Callistratus, 64 a 19 ; 74 b 26 ; 18 b 10 — قلسطراطوس
Calydon, 9 b 12 — كالودون
Carcinus, o b 10 ; 17 b 18 — قرقينوس
Carthaginians, 72 b 28 — القرطاجنيون
Cephisodotus, 7a 9; 11a 6, 23, 28 — قافيسودوتوس ، قيفيسادوطوس
Chabrias, 64 a 21 ; 13 b 6 — كبريوس
Chaeremon, 0 b 25; 13b 13 — خيريمون
Chares, 76 a 10 ; 11 a 7 ; 11 b 2 ; 18 a 32 — خارياس
Charidemus, 99 b 3 — خاريديموس
Chians 98 b 12 — (أهل) كيوس [خيوس]
Chilon, 89 b 4 ; 98 b 14 — قيلون
Choerilus, 15 a 4 — خويريلوس
Cimon, 90 b 31 — قومون (قيمون؟)
Cleophon, 75 b 31 ; 8 a 15 — قلاوفون
Conon 99 a 5 ; 0 b 15 — قونون
Corax, 2 a 17 — قورقس
Corinthians, 63 a 15 — القورنثيون
Cratylus, 17 b 1 — قراطيلوس
Creon, 75 a 34 — قريون

Critias, 75 b 34 ; 16 b 29	قريطيوس (= قريطياس)
Croesus. 7 b 39	قريسوس
Cycnus, 96 b 17	قوقنوس
Cydias 84 b 32	قودياس

D

Darius, 93 b 1	داريوس
Delphi, 98 b 32	دالفوس
Demades, 1 b 33	ديمادس
Democrates, 7 a 7	ديموقراطيس
Democritus of Chios, 9 b 26	ديموقريطس من أهل كيوس
Demosthenes, 97 b 7 ; 1 b 34 ; 7 a 6	ديموسثانس
Diogenes (الكلبي) 11 a 24	قيون
Diomedes, 96 b 15 ; 99 b 28	ديوماديس ، ديوميدس
Diomedon, 97 a 25	ديوميدون
Dion, 73 a 20	ديون
Dionysius (الغاصب) 57 b 31, 34 ; 85 a 10 ; 90 b 29 ; —	« النحاسي »
5 a 32 ; — b 13	ديانوسوس
Dionysus, 5 a 23 , 7 a 16 : 16 a 32	ديانوسوس
Diopeithes, 86 a 14	ديابيثيس
Dodonis, 98 b 4	دودونس
Dorieus, 57 a 19	داريوس
Draco (واضع الشرائع) 0 b 21	دراقون

E

Egypt and Egyptians, 93 a 33 ; 17 a 7	مصر والمصريين
Elea (أهل) 0 b 6	الاليائيون
Elis (أهل) 16 a 2,3	ايليون
Empedocles, 73 b 14 ; 7 a 35	امفيدوقليس
Epicharmus, 65 a 16 ; 10 b 4	أفيخاراموس
Epidaurus, 11 a 12	أفيداروس
Epimenides, 18 a 24	أفنيذس
Ergophilus 80 b 11	ارغوفيلوس
Euboea, 11 a 10	أوبوا
Eubulus, 76 b 9	أوبولوس

Euctemon, 74 b 36 اقطيمون
Euripides : 84 b 16 ; 16 a 29 ; 4 b 26 ; 15 a 20 ; اقتباسات منه —
70 b 3 ; 71 a 28 ; 71 b 32 ; 94 a 29 ff ; 94 b 1 ; 94 b 3 ; 94 b 15 ;
95 b 29 ; 97 a 27 ; 0 b 23 ; 5 a 28 ; 5 b 23 ; 7 b 34 ; 9 b 10 ; 11 b
30 ; 15 b 21 ; 16 a 31 ; 17 a 15 ; 18 b 21 يوريفيدس
Euthydemus, 1 a 27 أوتوديموس
Euthyeus, 92 b 12 أوثيونوس
Euxenus, 6 b 30 اوسخونوس
Evagoras, 99 a 4. 6 أغورس
Evenus, 70 b 10 ايفنوس

G

Gelon, 73 a 23 غيلونيه ، جيلون
Glaucon of Teos, 3 b 26 غلوقون من تيوس
Gorgias : 4 a 26 ; 5 b 37 ; 6 b 9 ; 6 b 15 ; 8 b 20 ; 14 b 31 ; 16 a 1 ;
18 a 35 ; 19 b 4 جرجياس

H

Haemon 17 b 20 (لسوفوقليس) هايمن
Halys, 7 a 39 هالوس
Harmodius and Aristogeiton, 68 a 18 ; 97 b 28 ; 1 a 11 هرموديوس وآرسطوغتون
Hector, 80 b 28 ; 96 b 17 ; 97 b 23 اقطور
Hecuba, 0 b 22 أقابي
Hegesippus, 98 b 32 هاجا سيفوس
Helen, 99 a 2 ; 1 b 36 هيلانه
Heracleidae, 96 a 14 الهرقليدس
Heracleitus, 7 b 14 ارقليطوس
Hercules (سوارى) 88 a 10 ارقلس
Hermes, 1 a 20, 21
Herodicus, 61 b 5 ; 0 b 19 هرديقوس ، هارودوقس
Herodotus, 7 a 39 ; 9 a 28 ; 17 a 7 رودطوس
Hesiod, 88 a 17 (اقتباس منه) هزيود
Hesione, 16 b 2 هسيون
Hiero, 91 a 10 آيرون

Himera, 93 b 11 هيرا

Hipparchus, 1b 12 ابرخوس

Hippias, 56b 34 ايفاس

Hippolochus, 68 a 17 ايفولاخس

Homer, 63 a 19 ; 75 b 30 ; 98b 13 ; 11b 32 ; 16 b 12 — 15 ; — نقول عنه
62 b 35 ; 63 a 6 ; 63 a 8 ; 65 a 12 ; 65 a 30 ; 70 b 5 ; 70 b 11 ; 70 b
28 ; 71 b 16 ; 78 b 5 ; 78 b 32 ; 78 b 34 ; 79 a 5 ; 79a 7 ; 80a 24, 25 ;
80 b 23 ; 80b 29 ; 87 a 34 ; 95 a 14 ; 95 a 16 ; 6b 24 ; 10 a 31 ; 11 b
33 ; 11 b 35 ; 11 b 37 ; 12 a 1 ; 12 a 3 ; 12 a 9; 13 a 31 ; 14a 3; 15 a
16 ; 15 a 17 ; 15 b 27 ; 17 a 14 ; 17 b 5 ; 18 a 8 هوميروس ، أوميرس

Hygiaenon, 16 a 29 هوحساينون (

I

Ida, 1 b 22 ايدوس

Idrieus, 6 b 27, 29 ايدريا

Ilium, 96 b 13 طراواده

Iphicrates, 65 a 28 ; 67 b 17; 97 b 27; 98a 5, 17; 99 a 34; 5 a 19 ; 11 a 11 ;
11b 11; 16a 10 ايفقراطيس

Ismenias, 98 b 3 ايسمنيوس

Isocrates. 68 a 20 ; 92 b 10 ; 99 a 2, 4 ; 99 b 10 ; : 14 b 33 ; 18 a 31,
34 ; — نقول من خطبه 68 a 4; 8 b 15 ; 9 b 34, 10 a 1 — 17 ; 10 b 29 ;
11 a 30 ; 11 b 11 ff ; 11 b 28 ff; 12 b 6 ; 14 b 27 ; 14 b 33 : 18 a 31
18 b 32 ; 18 b 26 ; 18 b 35 اسوقراطيس

Isthmian (العاب) 6 a 21 (ف) استهايوس ، اسثامايه

Italiots (اليونانيون فى ايطاليا) 98 b 15 أهل ايطالية

J

Jason of Thessaly, 73 a 26 ; — (البطل) 0 b 14 ایاسون

Jocasta, 17 b 18 يوكاستا

L

Lacedaemon, Lacedaemonians, Laconian 61 a 10 ; 67 a 29 ; 67 b 10 ; 94
34 ; 98 b 14, 18 ; 11 a 5 ; 19 a 31 اللقدميون ، اللاقدامونيون

Lampon, 19 a 2 لامفون

Lampsacus (اهل) , 98 b 16 لمبساقيس

Leodamas, 64a 19 ; 0 a 32 لاوداموس

Leptines, 11 a 5 لفطنس

Leucothea, 0 b 6 لاوكوثيا

Libyan, 93 a 31 ليبرقو

Licymnius, 5b 6; 13 b 14 ; 14 b 17 — ليقومانيوس ، ليقومنيوس
Locri, 99 a 1 — لوقراس
Lyceum, 85 a 27 — لوقيون
Lycoleon, 1I b 6 — لوقالون
Lycophron, 5b 35 ; 6 a 7 ; 10a 10 a 18 — لوقوفرون
Lycurgus, 98 b 18 — قارغوس
Lysias, 99 b 19; 20 a 8 — لوسياس

M

Mantias, 98b 2 — مانتيوس
Marathon, 96a 14 — ماراثون
Medea of Corcinus, 0 b 10 — « ميديه »
Melanippides, 9b 2 6 — ميلانيفيدس
Melanopus, 74 b 25 — ميلانوفوس
Meleager, 79 b 15 ; 99 b 25 — مالاغروس
Meletus, 19 a 8 — ميلاطوس
Messenian (خطبة) 97 a 11 ; (جمعية) 18 b 11 — ماسيتى
Miltiades, 11 a 11 — ميلتيادیس
Mixidemides, 98 b 26 — ميكسيداميدس
Moerocles, 11a 16 — موارقليس
Mytilenaeans, 98 b 13 — ميطالونية

N

Nausicrates 16 a 10 — أنوسقراطيس
Nicanor, 97 b 7 — نيقانور
Niceratus, 13 a 7 — نكاراتوس
Nicon, 12a 34 — نيقون
Nireus. 14 a 3 — نيريوس

O

Odysseus, 99 b 29 ; 0 a 28 ; 16 b 2, 12 — أودسوس
Odyssey, 6 b 12 — الأوديسا
Oeneus, 97 b 20 ; 17 a 16 — هونوس
Olympia , 65 a 25 ; 67 b 18 ; 98 b 33 — ألومقوس
Olympiac (الحرب) 11 a 7

Orestes of Theodectes, 1 a 35	« أورسطس » لثادوقطوس)

P

Palamedes, 13 b 27	فلماداس
Pamphilus, 0 a 5	فنفيلوس
Pan, 1 a 16	بان
Paralus, 11 a 14	الفارالية (
Parians, 98 ba 11	الفاريون
Paris انظر Alexander	
Patroclus, 59 a 4 ; 97 b 22	فطروقلوس
Peiraeus, 1 a 28 ; 11 a 15	فيرا
Peisander, 19 a 27	فيساندروس
Peisistratus, 57 b 31	فسسترّاطس
Peitholaus, 10 a 17 ; 11 a 18	فيثولاوس
Penelope, 17 a 14	فينالوفى
Pentheus 0 b 26	بنثيوس
Peparethus, 98 a 33	ببغارثوس)
Periander, 75 b 31	فاريانذس
Pericles, 65 a 1 ; 90 b 31 ; 7 a 1 ff ; 11 a 2, 15 ; 19 a 2	فريقليس
Phalaris 93 b 9 ff	فلاريس
Phayllus, 17 a 15	فالوس
Philammon, 13 a 13, 14	فيلامون
Philemon (الممثل) 13 b 25	فيلامون
Philip (المقدونى) 97 b 31	فيليفوس
Philocrates, 80 b 8	فيلوقراطيس
Philoctetes, 13 a 7	فيلوكتاتاس
Philomela, 6 b 17	الفيلوميلا
Phocians, 98 a 1	(أهل) فوقيقية
Pindar, 64 a 28 ; 1 a 16	فندارس
Pittacus, 89 a 16 ; 2 b 12	فيطاقوس
Plato, 67 b 8, 15 b 31 ; 76 a 10 ; 98 a 15 ff, 19 a 8 — 12 ; 98 b 30 ; 6 b 32 — 8 ; 8 b 20 ; 17a 21	فلاطن ، افلاطون
Plexippus, 79 b 15	فليخيفوس
Polus, 0 b 20	فولوس
Polybus, 15 a 21	فولوبوس

Polycrates, 1 a 34 ; 1 b 16 فلوقراطيس
Polyeuctus, 11 a 21 فوليقطوس
Polyneices, 73 b 10 فولينقس
Potidaea, 96 a 20 الفوتيد يتاوين
Pratys, 13 a 8 فراتوس
Priam, 63 a 6, 16 b 2 فرياموس
Prodicus, 15 b 16 فروديقوس
Protagoras, 2 a 25 ; 7 b 6 فروطاغورس
Pythagoras, 98 b 16 فيثاغورس

R

Rhadamantuu, 13 b 27

S

Salamis, 75 b 30 ; 96 a 13 ; 11 a 32 اسلمينى ، سلمنه
Saamis, and the Salmiann 84 b 32 ; 93 b 23, 32 ; 7 a 1
Sappho, 67 a 8 ; 98 b 13, 28 سفا ، سيفا
Sciro, 6 a 8 اسقيرون
Scythians, 67b 10 الصقالبة
Sestos, 11 a 14 سيسطوس
Sigeans (Sigeum اهل) , 75 b 31
Simonides, 63a 15: 65a 25; 67b19; 91 a 8; 5 b 23; 11b 26 سيمونيدس
Sisyphus, 12 a 5i سيسيفوس
Socrates, 67 b 8; 90 b 31 ; 93 b 4 , 98 a 24 ; 98 b 32; 99 a 7 ; 15 b 31 ; 17 a 21 : 19 a 8 سقراطيس
Solon, 75b 33; 98b 17 سالون
Sophocles, 98 a 4, 1 b 19; 16 a 15 ; نقول منه 73 b 9; 75 a 34 ; 0 b 17; 15 a 21 ; 15 b 20 ; 16 b 1 : 17 a 30 ; 17 b 20 ; 18 b 33 ; 9 b 9 سوفقليس
Speusippus, 11 a 22 فوسيفوس
Stasinus, 76 a 7; 95 a 19 استاسينوس
Stesichorus, 93 b 9; 94 b 35; 12 a 22 اسطيسخورس
Stilbon, 98 b 4 سطيلبون
Strabax 99 b 2 اسطراباخس
Syracusans, 84 b 16 (أهل) ساراقوسة

T

Telamon, 16 b 3 — طيلامون

Telephus, 5 a 28 — طيلافوس

Tenedos, 75 b 30; 1 b 19 — طنادوس

Teucer, 98 a 4 ; 16 b 1 — طوقاروس

Teumessus, 8 a 3 — (طوميسوس)

Theagenes of Megara, 57 b 33 — ثاغانيس

Thebes, 97 b 9 ; 98 b 3, 19 — ثيبه ، ثيباس

Themistocles, 76 a 1 — ثامسطوقليس

Theodamas, 6 b 30 — ثيوداموس

Theodectes, 97 b 3 ; 98 b 6 ; 99 b 8 ; 99 b 1 ; 99 b 28 ; 0 a 28 ; 1 a 35 — تودقطوس

Theodorus : (الخطيب) 0 b 16 ; 12 a 25, 34 ; 14 b 14 ; (الممثل) 4 b 22 — ثاودوروس

Theseus, 63 a 18 ; 97 b 21 ; 99 a 3 — ثيسيوس

Thettaliscus, 98 b 5 — ثيطليسقوس

Tyrants (الطغاة الثلاثون) 0 a 18, 34 ; 1 a 34 — الطغاة

Thracian, 12 b 2 — من أهل تراقيه

Thrasybulus, 0 a 33 ; 0 b 19 ; 1 a 34 — ترسوبولس

Thrasymachus, 0 b 20 ; 4 a 14 ; 9 a 2 ; 13 a 8 — ترسوماخوس

Timotheus (الشاعر) 7 a 17 ; 13 a 1 — (نقول عنه)

Tyndareus (أولاد) 97 b 23 — طندريدوس

X

Xenophanes, 77 a 19, 23 ; 99 b 6 ; 0 b 5 — اكسانوفانس

Xerxes, 93 b 2 ; 6 a 7 — أخشيرش

Z

Zeno, 72 b 5 — زينون

Zeus, 98 b 34. — (زيوس

ثبت أول
ببعض المراجع الاساسية

ARISTOTLE. *Aristotelis Graece ex Recensione Immanuelis Bekkeri.* Edidit Academia Regia Borussica. Berlin, 1831. [The *Rhetoric* occupies in vol. 2 the pages, columns, and lines 1354ᵃ 1–1420ᵇ 4.]

———. *The Works of Aristotle,* translated into English under the editorship of J. A. Smith and W. D. Ross [latterly under the editorship of Ross]. 11 vols. Oxford, 1908–31. [Volume 11 contains, besides Forster's translation of *De Rhetorica ad Alexandrum,* Roberts' translation of the *Rhetoric* and Bywater's of the *Poetics;* for these two items, see also below.]

———. *Aristotelis Ars Rhetorica.* Edidit Adolphus Roemer. Vol. 1 of *Rhetores Graeci* ex Recognitione Leonardi Spengel. Leipzig, 1885.

———. *The Rhetoric of Aristotle,* with a Commentary, by . . . Edward Meredith Cope; revised and edited . . . by John Edwin Sandys. 3 vols. Cambridge, 1877.

———. *The Rhetoric of Aristotle,* a Translation by Richard Claverhouse Jebb; . . . edited with an Introduction and with supplementary Notes by John Edwin Sandys. Cambridge, 1909.

———. *Rhetorica* [translated] by W. Rhys Roberts. In vol. 11 of *The Works of Aristotle,* translated into English under the editorship of W. D. Ross. Oxford, 1924.

———. *The Rhetoric of Aristotle,* translated, with an Analysis and critical Notes, by J. E. C. Welldon. London, 1886.

———. *Aristotle on the Art of Poetry;* a revised Text, with critical Introduction, Translation, and Commentary, by Ingram Bywater. Oxford, 1909.

———. *Aristotle on the Art of Poetry;* an amplified Version, with supplementary Illustrations, for Students of English. By Lane Cooper. New York (Harcourt, Brace and Company); first issued in Boston, 1913.

PLATO. *Phaedrus.* In *The Dialogues of Plato,* translated into English . . . by B. Jowett, third edition, 1 (1892). 431–89. [Jowett's Introduction to this dialogue is, in an essential point, quite misleading; he has not grasped the unity of the whole.]

———. *Gorgias.* In Jowett's translation, as above, 2 (1892). 325–421.

DEMOSTHENES. *The Public Orations*, translated by Arthur Wallace Pickard-Cambridge. 2 vols. Oxford, 1912.

ISOCRATES. With an English Translation by George Norlin. 2 vols. In the Loeb Classical Library. London, 1928–9.

DEMETRIUS. *On Style;* with an English Translation by W. Rhys Roberts. In the Loeb Classical Library. London, 1927.

DIONYSIUS OF HALICARNASSUS. *The Three Literary Letters;* . . . Greek Text, . . . English Translation, . . . Notes, by W. Rhys Roberts. Cambridge, 1901.

———. *On Literary Composition;* being the Greek Text of the *De Compositione Verborum;* edited with Introduction, Translation, Notes, . . . by W. Rhys Roberts. London, 1910.

'LONGINUS.' *On the Sublime;* the Greek Text . . . with Introduction, Translation, Facsimiles, and Appendices, by W. Rhys Roberts. Second edition. Cambridge, 1907.

CICERO. *Oratory and Orators*, translated by John Selby Watson. (*De Oratore*, or *On the Character of the Orator; Brutus*, or *Remarks on eminent Orators.*) In Harper's Classical Library, New York, 1850.

———. *De Oratore, Orator*, and *Brutus.* [Text, and translation by Charles Stattaford and E. W. Sutton.] In preparation. Loeb Classical Library.

ANONYMOUS. *Rhetorica ad Herennium.* [Of this work, which is listed under the supposititious writings of Cicero, there is a German translation by Karl Kuchtner, Munich, 1911. The unprinted English translation by Harry Caplan he expects in due time to publish.]

QUINTILIAN. *The Institutio Oratoria* . . . with an English Translation by H. E. Butler. 4 vols. In the Loeb Classical Library. London, 1921–2.

———. *Institutes of Oratory; or Education of an Orator;* . . . literally translated . . . by . . . John Selby Watson. 2 vols. In Bohn's Classical Library. London, 1882.

BLASS, FRIEDRICH. *Die Attische Beredsamkeit.* Second edition. 3 vols. Leipzig, 1887–8.

CHAIGNET, ANTELME ÉDOUARD. *La Rhétorique et son Histoire.* Paris, 1888.

COOPER, LANE. *An Aristotelian Theory of Comedy;* with an Adaptation of the *Poetics* and a Translation of the '*Tractatus Coislinianus.*' New York, 1922.

———. *Theories of Style, with especial Reference to Prose Composition; Essays, Excerpts, and Translations;* arranged and adapted. New York, 1907. [Includes a Bibliography of 10 pp., and (pp. 52–96) Welldon's translation of Aristotle's *Rhetoric*, Book 3, chapters 1–12.]

COPE, EDWARD MEREDITH. *An Introduction to Aristotle's Rhetoric*, with Analysis, Notes, and Appendices. London and Cambridge, 1867.

JEBB, RICHARD CLAVERHOUSE. *The Attic Orators from Antiphon to Isaeus*. 2 vols. London, 1876.

NAVARRE, OCTAVE. *Essai sur la Rhétorique Grecque avant Aristote*. Paris, 1900.

NORDEN, EDUARD. *Die Antike Kunstprosa vom vi. Jahrhundert v. Chr. bis in die Zeit der Renaissance*. 2 vols. Leipzig, 1898.

ROBERTS, W. RHYS. *Aristotle on Public Speaking*. In the *Fortnightly Review*. 122=116 (Aug. 1, 1924). 201–10.

———. *Greek Rhetoric and Literary Criticism*. Vol. 53 of *Our Debt to Greece and Rome*, edited by Hadzsits and Robinson. New York, 1928.

VOLKMANN, RICHARD; HAMMER, CASPAR; GLEDITSCH, H. *Rhetorik und Metrik der Griechen und Römer*. In *Handbuch der Klassischen Altertumswissenschaft*, hgb. v. Iwan von Müller. Munich, 1901.

ثبت ثان
بالنشرات اليونانية في الخطابة

١
النصوص اليونانية

Oratores Attici.	J. G. Baiter and Hermann Sauppe, 1850. Vol. I.: Antiphon, Andokides, Lysias, Isokrates, Isaeos, Lykurgos, Aeschines, Deinarchos, Demosthenes. Vol. II.: Scholia to Isokrates, Aeschines, Demosthenes, and the Fragments of the Orators, from Gorgias to Demetrios Phalereus, arranged, with comments, by Sauppe. Hypereides, ed. F. Blass, 1869 (Teubner).—For the text, I have consulted also:—1. *Oratores Attici*, ed. Imm. Bekker, 1828.—2. *Oratores Attici*, ed. G. S. Dobson, with notes by H. Stephens, J. J. Scaliger, J. Taylor, J. Markland, J. J. Reiske, A. Auger, &c. 1828.—3. Antiphon, Andokides, Deinarchos, ed. F. Blass, and Isaeos, ed. C. Scheibe, in Teubner's series.
Aristotle.	Imm. Bekker, edition of the Imperial Academy of Berlin, 1831—1870. The *Rhetoric*, with Commentary, L. Spengel, 1867.
Athenaeos.	J. Schweighauser, 1801—1804.
Comicorum Fragmenta.	F. H. Bothe, 1855 (Didot).
Diodoros.	L. Dindorf and C. Müller (Didot).
Diogenes Laertios.	C. G. Cobet, 1862 (Didot).
Dionysios of Halikarnassos.	J. J. Reiske, 1774. (Also text in the series of C. Tauchnitz, 1829.)
Eunapios.	*Βίοι φιλοσόφων καὶ σοφιστῶν.* J. F. Boissonade, Amsterdam, 1822.
Harpokration.	W. Dindorf, 1850.
Hesychios.	J. Alberti, 1746.
Lucian.	Imm. Bekker, 1853.
Pausanias.	L. Dindorf (Didot), 1845.
Philostratos.	C. L. Kayser, 1844.
Photios.	Imm. Bekker, 1824.
Plato.	J. G. Baiter, J. C. Orelli, and A. G. Winckelmann, 1842.
Plutarch, *Parallel Lives.*	Imm. Bekker, 1855.
[Plutarch] *Lives of the Ten Orators.*	In Plutarchi *Moralia*, ed. F. Dübner (Didot), 1868.

Pollux.	Imm. Bekker, 1846.
Rhetores Graeci.	(1) For Anaximenes, Aphthonios, Aristeides *Rhetoric*, Demetrios περὶ ἑρμηνείας, Hermogenes, Longinus, Theon, and the writer περὶ ὕψους:—*Rhetores Graeci*, ed. L. Spengel, 3 vols., 1853. (2) For the scholia, and for the lesser writers generally:—*Rhetores Graeci*, ed. C. Walz, 9 vols., 1832.
Sextus Empiricus.	πρὸς τοὺς μαθηματικοὺς ἀντιρρητικοί. J. A. Fabricius, Leipzig, 1718.
Stobaeos.	*Anthology*, 4 vols.; *Eclogues*, 2 vols., ed. A. Meineke (Teubner), 1860.
Strabo.	C. Müller and F. Dübner (Didot), 1853.
Suidas.	G. Bernhardy, 1853.
Thucydides.	Imm. Bekker, 2nd ed., 1868.
Xenophon.	G. Sauppe, 1865.

اللاتينية

Cicero.	*Opera omnia* (with the incerti *Rhet. ad Herennium*) C. F. A. Nobbe, Leipzig, 1869.
”	*Rhetorica* (*De Inventione*, l. II.), with the *Rhet. ad Her.*, F. Lindemann, Leipzig, 1828.
”	*De Oratore*, l. III. C. W. Piderit, Leipzig, 4th ed. 1873.
”	*Brutus de claris oratoribus*, C. W. Piderit, Leipzig, 2nd ed. 1875.
”	*Partitiones Oratoriae*, C. W. Piderit, Leipzig, 1867.
”	*De Optimo Genere Oratorum*, (with *Orator*,) O. Jahn, Berlin, 3rd ed. 1869.
Gellius.	Mart. Hertz (Teubner), 185[illegible].
Lucilius, Fragments of.	In L. Müller's *Saturarum Reliquiae*, 1872.
Quintilian.	E. Bonnell (Teubner), 1868; commentary—Spalding, Buttmann, Bonnell, and Zumpt; bks. I—VI. Leipzig, 1798—1834.
Rhetorica ad Herennium.	F. Lindemann (see above), Leipzig, 1828.
De Oratoribus Dialogus.	In Tacitus, ed. J. G. Orelli, 1846.

دراسات

Belin de Ballu, J. N.	*Histoire Critique de l'Éloquence chez les Grecs.* Paris, 1813.
Barthélemy, J. J.	*Voyage du jeune Anacharsis en Grèce.* Paris, 1788.
Becker, A. G.	*Andokides, übersetzt und erläutert.* 1832.
Beckhaus, H.	*Xenophon der jüngere und Isokrates.* Posen, 1872.
Benseler, G. E.	*De Hiatu in Oratoribus Atticis et Historicis Graecis.* 1841.
Berbig, F.	*Ueber das genus dicendi tenue des Redners Lysias.* Cüstrin, 1871.
”	*Isokrates Werke, Griechisch und Deutsch.* 1854.
Blair, H.	*Lectures on Rhetoric and Belles Lettres.* London, 1783.

[1] The following list does not claim to represent the literature of the subject. My purpose has been to set down every book—whether it has been expressly quoted or not—to which I am conscious of having owed help.

Blass, F.	*Die Attische Beredsamkeit von Gorgias bis zu Lysias.* Leipzig, 1868.
„	*Isokrates und Isaios.* 1874.
„	*Die Griechische Beredsamkeit in dem Zeitraum von Alexander bis auf Augustus.* 1865.
Boeckh, A.	*Die Staatshaushaltung der Athener.* 2nd ed. 1851.
Boehnecke, G.	*Demosthenes, Lykurgos, Hyperides und ihr Zeitalter.* 1864.
Brause, R. T.	*De aliquot locis Isocratis.* Freiburg, 1843.
Bremi, J. H.	*Lysiae et Aeschinis Orationes selectae.* 1826.
Brougham, Lord.	*Rhetorical and Literary Dissertations and Addresses.* 1856.
Campbell, G.	*The Philosophy of Rhetoric.* 7th edit., 1823.
Cartelier, A.	*Le Discours d'Isocrate sur lui-même* (with Introduction by E. Havet), 1862.
Clinton, H. Fynes.	*Fasti Hellenici.* 3 vols. 1834—1851.
Cobet, C. G.	*Novae Lectiones.* 1858.—*Variae Lectiones.* 1873.
Cope, E. M.	*The Sophists*, in Journ. of Class. and Sacred Philology, I. 145: *On the Sophistical Rhetoric, ib.* II. 129, III. 253.
„	*Introduction to Aristotle's Rhetoric*, 1867.
„	*Plato's Gorgias, literally translated, with an Introductory Essay.* 1864.
Cowell, Herbert.	*Tagore Law Lectures for* 1870. Calcutta, 1870.
Cox, G. W.	*History of Greece*, Vols. I. and II., 1874.
Curtius, E.	*History of Greece*, translated by A. W. Ward. 5 vols., 1868—1872.
Dobree, P. P.	*Adversaria.* 2 vols., 1831.
Dyer, T. H.	*Ancient Athens.* 1873.
Eckert, H.	*De Epitaphio Lysiae falso tributo.* Berlin. 1865 (?).
Ernesti, J. C. T.	*Lexicon Technologiae Graecorum Rhetoricae.* 1795.
Finlay, G.	*Greece under the Romans*, B.C. 146—A.D. 716. 2nd ed., 1857.
Forsyth, W.	*Hortensius: an Historical Essay on the Office and Duties of an Advocate.* 1874.
Francken, C. M.	*Commentationes Lysiacae.* Utrecht, 1865.
Franz, J.	*Dissertatio de locis quibusdam Lysiae arte critica persanandis.* Munich, 1830.
Freeman, E. A.	*Historical Essays.* Second Series, 1873.
„	*History of Federal Government.* Vol. I., *The Greek Federations*, 1863.
Frohberger, H.	*Lysias ausgewählte Reden.* 1868.
Gladstone, W. H.	*Studies on Homer.* 1858.
Grote, G.	*History of Greece*, ed. 1870.
Hager, Herman.	*Quaestionum Hyperidearum capita duo.* Leipzig, 1870.
„	*De Graecitate Hyperidea.*
Hecker, A.	*De Oratione in Eratosthenem XXXvirum Lysiae falso tributa.* 1847—8.
Henn, P.	*De Isocrate rhetore.* Köln, 1861.
Holmes, A.	*Demosthenes De Corona.* 1871.
Hölscher, L.	*Quaestiunculae Lysiacae.* Herford, 1857.
Hume, D.	*Essay* XII., *Of Eloquence.*
Jones, Sir W.	*The Speeches of Isæus, with a Prefatory Discourse*, &c. 1779.

Jowett, B.	*The Dialogues of Plato, translated into English, with Analyses and Introduction.* 1st ed., 1871, and 2nd ed., 1875.
Kirchhoff, A.	*Andocidea*, in Hermes, I. 1—20.
Kyprianos, A.	Τὰ Ἀπόρρητα τοῦ Ἰσοκράτους. Athens, 1871.
Le Beau, A.	*Lysias Epitaphios als echt erwiesen.* Stuttgart, 1863.
Leloup, P. J.	*Prolegomena in Isocratis Philippicum.* 1825.
Liebmann, J. A.	*De Isaei Vita et Scriptis.* Halle, 1831.
Lightfoot, J. B.	On *Hyperides*, in Journ. of Class. and Sacred Philology, IV. p. 318, 1859.
Ljungdahl, S.	*De transeundi generibus quibus utitur Isocrates commentatio.* Upsala, 1871.
Lloyd, W. W.	*The Age of Pericles.* 1874.
Macaulay, Lord.	*On the Athenian Orators* (in *Miscellaneous Writings*, Vol. I.) 1860.
Madvig, J. N.	*Adversaria*, vol. I.
Maine, H. S.	*Ancient Law.* 5th ed., 1874.
Meier and Schömann.	*Der Attische Process.* 1824.
Mitchell, T.	*Indices Graecitatis Oratorum Graecorum* (after Reiske). 1828.
Müller, K. O.	*History of the Literature of Ancient Greece*, translated and continued by J. W. Donaldson. 1858.
Mure, W.	*A Critical History of the Language and Literature of Ancient Greece.* 1857.
Oncken, W.	*Isokrates und Athen.* Heidelberg, 1862.
Ottsen, P. G.	*De rerum inventione ac dispositione quae est in Lysiae atque Antiphontis orationibus.* Flensburg, 1847.
Overbeck, J.	*Geschichte der Griechischen Plastik.* 1869.
"	*Die Antiken Schriftquellen zur Gesch. der Bildenden Künste bei den Griechen.* 1868.
Paley, F. A., and J. E. Sandys.	*Select Private Orations of Demosthenes.* Part I. Cambridge, 1874.
Pater, W. H.	*Studies in the History of the Renaissance.* 1873.
Perrot, G.	*L'Eloquence Politique et Judiciaire à Athènes: Première Partie, Les Précurseurs de Démosthène.* 1873.
"	*Démosthène et ses Contemporains* (Revue des Deux Mondes, June 15, 1873).
Pfund, J. G.	*De Isocratis Vita et Scriptis.* Berlin, 1833.
Philippi, A.	*Beiträge zu einer Geschichte des Attischen Bürgerrechtes.* Berlin, 1870.
Rauchenstein, R.	*Ausgewählte Reden des Lysias.* 1864.
"	*Isokrates, Panegyricus, Areopagiticus.* 1864.
Roelfzema, C. H. B. H.	*Annotationes in Isocratis Evagoram.* Gröningen, 1837.
Ruhnken, D.	*Historia Critica Oratorum Graecorum*, in his Opuscula.
"	*Disputatio de Antiphonte*, ib.
Sandys, J. E.	*Isocrates. Ad Demonicum et Panegyricus*, 1868.
Sanneg, P.	*De Schola Isocratea.* Halle, 1867.
Schäfer, A.	*Demosthenes und seine Zeit.* 1856.
Schirach, G. B.	*De vita et genere scribendi Isocratis.* 1766.
Schmitz, P. J. A.	*Animadversiones in Isocratis Panathenaicum.* Marburg, 1835.
Schneider, O.	*Isokrates ausgewählte Reden.* 1860.

Schömann, G. F.	*Commentarii in Isaeum* (appended to an edit. of the text). Greifswald. 1831.
Schröder, H. P.	*Quaestiones Isocrateae duae.* Utrecht, 1859.
Sidgwick, H.	*The Sophists:* in Journal of Philology, IV. p. 288, 1872.
Simcox, G. A. / Simcox, W. H.	*The Orations of Demosthenes and Aeschines On the Crown, with Introductory Essays and Notes,* 1872.
Sluiter, J. O.	*Lectiones Andocideae* (with C. Schiller's notes), 1834.
Spengel, L.	Συναγωγὴ Τεχνῶν, *sive Artium Scriptores.* 1828.
Stallbaum, G.	*Lysiaca ad illustrandas Phaedri Platonici origines.* 1851.
Starke, F. A. H.	*De Isocratis Orationibus Forensibus Commentationis Specimen.* 1845.
Strang, J. G.	*Kritische Bemerkungen zu den Reden des Isokrates.* 1831.
Symonds, J. A.	*Studies of the Greek Poets.* 1873.
"	*Renaissance in Italy: Age of the Despots.* 1875.
Taylor, John.	*Lectiones Lysiacae* (in Dobson's *Oratores Attici,* vol. II. pp. 94—158, 1828).
Télfy, J. B.	Συναγωγὴ τῶν Ἀττικῶν νόμων. Pesth, 1868.
Thirlwall, C.	*History of Greece,* ed. of 1855.
Thompson, W. H.	*On the Philosophy of Isocrates, and his Relation to the Socratic Schools.* Appendix II. to edition of Plato's *Phaedrus,* 1868. Also the Introductions to the *Phaedrus* and the *Gorgias* (1871), and the Commentary on both Dialogues.
Volkmann, R.	*Die Rhetorik der Griechen und Römer.* Berlin, 1872.
Wackernagel, W.	*Poetik, Rhetorik und Stilistik.* Halle, 1873.
Weijers, F. V.	*Diatribe in Lysiae Orationem in Nicomachum.* Leyden, 1839.
Weil, H.	*Les Harangues de Démosthène* (with Introd. and Commentary), 1873.
Weissenborn, H.	*Isäus,* in Ersch and Gruber's Encyclopaedia, Section II., Part 38, pp. 286—310.
Westermann, A.	*Geschichte der Griechischen Beredsamkeit.* 1835.
Whately, R.	*Elements of Rhetoric.* 7th ed., 1866.
Wilkins, A. S.	*National Education in Greece.* 1873.

فهرست الكتـــاب

ص

تصدير عام ٥ — ٢٠

المقــــــالة الاولـــــى

١ — الخطابة والجدل : فائدة الخطابة وغايتها ٢٣
٢ — تعريف الخطابة ، الاحتمال ، والعلامة ، والمثل ٢٩
٣ — انواع الخطابة وغاية كل منها ٣٦
٤ — موضوعات المقدمات في المشوريات ٣٩
٥ — الغاية في المشورة : الخير الاسمي واجزاؤه ٤٣
٦ — في الخير والنافـــع ٤٩
٧ — مواضع تمييز كبير الخير وصغيره ٥٣
٨ — انواع الدساتير : عددها وطباعها والغاية من كل منها ٦١
٩ — في الفضيلة والرذيلة ، والحسن والقبح ، ومايدعو الى الذم والمدح :
أ — الفضائل عامة وخاصة ٦٣
ب — المواضيع المشتركة للمدح ٦٤
جـ — المهارة في مدح ما ليس جديرا بالمدح ٦٦
د — ضروب المدح ٦٨
هـ — تشابه المدح والنصيحة ٦٩
و — في التعظيم ٦٩
ز — البراعة في مدح شخص لا يستحق المدح ٧٠
ح — ما هو خاص بكل جنس ٧٠
١٠ — في الاتهام والدفاع ، عدد مصادر القياس وطبيعتها :
أ — في النوع المستعمل في القضاء،بمعنى ارتكاب الجور ٧١
ب — الافعال الانسانية واسبابها ٧٢
١١ — الامور النافعة ٧٥
٢٢ — من هم الذين يسيئون ؟
أ — متى يرتكب الجور ٨١
ب — المظالم التي ترتكب غالبا ٨٦
١٢ — الافعال الجائرة والعادلة :
أ — القانون الطبيعي والقانون المكتوب ٨٧
ب — في الانصـــــاف ٨٩
١٤ — كيف تعرف ان فعلا اعدل منفعل ؟ ٩١
١٥ — في الحجج المستقلة عن الصناعة :
أ — الحجج المستقلة عن صناعة الخطابة ٩٣
ب — القوانين ٩٣
جـ — الشهود ٩٤
د — العقود ٩٧
هـ — الاعترافات المنتزعة بالتعذيب ٩٨
و — الايمـــــان ٩٩

المقالـــة الثانيـــة

١ ــ كيف نؤثر في نفوس الحكام ١٠٢
٢ ــ في مثيري الغضب والغضاب ودواعي الغضب :
أ ــ في الغضب ١٠٤
ب ــ في الازدراء ١٠٥
جـ ــ الاشخاص المعرضون للغضب ١٠٧
د ــ في الذين يغضب منهم ١٠٧
٣ ــ في السكون ، وتجاه من يكون المرء ساكنا ١١٠
٤ ــ من هم الذين يصادقون او يبغضون ، ولاي سبب :
أ ــ في الحب والبغض ١١٣
ب ــ من نحب ١١٤
جـ ــ انواع الصداقة ١١٧
د ــ الفرق بين الكراهية والغضب ١١٧
٥ ــ في الخوف والامن : ١١٨
أ ــ ممن نخاف ١١٨
ب ــ اهل الخوف ١٢٠
جـ ــ اهل الامن ١٢١
٦ ــ فــي الخزي :
أ ــ في الخزي والوقاحة ١٢٢
ب ــ الاشخاص الذين يخزى منهم ١٢٤
جـ ــ الذين يستشعرون الخزي ١٢٦
٧ ــ المنن ، الاشخاص ، والدوافع ، استعداد من يمنحون المنن ١٢٧
٨ ــ فــي الشفقة :
أ ــ في الشفقة بعامة ١٢٩
ب ــ دواعي الشفقة ١٣٠
جـ ــ على من نشفق ١٣٠
٩ ــ في النقمة :
أ ــ في الحنق ١٣٢
ب ــ ما يثير النقمة ١٣٣
جـ ــ على من ننقم ١٣٣
د ــ المعرضون للنقمة ١٣٤
١٠ ــ في الحسد : ١٣٥
١١ ــ في الغبطة ١٣٧
١٢ ــ الاخلاق :
أ ــ الاخلاق بعامة ب ــ اخلاق الشباب ١٤٠
١٣ ــ اخلاق الشيوخ ١٤٢
١٤ ــ اخلاق السن الناضجة ١٤٤
١٥ ــ اخلاق الجد ١٤٥
١٦ ــ اخلاق الاغنياء ١٤٧

١٧ ــ اخلاق ذوي القوة والجد ١٤٧
١٨ ــ الخصائص المشتركة بين جميع اجناس القول ١٤٩
١٩ ــ المواضع الخاصة بمعرفة ما اذا كان الامر ممكنا او غير ممكن ١٥٠
٢٠ ــ في المثل وانواعه واستخدامه ١٥٤
٢١ ــ الرأي : انواعه ، استخدامه ، نفعه ١٥٧
٢٢ ــ في الضمائر ١٦٣
٢٣ ــ مواضع الضمائر البرهانية ١٦٦
٢٤ ــ مواضع الضمائر الظاهرية ١٨٢
٢٥ ــ في النقائض ١٨٧
٢٦ ــ الاخطار التي يجب تجنبها ١٩٠

المقالة الثالثة

١ ــ اقسام فن الخطابة : تلخيص ١٩٣
٢ ــ في صفات الاسلوب :
في جمال الاسلوب ١٩٦
٣ ــ في برودالاسلوب ٢٠١
٤ ــ التشبيه ٢٠٤
٥ ــ في سلامة الاسلوب ٢٠٥
٦ ــ في وسائل الاطناب ٢٠٨
٧ ــ في تناسب الاسلوب ٢٠٩
٨ ــ في الايقاع الخطابي ٢١١
٩ ــ الاسلوب المتصل والاسلوب الدوري ٢١٤
١٠ ــ في الاقوال الانيقة الاخاذة ٢١٩
١١ ــ وسائل تجميل الاسلوب ٢٢٤
١٢ ــ في الاسلوب الخاص بكل نوع ٢٣١
١٣ ــ في اجزاء الكلام ٢٣٤
١٤ ــ في الاستهلال ٢٣٥
١٥ ــ وسائل نقض الاتهام ٢٤٠
١٦ ــ في القص ٢٤٣
١٧ ــ الحجج ٢٤٧
١٨ ــ في المسئلة والهزل ٢٥٢
١٩ ــ في خاتمة الكلام ٢٥٥
معجم بالمصطلحات الفنية اليونانية ٢٥٩
فهرس الاعلام ٢٦٩
ثبت اول ببعض المراجع الاساسية ٢٧٩
ثبت ثان بالنشرات اليونانية في الخطابة ٢٨٢

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ـ بغداد
١١٤ لسنة ١٩٨٠

تصميم الغلاف : نضال الاغا

الجمهورية العراقية

وزارة الثقافة و الاعلام

دار الرشيد للنشر

سلسلة الكتب المترجمة (١٤) ١٩٨٠

سعر النسخة ٥٠٠ فلس

توزيع الدار الوطنية للاعلان والتوزيع
بغداد

طبع على مطابع الرسالة

الخطابة

أرسطو